الآداب المرضية
لسالك طريق الصوفية
للإمام محمد بن أحمد البوزيدي المستغانمي
المتوفى ١٢٢٩ هـ
ويليه
ديوان
العارف بالله تعالى
سيدي محمد البوزيدي المستغانمي
ويليه
ديوان
آيات المحبين
في مقامات العارفين
للعارف بالله تعالى الشيخ عدة بن تونس المستغانمي
ضبطها وصححها وعلق عليها
الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي
الحسيني الشاذلي الدرقاوي
DKI
دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان
http://albordj.blogspot.com

الآداب المرضية

لسالك طريق الصوفية

للإمام محمد بن أحمد البوزيدي المستغانمي

المتوفى ١٢٢٩ هـ

ويليه

ديوان

العارف بالله تعالى

سيدي محمد البوزيدي المستغانمي

ويليه

ديوان

آيات المحبين

في مقامات العارفين

للعارف بالله تعالى الشيخ عدة بن تونس المستغانمي

ضبطها وصححها وعلق عليها

الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي

الحسيني الشاذلي الدرقاوي



http://albordj.blogspot.com

Title: The mannerliness of Sufis

Followed by : Sidi Muhammad Al-Buzaydi's poetical works

Followed by : ᶜIdah Ben Tunis's poetical works

Author: Sidi Muḥammad Al-Buzaydi
and ᶜIdah Ben Tūnis

Editor: Dr. ᶜĀṣim Ibrāhīm Al-kayālī

Publisher: Dar Al-kotob Al-ilmiyah

Pages: 224

Year: 2006

Printed In: Lebanon

Edition: 1st

الكتاب: الآداب المرضية لسالك طريق الصوفية
ويليه ديوان العارف بالله تعالى سيدي محمد البوزيدي
ويليه ديوان آيات المحبين في مقامات العارفين

المؤلف: محمد بن أحمد البوزيدي
وعدة بن تونس المستغانمي

المحقق: الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي

الناشر: دار الكتب العلميـــة ـ بيروت

عدد الصفحات: 224

سنة الطباعة: 2006 م

بلد الطباعة: لبنـــان

الطبعة: الأولى



ISBN 2-7451-4726-9

منشورات محمد علي بيضون



دار الكتب العلمية بيروت

جميع الحقـوق محفوظـة
Copyright
All rights reserved
Tous droits réservés ©

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Exclusive rights by ©
Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beirut - Lebanon
No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Toua droits exclusivement réservés à ©
Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beyrouth - Liban
Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

الطبعـة الأولى
٢٠٠٦ م.١٤٢٧ هـ

منشورات محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ (١ ٩٦١)

فرع عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.

هاتف: ١٢/١١/٨٠٤٨١٠ ٥ ٩٦١+ | ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+ | رياض الصلح - بيروت ١١٠٧ ٢٢٩٠

http://www.al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

تقديم

بسم الله الرحمٰن بأوليائه المؤمنين والرحيم بخلقه أجمعين، اختص الإنسان بمعرفته لذا خلقه في أحسن تقويم بيدي الجلال والجمال على صورته واستخلفه في أرض ناسوت نفسه وسماء ملكوت قلبه، وجبروت سر روحه، والحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه ثم هداه لاستعدادات عينه الثابتة في علمه بمقتضى قوله تعالى: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾﴾ [هود: ٥٦] وقول النبي ﷺ: **«اعملوا فكل ميسر لما خلق له»**.

وصلّى الله على سيدنا محمد سيد ولد آدم والنبي الخاتم والإنسان الكامل والرحمة المهداة للعوالم الخلقية ليرقيهم من كثافة الملك إلى لطافة الملكوت ومنه إلى حقيقة الجبروت وليزكي نفوسهم وليطهر قلوبهم وليرقي أرواحهم وليحققهم بتجليات الأفعال ثم بتجليات الأسماء والصفات ثم بتجليات الذات.

وبعد ففي إطار بيان العلاقة بين الشيخ المربي والمريد السالك إلى الله تعالى وبيان آداب هذه العلاقة وأسرارها في مختلف الأطوار والمقامات والأحوال التي يمر بها المريد طالب الوصول إلى معرفة الله تعالى، وفي إطار كتب التصوف الإسلامي التي نقوم بتحقيقها وتنقيحها وتصحيحها والتعليق عليها نقدّم للقراء الكرام كتاب «الآداب المرضية لسالك طريق الصوفية» للعارف بالله تعالى مربي المريدين الشيخ محمد بن أحمد البوزيدي وهو علم من أعلام الطريقة الشاذلية الدرقاوية.

وقدْ بيّن الشيخ سبب تأليفه للكتاب فقال: «ولما كانت الطرق إلى الله تعالى وخصوصاً طريقتنا هذه لا تسلك إلا بالآداب، وإلا زلّت قدم السالك وأسرع إليه العطب لكونها صعبة المرام عظيمة النفع على الدوام، والأدب أساس الطريق، عليه تبنى الأعمال والأحوال، من كل صادق صديق، رأيت أن أثبت نبذة من الآداب، منّ علينا بها الكريم الوهّاب وسميتها الآداب المرضية لسالك طريق الصوفية، وربنا المسؤول في حصول النفع للإخوان، إنه رؤوف رحيم منّان».

هذا وإتماماً للفائدة ضمنا لهذا الكتاب قصائد الشيخ البوزيدي في التربية والسلوك والمعارف الإلهية وقصائد العارف بالله الشيخ عدة بن تونس المستغانمي أحد كبار شيوخ الطريقة الشاذلية الدرقاوية في تونس. والتي أسماها (ديوان آيات المحبين في مقامات العارفين).

ولا بد من الإشارة إلى أن كتب التصوّف الإسلامي تساعد المريد على الاطلاع على الأحوال والمقامات، التي يمر بها السالك إلى الله تعالى، كما يطّلع على الآداب والحِكَم والقواعد الصوفية، التي يستلهم منها كيفية التحقق بأحكام مقام الإسلام وأنوار مقام الإيمان، وأسرار مقام الإحسان، وصولاً إلى قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: ٩٩]. كل ذلك بإشراف ورعاية وتربية شيخه العالم بأمراض النفوس والقلوب؛ وبالأدوية الشافية له من هذه الأمراض، لأنه ورث عن النبي ﷺ علوم وأسرار مقامات الدين الثلاث: الإسلام والإيمان والإحسان، الشريعة والطريقة والحقيقة، المُلْك والملكوت والجبروت؛ مصداقاً لقوله ﷺ: **«العلماء ورثة الأنبياء»**. وقوله ﷺ: **«إن هذا العلم دين فانظروا عمّن تأخذون دينكم»**.

ونرجو الله تعالى أن ينفعنا والمسلمين بما في هذه الكتب من الحب والإخلاص والصدق واليقين ومن أنوار أسرار ما تعبّدنا للّه به على لسان نبيّه ﷺ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: ٣، ٤]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: ٦٩] لننال السعادة الحقيقية المتمثّلة بمعرفة الله تعالى في الدنيا، والنظر إلى وجهه الكريم في الآخرة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

كتبه الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي
الحسيني الشاذلي الدرقاوي

http://albordj.blogspot.com

ترجمة المؤلف
الشيخ محمد البوزيدي

قال العلاّمة الشيخ عبد الله التليدي في كتابه «المطرب في أولياء المغرب» في ترجمة الشيخ محمد البوزيدي رضي الله عنه وأرضاه:

وُلد رضي الله عنه بقبيلة بني سلمان الغمارية، وبها نشأ وشبّ، ولما قرأ القرآن الكريم وأتقنه وجوّده انقطع لعبادة الله تعالى والسياحة سنينَ طويلة، واستقرَّ مدةً بشاطىء بحر سيدي قاسم ابن مولانا إدريس بضواحي طَنْجة يعبد الله تعالى، ولا تزال خلوته وأثر بنائها بتلك الناحية حتى يومنا هذا، وبها جاءه بعض الصالحين وبقي معه مدة، ثم قال له يوماً: إن حاجتك بفاس عند مولاي العربي الدرقاوي، فشدَّ الرحلة إليه فاتصل به وأخذ عنه الطريقة، وسلّم نفسه إليه ولازم خدمته، وبقيَ تحت تربيته نحو ستةَ عشرَ عاماً ما بين فاس وبني زروال، قائماً بمجاهدة نفسه ورياضتها، والدؤوب على الاستقامة الكاملة والسلوك التام، إلى أن فتح الله عليه الفتحَ الأكبر.

ثم أذن له شيخه في الإرشاد والتربية، والرجوع إلى قبيلة بني سلمان، فلبّى أمره وانصرف، فنزل بقرية بوسلامة، فتصدّى للدعوة إلى الله تعالى وتلقين الأوراد للواردين والأخذ بيدهم، فانتفع به وتاب على يده خلقٌ كبير.

ولنترك أبا العباس سيدي أحمد بن عجيبة تلميذه يملي علينا حالته في ذلك، فقد قال في «شرح رائية شيخه» المذكور:

«ثم أرسله يعمر زاويته بغُمارة، فحييت به العباد، واشتهر ذكره في أقصى البلاد، فأظهر الطريق بعد خمود أنوارها، وأشرقت شموس المعارف بعد كسوف أسرارها». قال: «وله سياحاتٌ في بدايته وكراماتٌ كثيرةٌ تركناها خوفَ التطويل» انتهى.

وقال العلاّمة سيدي محمد بن الخيّاط الزُكاري في تقديمه لرسائل مولاي العربي الدّرقاوي في ترجمة شيوخ مولاي العربي وتلاميذه رضي الله عنهم أجمعين، ونفعنا بهم وبالصالحين في الدارين، قال:

فمنهم ـ وهو أفضلُهم بشهادة شيخه وإخوانه رضي الله عنهم: صفوة خلاصة أرباب الشهود والعيان، وإنسان عين أعيان عيون التمكين في الرسوخ والعرفان، بحر الجواهر واللآلىء العرفانية والياقوت والمرجان، من شَرِبَ كأسَ الحقيقةِ حتى خرج الرِّيُّ من أظفارِه، ورأى ببصيرته ما فاضَ نورُ على حدقةِ أشفاره، فأدرك بنور الحق ما لا يُرى قط، وسمعَ ما لو سمعه شامخ الجبال لدُكَّ وسقط، فردُ الأولياء، وسيدُ أهل وقته بلا امتراء، صاحب المقام الأسمى، والمرتبة العظمى، مَن طلعت شمسُه في أفق السما، الحصنُ المانع الأحمى، الواضحُ الآيات، البيِّنُ العلامات، السكرانُ الصاحي، الشيخُ الجليلُ القَدر، العظيمُ الشأنِ والخَطَر، أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد بوزَيدٍ الغُماريّ السلماني الحسني رضي الله عنه وأرضاه، وجعل جنةَ النظرِ والمعارفِ مثواه. كان رحمه الله قبل ملاقاته بشيخه المذكور شاباً صغيراً قد حبَّب الله إليه الانقطاع إلى الله والاعتماد عليه، ودوام الصيام والقيام، سائحاً في الخلوات، زاهداً ورعاً مجتهداً، لا يأوي إلى العمارة، بلغ في مقامه هذا مبلغاً عظيماً، ونشأ على ذلك من حال صباه، لأن والدته كانت من الصالحات المتعبدات، فأخذه حالُها، ورحَّله غاية الارتحال، فساح وجال بشاطىء بحر طَنْجةَ حرسها الله فلما أراد الله به الكمال الحقيقي، وسلوك طريق الشهود والعيان، ترقياً على الدليل والبرهان، ونفع العباد به، وخدمة شيخه وأولاده، وعن طريق التصوف وأهله؛ هيَّأ الله سبحانه له ولياً من أولياء الغيب، فقال: اذهب إلى فاس، فشيخُك هو بها، وهو فلانٌ الفلاني، إذ الطريق لا تُسلَك بدون شيخ، فقَدِم إليها وهو لا يعرفها ولا أهلَها، ولا الشيخ الذي قصد، فدُلَّ عليه في الحين، فلما قرع الباب خرج ونظر إليه، فأخذ بيده وأدخله على أولاده، وقال له: ما مثلُكَ مَن يقف بالباب، فأنا أنتظركَ منذ كذا وكذا، فلقَّنَ له الوردَ «اسم الجلالة»، اسمَ الله الأعظم، وسلطانَ الأسماء، فأخذه بشرطِه، فنجحَ وأفلح. قام رضي الله عنه بأولاد الشيخ والإخوان والأضياف أحسن قيام، وكفاهم أمرهم ومؤنتهم على الدوام.

كان رضي الله عنه عليّ المقام، مسموع الكلام، ظهر لكل أحدٍ فتوحاتُه، وانتشرت خُلَلُه وبيّناته، أشرقت عليه شموسُ عظمة الذات، فغيّبته عنه وعن جميع الكائنات، مصحوباً بالتأييد، مسلوكاً به طريق الكمال على التجريد والتفريد، لا يُخرجه جمعُه عن حدِّ الاعتدال إلى الانحراف، كأهل الجمع الصِّرْفِ وأرباب الاستشراف.

كان شيخُه مولانا العربي رضي الله عنه يقول في غيبته في حياته وبعد مماته: «سيِّدي محمد بوزيد هو الفرد، والفردُ أكبرُ من القطب في العلم بالله تعالى»، بل قال له ذلك مشافهاً به عن إذنٍ من الحق تعالى كما هو شأنُهم.

وقد قال مولانا العربي رضي الله عنه يوماً بمحضَرِ جمٍّ غفير، وجمع كثيرٍ من أصحابه، علماء وصلحاء، وقراء وأساتيذ وفقراء، رضي الله تعالى عنهم أجمعين: «والله ما نفعني أحدٌ ما نفعني سيدي محمد بُوزَيد، ولا أخذ مني أحدٌ مثلَه، ولا وافقني أحدٌ مثلَه، ولا كذا ولا كذا»، وصار يذكر فضلَه وخصوصيتَه، ويُظهر مرتبته ومزيته.

وقال فيه شيخه بعد وفاته: «هو والله فردُ الأولياء، وسيدُ أهل وقته بلا امتراء، وهو ممن بكت عليه الأرضُ والسماء».

كان رضي الله عنه محبًا للشيخ، مرافقاً له، ومجاوراً له، وملازماً لداره أكثر من داره، ويحمل له من كل ما عنده، ويقول له في كل مرة: يا سيدي كل ما ملّكني الله فهو لك، حتى روحي فهي لك مِلك، حتى كان هذا القولُ هو آخرَ قولٍ قاله له.

والحاصل: أنه كان نادرةَ الزمان، وآيةً كبرى من آيات الرحمٰن، سكن من أرض المعارف ربوةً ذات قرار معين، وفضّ ختام عرائس أبكار المعاني المخدَّرات الحور العين، وأقام على ذلك زمناً طويلاً، وصدَّرَه أربابُها، واعتمدوه أخذاً وتعويلاً، قد ترك من الأذواق ما لا يُعَدُّ ولا يُحصى، فلو جُمِعَت رسائلُه ومنظوماتُه وارداتُه لأربَتْ عن مجلداتٍ عدة. وجد شيخُه مولانا العربي من ذلك قدرَ نصفِ القامة، وأوراقاً مفرقةً مختلفةَ المعاني بحسب وارداتِ الغَيب لم يُخرجها ولم يؤلِّفها، وقد بقيَ بيد الإخوان في كل بلدٍ من مذكَّراته وحِكَمِه ورسائله ومنظوماته ما فيه كفاية، سيّما كتابه المسمى بـ«الآداب المرضية»، فقد أجاد فيها ما شاء، وقد أثنى على هذا التأليف تلميذه الشيخ سيدي أحمد بن عجيبةَ غاية الثناء، وهو أحق بذلك، وهو موجود اليوم بأيدي الفقراء، فيه نحو العشرين كراريس.

وله منظومات منها: «التائية في الخمرة الأزلية»، ومنها: «الرائية»، شرح كلاً منهما تلميذه الشيخ سيدي أحمد بن عجيبة، وقد وقفتُ على كلٍّ من القصيدتين وشرحهما: مطلع الأولى: أيا مَنْ تجلّى في بقاء جماله. والثانية: بتقوى الله حيث توجهتَ.

توفي رضي الله عنه ليلة عاشر المحرَّم سنة ١٢٢٩ هجرية، ودُفِنَ بداره في البيت الذي توفي فيه، بزاويته التي بتجيساس على شاطىء البحر، بقبيلة غُمارة حرسها الله وزادها شرفاً.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلى الله على قطبِ الوجود سيّدنا ومولانا محمّد وعلى آله وصحبه وسلَّمَ أجمعين

الحمد لله المتفضِّل المنّان، الفاتح لمن شاء من خواصّ أصفيائه ما شاء من العرفان، الذي أزاح عن قلوب أوليائه حجب أوهام الأكوان، فسطعت عليهم أنوار البساط، وأشرقت عليهم شموس العرفان، وترجمت الألسن بما تجلّى للسرائر من الشهود والعيان، وألبس ظواهرهم حلل الآداب والأخلاق الحسان.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد نور الأنوار، وعين الأعيان، الذي تفجرت منه ينابيع العلوم وأسرار الرحمٰن، وعلى آله وصحبه أولي البرّ والإحسان.

وبعد:

لما كانت الطرق إلى الله تعالىٰ ـ وخصوصاً طريقَتنا هذه ـ لا تسلك إلا بالآداب، وإلا زلّت قدم السالك وأسرع إليه العطب، لكونها صعبة المرام، عظيمة النفع على الدوام، والأدب أساس الطريق، عليه تبنىٰ الأعمال والأحوال، من كل صادقٍ صدّيق، رأيت أن أثبت نبذةً من الآداب، منَّ علينا بها الكريم الوهّاب، وسمّيتها:

الآداب المرضية لسالك طريق الصوفية

وربنا المسؤول في حصول النفع للإخوان، إنه رؤوفٌ رحيمٌ منّان.

فصلٌ

اعلم يا أخي ـ أرشدني الله وإياك ـ أنّ بالأدب تطوىٰ المسافة، وبه يذهب عنك ما في الطريق من المخافة، والصوفية رضي الله عنهم لا يعرفون ولا يتميزون إلا بالأدب، إذ الشرائع كلها أدب مع الحقيقة، ولولا الأدب ما ظهرت أسرارها، ولا أشرقت أنوارها، وليس في الوجود إلا الحقيقة، وإليه الإشارة بقوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [الإسراء: ٧].

وقوله تعالى: ﴿إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٠].

وقوله تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾ [فُصّلت: ٤٦].

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على الأدب مع الجميع؛ فضلاً مع أوليائه تعالى، فعلى المريد أن يلزم نفسه الأدب لينال من أسرار القريب المجيب.

وبالأدب الظاهر يحصل أدب الباطن، أعني التعظيم، إذ سوء الأدب ينشأ عن عدم التعظيم، وعدم التعظيم من ضعف المحبة، وضعف المحبة من التفات القلب إلى الغير، فلو حصلت المحبة لحصل التعظيم، ولو حصل التعظيم لحصل الأدب، ولو حصل الأدب لحصل التحقيق.

وأنواع الأدب كثيرة، ولكن نذكر بعض ما هو آكدُ منها على المريد، فأقول وبالله أستعين:

[عدم زيارة الشيخ إلا بهدية]*

١ ـ فمِن أدب المريد: أن لا يتقدم لزيارة الشيخ إلا بهدية أو مودة، ولو لم تكن غيبته عنه إلا نحو الثلاثة أيام. وإن كان فقيراً ولم يجد شيئاً فليحتطب شيئاً من طريقه ويأتِ به إن وجده، أو غير ذلك، ومن لم يجد لا قليلاً ولا كثيراً فليُنفق نفسه، ومن لم يكن عندَه إلا شيءٌ قليلٌ فلينفق منه، قال مولانا تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ اللَّهُ﴾ [الطّلاق: ٧]، صدق الله العظيم.

وأمّا إن قدم فارغ اليد فإن مدد الشيخ يمتنع جريانه له، كماء البئر إذا فُقدَ منه الدلو، فالماء موجودٌ لكن لا سبيل إليه، فافهم.

ومن كان ذا مرض أو فاقة شديدة فلا ينبغي أن يمنعه ذلك من الزيارة، وهذا كله لمن طبعه طبع العوام، وعلامته البخل، وأما من كان طبعه السخاء والمحبة فليقدم بالشيء أو بلا شيء، وقدومه بلا شيء كقدومه بشيء، لأن مَن كان على هذا الوصف فهو محبٌّ صادق، ولبيبٌ حاذق، وللزوم أهل القلوب لائق، وبدسائس نفسه عائق، وبشطحات الوجود طارق، وإلى لقاء المحبوب شائق، وفي عين بحر التوحيد غارق.

ومن هنا وصل مَن وصل، وانفصل مَن انفصل، فكن يا أخي موافقاً لأستاذك، في جميع أقوالك وأفعالك، ليمتزجَ حسُّك بحسه، ومعناك بمعناه، وحينئذٍ يفتح لك باب

---

(١) كل العناوين الواردة في الكتاب بين معقوفين [] هي من زيادات المحقق الشيخ الدكتور عاصم الكيالي.

حضرة الأولياء والملائكة، ثم باب رسول الله ﷺ، ثم باب حضرة الحق تعالىٰ، فرحم الله من تفرغ لمحبة الرجال.

[عدم الإكثار من الجلوس مع الشيخ]

٢ ـ ومن أدب المريد الظاهر: أن لا يُكثر الجلوس مع الشيخ لئلا يزول عنه التعظيم، وكثرة الجلوس مع قلة التعظيم لا تزيد المريدَ إلا بُعداً.

ومن هنا كان لملوك الدنيا أدباء وأمراء، وبوابون وحراس، ولو أن كل مَن جاء دخل عليهم من غير مشورة ولا أدب ولا تعظيم لسقطت حرمة الملك وصغر قدره، ولخسر الملك، فافهم. وكذلك مجلس ملوك الآخرة، إذا كثر فيه سوء الأدب، وامتنع الشيخ للمريدين، فيظهر عليهم الضعف والتكاسل وكثرة الكلام، ويبقىٰ المجلس إذ ذاك عارياً عن كسوة الأنوار، فافهم.

[عدم الإكثار من الضحك مع الشيخ]

٣ ـ ومن أدب المريد: أن لا يُكثر الضحك مع الشيخ، وإن ضحك معه فليقصر هو وليراعِ الأدب، وقد يكون ذلك من الشيخ اختباراً له لينظر مقامه في الأدب، فافهم.

وليكن على حذر، لأن هذه علل تؤدي صاحبها إلى المقت، ومن ظهر عليه شيء منها فالواجب عليه أن يبادر إلى التوبة، وأن يلزم نفسه الحياء من الشيخ، وليجاسدها في الخروج من طبع أهل اللهو واللعب، فإن الشيخ على قدر ما يكون عندك تكون عنده، فإن أردت أن تعرف ما عندك من حرمة الله وحرمة رسوله ﷺ فانظر ما عندك من حرمة شيخك، فافهم.

[عدم الإكثار من الكلام بحضرة الشيخ]

٤ ـ ومن أدب المريد: أن لا يكثر الكلام بحضرة الشيخ، أحرىٰ وأحرىٰ مع رفع الصوت، ومن كثر كلامه حتماً يرتفع صوته، وإذا كان كثرة الكلام بخفض الصوت سوء أدب فكيف مع رفع الصوت؟!

واسمع هاهنا قوله تعالىٰ: ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ [الحجرات: ٢] الآية.

وينبغي للمريد أن يروض نفسه ويعودها الكلام اللين، ليخرج من صفة الجبابرة الغافلين، ويتحلىٰ بصفة الذاكرين الخائفين، قال تعالىٰ: ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ [لقمان: ١٩].

ثم ينقلها إلى الصمت بسياسة ورفق، ويستعين على ذلك بشيء من العزلة، وحضور الفكرة، حتى يجعلها في شبكة الحضرة، ومَن لم يسلك سبيل الرياضة فهو مملوكٌ في يدها، مقهور تحت حكمها، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

[عدم الجلوس عن يمين الشيخ أو عن يساره]

٥ ـ ومن أدب المريد: أن لا يجلس عن يمين الشيخ أو عن يساره، ولو دعاك إلى ذلك؛ فليقدم الأدب على الأمر، كما هو معلوم، بل يجلس أمامه، وجهه إلى وجهه، وعيناه إلى عينيه، وقلبه إلى قلبه، وإن كان المجلس كبيراً فليجلس من وراء الناس مقابلاً له كما قلنا، فإن المريد إذا دخل على الشيخ كان كمن دخل المسجد، ولا ينبغي لمن دخل المسجد أن يجلس مدبراً عن القبلة، أو يشتغل بغير ذكر الله، لأن المسجد موضع العبادة، والشيخ قبلة المريد، وحرمته أعظم من حرمة القبلة، لقوله ﷺ يخاطب القبلة؛ أي: الكعبة: **«ما أعظمك وما أعظم حرمتك! والمؤمن أعظم حرمة منك»**[1]، وإذا كان هذا في حق كل مؤمن، فكيف بالولي منهم!.

ولقد قال سيدي أبو العباس المرسي رضي الله عنه: «لو كشف عن نور المؤمن العاصي لطبّق ما بين السماء والأرض»، فما بالك بنور المؤمن العظيم؟.

فاعرف يا أخي قدر الرجال عند الله، وعظّم ما عظّم الله، وإياك والعكس فتُمقت، ويُستهزأ بك من حيث استهزأت بآيات الله، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾ [البَقَرَة: ٢٣١].

وينبغي لهذا المريد أن يروّض نفسه، وأن يلزمها تعظيم المؤمنين جميعاً، ولا سيما الأولياء منهم، وأحرىٰ الشيخ الذي أخرجه من ظلمات الشهوات، وأنقذه من نار نفسه، وسرّحه من سجن حسه، فهو أولىٰ بالتعظيم من كل أحد، ويتحفّظ على الأدب لساناً، وعيناً، وأذناً، وفرجاً، وبطناً، ويداً، ورجلاً، وغير ذلك، فافهم.

---

(١) روى نحوه ابن ماجة في سننه، باب حرمة دم المؤمن وماله، حديث رقم (٣٩٣٢) [٢/١٢٩٧] ونصه: عن عبد الله بن عمرو قال: رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة ويقول: **«ما أطيبك وأطيب ريحك ما أعظمك وأعظم حرمتك والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك ماله ودمه وأن نظن به إلا خيراً»** ورواه الطبراني في مسند الشاميين حديث رقم (١٥٦٨) [٢/٣٩٦] ورواه غيرهما.

[عدم إكثار النظر للشيخ]

٦ ـ ومن أدب المريد: أن لا يكثر النظر للشيخ إذا جلس أمامه، فإن كثرة النظر تورث قلة الحياء، إلا عند التذكير. نعم، إن غلب الشوق، وأشرقت على قلبه أنوار الصفات فلا يضره ذلك، ولا يقع هذا إلا عند الاستشراف على البقاء حين تتجلىٰ له أنوار المصطفىٰ ﷺ، وكثيراً ما تظهر له في الشيخ، فإن اتّسعت ظهرت له في جميع الصالحين، فإن اتّسعت عادت له في جميع المؤمنين، بل في سائر المخلوقات، وهذا مقام عظيم يحتاج إلى صفاء كبير، فافهم!.

وأما قبل هذا فلا ينبغي له أن يرفع بصره في الشيخ إلا كرفع المرفوع بصره في الشمس، وإلا خلا قلبه من التعظيم، ورجع عنه كأحد الناس.

وينبغي لهذا المريد أن يلزم نفسه مراقبة الله، ومراقبة رسوله صلى الله عليه وآله وسلّم هي التي تنبت السخاء، والمحبة، والتعظيم، والنية، والصدق، والإخلاص، وغير ذلك، لأن من راقب الله خافه، ومن خافه اتقاه وأحبه، ومن أحبه آثره، ومن آثره فني فيه، ومن فني فيه بلغ قصده ومناه.

[عدم تقرير المسائل العلمية في حضرة الشيخ]

٧ ـ ومن أدب المريد: أن لا يبادر بالكلام عند تقرير شيخه بعض العبارات لئلا يحكم فيها برأيه وفهمه، فيحملها على غير ما أراده الشيخ، فيغير معانيها، ويطمس أنوارها، فيتغير عليه الشيخ وهو لا يشعر، وحيث مُنع ظهور وجه الحكمة فلا يفتح على باطنه شيء من أسرار الغيوب، فافهم!.

قال تعالىٰ: ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنبياء: ٣٧].

وينبغي لهذا المريد أن يضع علمه وراءه، ولو كان عارفاً، لئلا يقع أحياناً فيما قلناه، ولا سيما إن كان يحكم بعلم الظاهر، فالواجب عليه أن يسكت ولا يتكلم، حتى يفتح الله عليه، وهو خير الفاتحين.

[عدم الجلوس كجلسة العوام أمام الشيخ]

٨ ـ ومن أدب المريد: أن لا يجلس أمام الشيخ جلسة العوام، بل يجلس جلسة المملوك مع الملوك، وذلك كجلسة المصلي في الصلاة، لأن الشيخ قبلة المريد كما تقدم.

ولا ينبغي له أن يلتفت يميناً ولا شمالاً، ما دام أمام شيخه في مجلس الذكر والمذاكرة، فإن قام الشيخ فليلتفت إلى أي شيء إن كان راسخ القدم في الحضور، وإلا فليستحضر شيخه ومذاكرته بين عينيه في كل مجلس، حتى يحصل له الحضور مع الله تعالى، وحينئذٍ فلا يغيب عنه شيء لكونه ينظر بالقلب لا بالجوارح، ومن هنا كانت النظرة جملة العارفين وكليتهم، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ [الكهف: ١٨]، أي: تحسبهم ينظرون إلى هذا العالم بنور العينين وهم رقود عنه، أي: ينظرون إليه بنور العيان، فما فقدوا الكون على التحقيق إلا لكونهم شهدوه بالله.

فخذ يا أخي سياسة قلبك إلى الحضور، واعرف حقيقة الأدب، ولا تستهزىء فيُستهزأ بك، ولا تلعب فيُلعب بك، وإن جهلته فاسأل عليه أهله، وإياك والتكبر، قال تعالى: ﴿فَسْئَلُوٓا أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، أعني: أهل المعرفة بالأدب، كالشيخ والإخوان الذين لهم سبقية في الصدق، والمحبة، والتعظيم، وغير ذلك، فافهم!.

[عدم المشي مع الشيخ مساوياً له]

٩ ـ ومن أدب المريد: أن لا يمشي عن يمين الشيخ أو يساره مساوياً له، فضلاً عن أن يتقدم، بل يتأخر قليلاً، فإن الشيخ إمام، والمريد مأموم، ولا ينبغي للمأموم أن يتقدم أمام الإمام، قال مولانا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحُجرَات: ١].

وإن تكلم معه فليجاوبه بملاطفة ولين، لقوله تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ [الحُجرَات: ٢]، كما تقدم.

وإن كان الشيخ راكباً وقدمه أمامه فلا بأس، إذ هو أمامه في الحقيقة. وإن لم يقدمه فليتأخر، فعلى قدر ما يظهر من التعظيم في المريد يظهر عليه من التنوير، والعكس، ووالله لو صحب الإنسان عامياً وعظمه لله لأمدّه الحق تعالى بما ليس هو فيه، فإن حقيقة الأشياء كلها عظيمة فضلاً عن المسلمين.

فاستحضر يا أخي مراقبة الله ومشاهدته في كل شيء، لتعظّم كل شيء، ويمدك الحق سبحانه من كل شيء، قال تعالى: ﴿إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ﴾ [الأنفال: ٧٠].

وقال شيخنا سيدي مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه: من شهد الكمال في كل شيء، استمد من كل شيء، وزاد قرباً إلى الله بكل شيء، ومن شهد النقص في كل شيء، استمد منه كل شيء، وزاد بُعداً من الله بكل شيء. انتهىٰ. فافهم هذه الإشارة يرحمك الله.

[عدم التقدم بشيخه للصلاة]

١٠ ـ ومن أدب المريد: أن لا يتقدم بشيخه للصلاة، فإن أمره الشيخ فليتقدم، ولا يعود ثانياً إلا إن أمره كذلك، وهكذا.

وإن أمره أن يكون إماماً راتباً فلا يتأخر، فإن تأخر كان ذلك منه سوء أدب، كما أنه إذا تقدم من غير إذن أساء الأدب، وليستغفر إذا قدمه الشيخ للصلاة، وليقل: «اللهم اجعل صلاتي بأوليائك رحمة، ولا تجعلها نقمة علي يا أرحم الراحمين، يا رب العالمين».

وينبغي للمريد أن لا يرىٰ نفسه أهلاً للتقديم بأحد من المسلمين، فضلاً عن أوليائه تعالىٰ.

والمريد الصادق إذا تقدم بالشيخ ارتعد جسمه، وسال عرقه، بل يهون عليه قطع رأسه دون أن يتقدم بشيخه لكثرة الحياء من الله تعالىٰ.

فتأمل يا أخي، واحتفظ جهدك، والله يعيننا وإياك.

[عدم الجلوس بموضع الشيخ]

١١ ـ ومن أدب المريد: أن لا يجلس بموضع الشيخ ولا على بساط يجلس عليه الشيخ ولو أمره، سواء كان في موضع جلوسه، أو غيره، وليتحرز ما أمكنه، وإن جلس ولم يشعر فلا يضره إن لم يعد، وليقم مهما أُشعِر، فإن عاد فلا يلومنَّ إلا نفسه.

وانظر أدب الرعية مع ملوك الدنيا، مع أن ذلك بعض البعض من آداب الصوفية، إذ الصوفية تأدّبوا مع الأشياء كلها ظاهراً وباطناً، والرعية تأدّبوا مع وجهة واحدة ظاهراً فقط، وانظر ما خص به الصوفية ـ رضي الله عنهم ونفعنا بمحبتهم ـ من الخير والشرف والبركة يرحمك الله! فلا شيء أنفع لضعف الحجاب ورفعه بالكلية من الأدب مع الشيخ.

وإن أذن لك ـ يا أخي! ـ في شيء فزنه بميزان الشرع، ثم ارجع إلى قلبك واستفته إن كانت شمس قلبك قد طلعت، وإلا فاعمل بالأدب الظاهر، وهو ما قاله الشيخ، حتى

يفتح الله وهو خير الفاتحين، لأنه قد يكون في إذنه لك أمور أراد اختبارك بها وأنت لا تشعر، **والإنسان يدرك بالأدب ما لا يدركه غيره بالاجتهاد في كثير من العبادات**، وقد قال ﷺ: «**ما فاتكم أبو بكر بكثرة صلاة ولا صوم، ولكن بشيء وقر في صدره**»[١]. أعني الأدب، كأن العبادات كلها من حيث هي قولاً وفعلاً راجعة إلى الأدب؛ فلا يحيط به إلا من حصّله، وهذا لا يدركه إلا من خرجت الدنيا من يديه وقلبه، ولا تخرج من اليد والقلب إلا بالسلوك على يد شيخ عارف بالله تعالى، لأنها قد تخرج من الظواهر، وتبقى في البواطن، ولا يعرف البواقي الباطنة إلا أهل المعرفة بالله.

فاسلك ـ يا أخي! ـ على يد شيخ عارف، لتخرج من طبع الجهل إلى طبع العلم، ومن طبع العلم إلى طبع المعلوم، حتى يحلّيك ويخليك، ويقربك ويوصلك، ويهنيك ويتركك وربك، وما ذلك على الله بعزيز.

[عدم الأكل مع الشيخ]

١٢ ـ ومن أدب المريد: أن لا يأكل مع الشيخ، سواء كان وحده أو مع الناس، لأنه إذا حصل التعظيم حقاً حصل في كل موضع، وأما من لا يعظم شيخه إلا بحضرة الناس أو عكسه، لكونه يستحي من الناس أن يعظمه، أو يعظم أولاد الشيخ، وأهل داره إذا حضر، ولا يعظمهم إذا غاب، فهذه صفة المنافقين المخادعين، الذين يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله.

فلا تأكل يا أخي! مع شيخك، وإن ألح عليك غاية الإلحاح فاعتذر له غاية الاعتذار، فإنه لا يضرُّك شيء، إلا إن أقسم لك فلا تتوانَ، وإن لم يقسم لك فابعد ولا تقرب، فإن الأكل مع الشيخ سم قاتل لأهل الصدق، **وكلامنا كله مع أهل الصدق، وغيرهم لا يفهم معنى ما قلناه**، وثَمَّ معانٍ أخرى لا تسطر بالأوراق، وإنما محلها القلوب.

ولا تغترَّ بمجرَّد إذنه لك في الأكل، فقد يكون اختباراً منه لك لينظر مقامك في الحياء من الله تعالى، لأن من حصل له الحياء من الله عزّ وجل يستحي أن يفتح خواشمه أمام شيخه، فإن استحييت منه علم أنك استحييت من الله، وتحقق أنك دخلت حضرة

---

(١) أورده أبو عبد الله الزرعي في نقد المنقول برقم (١٥١) [١/ ١٠٤] وقال هذا من كلام أبي بكر بن عياش، ونصه: ما سبقكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة، وإنما سبقكم بشيء وقر في صدره.

الله، وإن لم تستحِ منه فاعلم أنك لم تحصل مقام الحياء من الله، وتحقق أن ليس لك في الحضرة نصيب، فتسقط من عينه، ويتركك وما تريد لعلمه أنك لا تصلح للحضرة، إلا إن طالت معه صحبتك مثل سنة أو أكثر، ومن لم يصل إلى هذا المقام من الأدب مع الأشياخ فليلازمهم، وليحمد الله على مخالطتهم، إذ لو جعله الله مُقاماً على أبواب الظُّلْمة ماذا كان يفعل؟!.

اللهم لا تحرمنا من خيرهم وبركاتهم، وسرهم وحكمتهم، وأنوارهم الساطعة بجاه نبيك سيدنا محمد ﷺ، إنك على كل شيء قدير.

[عدم النوم مع الشيخ]

١٣ ـ ومن أدب المريد: أن لا ينام مع الشيخ في بيت واحد ولو لم يجد سواه، بل ينام خارج البيت سواء كان البرد أو الحر، أو يخاف من اللصوص أو السباع. وإن ألحَّ عليه الشيخ فليعتذر إليه بحرف أو ما أشبهه، فإن نومه مع الشيخ يمنعه من النوم، وذلك من أعظم سوء الأدب. وقد وقع مني شيء من هذا مع شيخي، وكنت جاهلاً بظاهر الأدب، فانتبهت وحمدت الله حيث ألهمني لعيوبي، وسوء أدبي، وشكرته بلساني وقلبي.

فإياك يا أخي! ثم إياك أن تنام مع شيخك في بيت واحد فتؤذيه بريحك، أو سعالك، أو ما أشبه ذلك. ومن لم يحصل له أدب مع طول الصحبة، فالواجب على معلمه أن يدفعه إلى حضرة المخزن[1]، حتى يتربّى ويتأدب، وحينئذ يرده إليه، فيسلك به الطريق، ويكشف له عن حقيقة التحقيق، **فالطريق كلها أدب، ومن لا أدب له فلا طريق له**.

وقد قال شيخنا سيدي مولاي العربي [الدرقاوي] رضي الله عنه: «إذا حضر الأدب حضرت الطريق، وإن غاب الأدب فلا أدب ولا طريق». انتهى.

والأدب سفينة النجاة، فمن ركبها نجا، وإن كان مع جهل. وقد رأيت من الناس من فيه أوصاف محمودة مع عدم علمه، وقلة فهمه، ورونقة تلك الأوصاف ظاهرة عليه. ورأيت من له علم وفهم مع أوصاف مذمومة، وقد ظهرت عليه ظلمة تلك الأوصاف.

---

(١) المـَخْزَن: كلمة دارجة في اللهجة المحلية المغربية ومعناها الحكومة، والمخَازني: الموظف الحكومي (معجم شمال المغرب تطوان وما حولها، حرف الخاء، ص٧٠).

والمؤمن لا يعرف أخاه إلا من حسن خلقه، لقوله صلىٰ الله عليه وآله وسلم: «**إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم، وهو غير عابد**»[١].

ولما كان ﷺ أعظم الناس قدراً كان أعظمهم خلقاً، قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝﴾ [القَلَم: ٤].

[عدم مناداة الشيخ]

١٤ ـ ومن أدب المريد: أن لا ينادي على الشيخ إذا دخل داره، ولو كانت له به حاجة كبيرة وألجأته إليه ضرورة، فلا يقترب باب داره، ولا ينادي عليه، بل يصبر حتى يخرج؛ فربما يكون نائماً فتشوشه، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [الحُجرَات: ٥].

فألزم نفسك يا أخي! الأدب، واصبر حتى يخرج الشيخ، وتلقاه بأدب وتواضع وهيبة وتعظيم، واسأله حاجتك تقضىٰ في الحين إن شاء الله، وقد تقضىٰ حاجتك قبل خروج الشيخ إن كنت على ما وصفتُ من الأدب، لأن تأدُّبك مع أولياء الله تأدُّبٌ مع الله تعالىٰ، ولا يقضي لك جميع الحوائج إلا الأدب، ولا يمنع قضاء حوائج الدنيا والآخرة من الأولياء إلا سوء الأدب، وقد تقضىٰ بعض الحوائج مع سوء الأدب لأجل الاضطرار؛ لأن الاضطرار مقرون بالإجابة، والإجابة عند أهل التحقيق على قدر الأدب، فافهم.

[عدم الجلوس أمام باب منزل الشيخ]

١٥ ـ ومن أدب المريد: أن لا يجلس مقابلاً لباب دار الشيخ إلا بإذنه، وإن لم يكن إذن فحرامٌ عليه بإجماع من أهل الأدب، وإن أذن له فليعط ظهره لباب الدار، وإن كان الشيخ هناك وأراد استدبار الشيخ فليعتذر إليه ولا يجلس في ذاك الوقت يَسْلَم باطنه، ولا يضره إذ ذاك الاعتذار لكونه على وجه شرعي، أو نقول: إن أخطأ في الظاهر أصاب في الباطن، والخطأ الظاهر أولىٰ من خطأ الباطن، إذ عقوبة الباطن لا تداوىٰ إلا بتوبة صادقة، نسأل الله السلامة بمنّه.

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب الإيمان، حديث رقم (١٩٩) [١/١٢٨] وأبو داود في سننه، باب في حسن الخلق، حديث رقم (٤٧٩٨) [٤/٢٥٢] وليس في الحديث جملة (وهو غير عابد).

[عدم الدخول إلى منزل الشيخ بغير إذنه]

١٦ ـ ومن أدب المريد: أن لا يدخل دار الشيخ إلا بحضوره وإذنه، ولا يدخل بمجرد الإذن إلا إن صرح له بذلك، وقال له: ادخل وحدك، فلا بأس، لأن بعض الصوفية حفتهم الغَيْبَة [عن الحس]، وانتشر عليهم رداء الهيبة، وليس هم في هذا العالم، ولا لهم نظر إلى سائر الأنام، محفوظين من جميع الآثام، رضي الله عن جميعهم.

والدخول إلى منازل الناس يحتاج إلى تقوىٰ عظيمة، وفي منازل الأشياخ أكثر. ومن أراد الخير كله فعليه بالأدب مع الله ورسوله، ولا يتحرك في شيء حتى يستحضر الله ورسوله والملائكة، فإن كان هكذا، فالتقوىٰ حاصلة مع الحجر والمدر وغير ذلك، ومن لم يكن هكذا فلا يتعرض إلى هلاك نفسه.

فإن أردت يا أخي! أن تدخل حيث شئت، فلا تفك قلبك من الحضور، فإن الله تعالىٰ يحضر معك في كل موضع حضور الرضا، ويحفظك من سابق القضاء، والله غالب على أمره.

[عدم الأخذ من متاع الدنيا]

١٧ ـ ومن أدب المريد: أن لا يأخذ شيئاً من متاع الدنيا، قلَّ أو جلَّ، ولو ألحَّ عليه الشيخ في ذلك، إلا إذ لم يكن عنده قوتُ ساعة، وكان قد قصد زيارته لله لا غير، ثم أعطاه شيئاً وألحَّ عليه في أخذه، فليأخذه لعلَّ فيه خيراً، وقد يكون سبباً لقناعته وغناه القلبي، فافهم.

وأما إن كان عنده قوت يومه فلا يأخذ، وإن ألحَّ عليه فليعتذر إليه جهده، فقد يختبره بذلك، وينظر هل خرج من قلبه الطمع أم لا، فإنك إن أخذت منه على غير الوجه الذي ذكرناه لك، دلَّ على أنك لم ترفع همتك من الخلق، ولم تقطع نظرك إلى الحق.

وينبغي لهذا المريد أن يروِّض نفسه بترك الطمع، ويلزمها الزهد والورع حتى يعرف من يطعمه، ويسقيه، ويكسيه، ويحركه، ويسكنه، ويحييه، ويميته، فإن صاحب الطمع لم يزل تابعاً للأشياء ولو عاش ألف سنة، ولو ترك الطمع ورفع همته إلى الله تعالىٰ لكانت الأشياء تابعة له، فافهم.

فاصرف يا أخي! همتك في الله، واقنع بالقليل تصير شاكراً لله عزَّ وجل، وغب عن القليل والكثير تكن ذاكراً لله على الكمال، ومن شكر الله على القليل أغنىٰ الله قلبه،

ورزقه القناعة، ومنعه التدبير والاختيار، وقطع عنه جيوش الحرص وظلمات الأغيار، وكساه برداء السكينة والوقار.

هذا سر ترك الطمع في الخلق، ورفع الهمة إلى الملك الحق، لأن القوم ليس مرادهم الدنيا، وإنما مرادهم خروج المريد عن طبعه المذموم الذي منعه دخول الحضرة، إذ الحضرة لا يدخلها بخيل، وقد قال الله تعالى فيمن لم يجد شيئاً ينفقه: ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ [التوبة: ٩١] بعد قوله: ﴿إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾ [المجادلة: ١٢].

والمودة ـ أي: الصدقة ـ تدل على أن الزائر جاء بقلبه وبدنه، وعدمها يدل على أنه جاء بالجسد دون القلب، ومن أتى بالقلب رجع بالقلب، ومن أتى إليه بالجسد رجع بالجسد، فافهم.

وينبغي لهذا المريد أن يملك نفسه للشيخ ليقوده إلى عالم الملكوت، ويقف به على حضرة أهل الجود والكرم فيعظم الآخرة على الدنيا، ويحب الانتقال من هذه الدار إلى الدار الباقية، ليشهد الدنيا سوقاً في طريق الآخرة، يتزود منه السائرون، وكثير من الناس اتخذوا هذا السوق دار وطن، وحجبوا عن دار البقاء، وألهتهم حياتهم الفانية، ورجعت الدنيا عندهم كأنها دار بقاء، فانكبوا على شهواتهم، واسترسلوا مع عوائدهم، على مر لياليهم وأيامهم، ولا يعتبرون بآية سمعوها، ولا بموعظة خوطبوا بها، لأنهم أموات، نسأل الله السلامة في ديننا وعقلنا، بمنّه وكرمه.

ومن هنا قال شيخنا رضي الله عنه: «ليس المرض الكبير هو الحب الذي يخرج في الجسد بالقيح والصديد، إنما المرض الكبير هو حبُّ الدنيا». فافهم ما قاله رضي الله عنه.

[عدم تقريب عياله من عيال شيخه إلا للتبرك بهم]

١٨ ـ ومن أدب المريد: أن لا يقرب عياله لعيال الشيخ إلا بنية الزيارة والتبرك بهم لله لا غير، وينبغي لهم إذا قدموا لدار الشيخ أن لا يجلسوا أكثر من ثلاث ساعات، إلا إن كانوا من بلد بعيدة فيجلسوا ثلاثة أيام، وإن زادوا أكثر من ذلك فما شموا للأدب رائحة، إلا إن كان بعزم كبير من الشيخ أو من أهل الدار على الإقامة.

وينبغي لهم أن لا يكثروا الكلام ولا الضحك، ولا الأكل ولا الدخول ولا الخروج، بل يلزمون الحياء والوقار. ومن الواجب عليهم أن يقوموا بأشغلة الدار كلها.

ومن علم من أولاده عدم القيام بهذا الأدب فليمنعهم من القدوم إلى دار الشيخ، وليقل لهم: حقيقة الزيارة لا تقدرون عليها لأنها عظيمة، وزيارتكم من ههنا أحسن فإنهم إن قدموا وأساؤوا الأدب عاد ذلك عليك أيها المريد لا عليهم فتؤذىٰ وأنت لا تشعر.

وينبغي لهم أن لا يقدموا إلا بهدية ومودة تفرح أولاد الشيخ كما تقدم في الأدب قبل هذا.

ومن أقبح عيوب الفقير البخل مع عامة الناس، فضلاً عن شيخه.

وإياك يا أخي أن تقول: أنا فقير وعيالي فقراء! فهم أولىٰ بما يقدمون به على الشيخ! لأنا قدمنا أن المريد لا بد له من ذلك، ولو لم يكن عنده إلا الشيء القليل لقوله تعالىٰ: ﴿فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَنٰهُ ٱللَّهُۚ﴾ [الطَّلَاق: ٧]. ولا يسمع قول نفسه الأمّارة التي تخدعه، وعيوب الفقير: البخل والكذب.

واعتبر ههنا لحكاية وقعت لشيخنا رضي الله عنه مع من كان يطلب الطريق على وفق هواه وشهوته، وينسب لنفسه الإخلاص ويتكلم فيه، بل كان يدّعي الأنانية المحضة، ويتكلم في خرق العوائد، وذلك أن الشيخ رضي الله عنه كان يتكلم عن الإخلاص وما ينشأ عنه، فقام إليه ذلك الرجل وقال: يا سيدي! لم أرَ شيئاً من هذه الأسرار التي تذكرها، وأنا لا أعلم شيئاً في باطني من البواقي؟! فقال له الشيخ: بل هي باقية فيك. فقال: وما هي؟ فقال له: إذا رزقك الله ستة فلوس وجاء من يطلبها منك، تقول لك نفسك: أنا أولىٰ بها، فتشح! فسكت.

وكان يتكلم في الفقر كثيراً ولا يتهمه أحد منا بشيء سوىٰ الشيخ كان يتهمه، فضيقت عليه نفسه فسافر إلى ناحية المشرق، فخرج عليه اللصوص، فوجدوا عنده عشرة مثاقيل فأخذوها وتركوه، فرجع وظهرت عليه الخيانة، وزلّت قدمه عن الطريق، ولم يزل في زيادة الضلال حتى عاد ينكر على الفقراء أحوالهم، نسأل الله السلامة بمنّه.

فتأمل ـ رحمك الله ـ ما صنع حبُّ الدنيا بأهله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

عجباً لمن يدعي الخروج عن نفسه ولم يقدر أن يخرج ما في يده!.

وينبغي لهم إن أعطاهم أهل دار الشيخ شيئاً أن لا يأخذوه، لتكون زيارتهم لله لا لغيره، فافهم، إلا أن يكون مما يؤكل قليلاً.

[عدم لبس فضلة الشيخ]

١٩ ـ ومن أدب المريد: أن لا يلبس فضلة الشيخ من ثوب أو غيره، فإن أعطاه الشيخ فضلة من حوائجه فليرفعها، ويحترمها، ويعظمها، ويتبرك بها لكونها قريبة العهد من الله، كانت على جسد ليس بينه وبين الله حجاب، ومن لم يأخذها على هذا الوجه فليتركها ولا يأخذها، ويعتذر، ولا يضره الاعتذار، لأن الشيخ شفيق على المريد. فإن حمل عنه الشيخ القيام بحقوقها فلا بأس بأخذها. واعتذار المريد في عدم أخذها يؤخذ من قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ [الأحزاب: ٧٢]، أي: اعتذرن، فإنهن لا يقدرن على حملها خوفاً منهن أن يقعن في سوء الأدب مع الله تعالىٰ، واعتذارهن شريعة لا حقيقة، إذ هو مصحوب بالأدب، ولو كان عارياً عن الأدب لكان حقيقة، ولو كان حقيقة ما عذرهن الحق تعالىٰ، ولَكَلَّفَهُنَّ بالحمل رغماً على أنفهن.

فتأدب يا أخي! يرفع عنك كل مشقة ومحنة، ونقمة وبلوىٰ.

[عدم لبس الجديد بدون إذن الشيخ]

٢٠ ـ ومن أدب المريد: أن لا يلبس ثوباً جديداً إلا بإذن الشيخ، ولو كان ما فيه ثلاثة دراهم، لأن الثوب الجديد حرامٌ على المريد الصادق، فإن لبسه فقد زلّت قدمه عن طريق الصديقين. وعلامة الفقير الصادق أن يبيع كل ثوب جديد ساقه الحق إليه، ويشتري به ثوباً خلقاً ويتصدّق بما فضل. والثوب الجديد الذي يقوم في الزينة مقام الثوب البالي من كون النفس لا تنظر إليه ولا الخلق فلا بأس بلبسه. وأما الجديد الرفيع فلا بد أن يشاور الشيخ في بيعه أو لبسه، فإن لبسه بغير مشورة كان مقتدياً بنفسه، إذ الثوب الجديد الرهيف لباس أهل الدنيا، وحرام على أهل الآخرة أن يتزينوا بزينة أهل الدنيا، ومن تزين بزينتهم بطلت نسبته الظاهرة، وإن بطلت النسبة الظاهرة، بطلت الباطنة على التحقيق.

ولا يكون الفقير فقيراً حتى يكون كاملاً ذاتاً وصفة، أعني: ظاهراً وباطناً، فإن لم يكن على هذا الحال، بطل فقره عند المحققين، لأن الظاهر هو الذي يشهد لصاحبه بما في باطنه. وأيضاً أما يستحي أن يكذب خلق الله حين ينادونه بما ليس فيه، فيقولون له: يا فقير! هذا التكذيب حقيقة. وأما شريعة: فكذبه عليه. فانتهر نفسك يا أخي! ظاهراً وباطناً، وإياك والتصنع والتزين بالأقوال دون الأفعال والأحوال، وتخلّق بأخلاق الفقراء الذين وصفهم الله تعالىٰ في كتابه العزيز، وإلا فستُفضح: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ﴾ [الحشر: ٨].

ومن علامتهم: أن تحن القلوب عند رؤيتهم، وتنحل لهم الأيدي المعقودة، وتخضع لهم الرقاب المتكبرة. وسبب هذا: ملازمتهم لأوصافهم، من فقر وذل، وضعف، وعجز، وجهل، وغير ذلك اختباراً منهم، واقتداء بنبيهم صلّى الله عليه وآله وسلّم تركوا الشهوات مع وجودها لديهم في محبة الله ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم. فإن أردت ـ يا أخي! ـ أن تكون منهم فتخلّق بأخلاقهم، ومن لم يتخلّق بأخلاقهم فلا يطمع في نيل مراتبهم، ولو كان على عبادة الثقلين، إلا إن كانت له فيهم محبة عظيمة، وكان يؤثرهم على نفسه لأن الفقر والمسكنة منهما تفرعت العبادات كلها.

فاسلك ـ يا أخي! ـ على يد شيخ يعالج أمراض قلبك، وتبرأ من هم الرزق، ومن محبة العز والجاه، فإن هذه العلل هي التي قطعت كثيراً من السائرين إلى الله تعالىٰ، وهي عقبة كبيرة، فمن جازها سهل عليه ما بعدها، والعكس.

فالزم ـ يا أخي! ـ أهل حضرة الله، واصبر على مناقشتهم، وإقماعهم، وإهمالهم، فذلك منهم كله حرب مع نفسك الأمّارة، لا معك، فاصبر حتى يقطعوا بك القواطع التي قطعتك عن الفكرة، ومنعتك من دخول الحضرة، فإن صبرت نبت، وإن نبت لقحت، وإن لقحت زهرت، وإذا زهرت أثمرت، وإذا أثمرت أكلت، ووكلت، وما ذلك على الله بعزيز، فتأمل ـ يرحمك الله ـ فإني طويت لك الطريق بنعت التحقيق، والله عليم حكيم.

[عدم شكوى حوائجه للشيخ]

٢١ ـ ومن أدب المريد: أن لا يشكو لشيخه حوائج دنياه، فإن عسر شيء عليه فليتوسل إلى الله تعالىٰ بشيخه، ولا يظهر ذلك، ومن أظهر ذلك، فقلَّ أن يفلح؛ فإن دخوله بحضرة الشيخ كان بنية الآخرة لا بنية الدنيا، وحينئذ فلا يطلب خلاف ما قصد، وإن طلبه كان ذلك غشاً منه، وسوء أدب. ومن كان على هذا الحال فهو محسوب من العوام، فإن ظهر من المريد شبه هذا فليعترف لله ولرسوله، وللشيخ بأنه مسيء الأدب، ثم يتوب إلى الله توبة نصوحاً، ظاهراً وباطناً. ظاهراً بالجوارح مع الشيخ، وباطناً بالقلب مع الله ورسوله، والله تعالىٰ أعلم.

وينبغي له أيضاً: أن لا يشتكي للشيخ بالفقر، وإذاية الخلق، ولا للإخوان، ولا لغيرهم، بل يلزم نفسه المجاهدة والمكابدة، والصبر على معرفة الله. فإن المعرفة أولها صبر ومجاهدة، ثم حب ومكابدة، ثم غيب ومشاهدة، ثم صحو ومكالمة. فمن كانت بدايته كما ذكرنا كانت نهايته كذلك.

واعلم أن المريد إذا اشتكىٰ للشيخ الفقر والإذاية سقط من عينه إلا إذا كان جاهلاً بعلم الطريق فَيُعَلَّم، فإذا عُلم ثم شكا سقط من عينه، لا سيما إن كان يدّعي القرب من الحضرة، ويزعم أنه ثابت في النظرة، فإن شكواه تكذب دعواه، والراسخ في المعرفة لا يخفىٰ. وعند وجود التصرفات يعرف كل واحد وحده، ولا تبقىٰ دعوىٰ خفية دون وجود البلية، فافهم.

والمريد الحقيقي لا يشتكي من جوع أو عري، أو ضرب، أو غير ذلك محبة في الله، لأنه لا يعلم فاعلاً غير الله، ولا يشتكي إلا من شهد فعل غيره، ومن كان كثير الشكوىٰ لا يصلح للحضرة، لأن الحضرة لا تصلح إلا للرجال، وهذا من جملة النساء، لأن النساء يشتكين من مرض ذبابة، لكثرة عزة نفوسهن عليهن.

وينبغي لهذا المريد أن يروض نفسه، وأن يلزمها الذل حتى ترجع بمنزلة الكلب الأبرص، يستثقل الناس النظر إليه، فضلاً عن القرب منه، لأكلٍ أو غيره، لتذوب نفسه، وتفنىٰ، وتضمحل، وترق، وتدق، ليسرع دخولها من باب الحضرة، لأن باب الحضرة ضيقة على النفس المتكبرة بالمال والجاه، أو غير ذلك من العلل التي منعت كثيراً من الناس دخول الحضرة، والحضرة معنىٰ، ولا يدخل الحضرة إلا من كان معنىٰ، ومن لم يحمل الفقر والإذاية فليس له نصيب في الولاية.

[عدم الإسراع في الرد على مشورة الشيخ]

٢٢ ـ ومن أدب المريد: أن لا يسرع في الجواب إذا شاوره الشيخ في أمر ديني أو دنيوي، بل يتأنىٰ، ويتأمل ما مراد الشيخ؟ فإن فهم مراده فليجاوبه بما أراده منه، وإلا فليقل له: أنت أعرف الناس يا سيدي! لأنه هو أعرف منه بجميع الأمور الدنيوية والأخروية، ومشاورته معه امتثالاً لأمر الله، لقوله تعالىٰ: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٩]. أي: لكونهم ظنوا أن النبي ﷺ اختلف في شيء أو خفي عليه أمر، ومشاورته مع أصحابه ﷺ إنما هي إظهار للعبودية فقط. وكذلك ورثته ﷺ فمن جهة الحقيقة لا يحتاج إلى مشاورة أحد، ومن جهة الشريعة أمره الحق تعالىٰ بمشاورة أصحابه ليقف على الكُمّل من ورثته على حد الشريعة، ولولا تشريعه ﷺ لانهتك ستر الحقيقة على الشريعة، فتبطل الشريعة، فما ظهرت أنوار الحقيقة إلا بوجود الشريعة، فافهم.

[عدم الاستبراء بمكان عام]

٢٣ ـ ومن أدب المريد: أن لا يستبرىء بموضع يراه الناس، أحرىٰ في ذلك إخوانه الفقراء، وأحرىٰ شيخه، إلا إذا كان مغلوباً بالمرض وشبهه، ومن فعل شيئاً من ذلك لغير عذر فقد خلع ربقة الحياء من يده، ومن أعرىٰ ظاهره من حلة الحياء أعرىٰ الله باطنه من حلة الإيمان. وأيضاً: قاضي الحاجة بمرأىٰ من الناس متهم في التقوىٰ، لأن التقوىٰ تحمل صاحبها على الأحوال الحسنة، والاستتار في الاستبراء من أحسن الأحوال وأشرفها.

وإذا كان المريد مطالباً بستر الحقائق النورانية، فكيف لا يطالب بستر الحقائق المظلمة. وما رأينا أحداً من أهل تربية الأخيار يفعل ذلك فضلاً عن أهل تربية الأولياء الذين ينظرون المريد بنور الله، ونور رسوله ﷺ. ومن كان بين أيديهم، وظهر عليه شبه هذا فهو ميت القلب، وحضوره بين أيديهم بالجسد فقط، كالذين كانوا ينظرون النبي ﷺ بعيون رأسهم دون قلوبهم.

وما رأيت أحداً مال إلى أولياء الله بقلبه وبقي سيِّىءَ الخلق، والعكس. فأعمل ـ يا أخي! ـ قلبك مع أولياء ربك، فإنهم ورثة الأنبياء في الحال والمقال.

ومن ثمرة جلوس العارفين وصحبتهم: الحياء، والمريد ينبغي له الحياء مع سائر المسلمين، ويراقب فيهم نور الإسلام الذي هو نور رسول الله ﷺ، الذي هو من نور الله. ويعظم الحياء في حق أولياء الله لعظم نورهم، وسواء كانوا أحياءً أو أمواتاً، وفي حق الأحياء أعظم.

ومن علامة رسوخ الإيمان في القلب: ظهور الحياء على الجوارح، ومن لم يظهر عليه الحياء فهو كاذب في دعوىٰ الإيمان، يصدق عليه قوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [الحُجرَات: ١٤]؛ فلو حصل لهم الإيمان حقاً كما زعموا لحصل لهم الحياء منه ﷺ، ولا قدروا أن يقولوا آمنا ولكن يقولوا أسلمنا.

وهذا أدب من حصل له الإيمان، فافهم: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النَّجم: ٣٢]؛ إذ لا ينبغي للمؤمن الحقيقي الذي يخاف الله أن يقول: أنا تقي من غير أن يقول حقاً، فلا بأس، نعم إن استوت فيه الأضداد، وقال: أنا مؤمن حقاً، فلا يضر ذلك، لأن مقامه اقتضىٰ ذلك.

وقد قال ﷺ: **«كيف أصبحت يا حارثة!؟»** قال: أصبحت مؤمناً بالله حقاً. قال: **«فما حقيقة إيمانك؟»** قال: عزفت نفسي عن الدنيا. فقال له النبي ﷺ: **«عرفت فالزم»**[1].

فاسلك ـ يا أخي! ـ على يد شيخ عارف بالله، قائم بسنّة العوام والخواص، بلغ في البعد عن الدنيا الغاية، وبلغ في علم الأحوال الغاية، إن أردت الوصول إلى ما تطلب.

وقد تشعبت الطرق، وتوعرت على سالكيها، ولا سيما في هذا الزمان، ومن لم يسلك على يد أهل الأحوال فلا يجد طريقاً عن طريق أهل الأقوال، وكيف يكون الوصول بالأقوال دون الأفعال، وقد ظهر لي أن الطريق الظاهرة كثيرها معلل بحب الجاه، والرفعة، والسمعة، لأن العاجلة دخلت معهم دخولاً تاماً، وتأمل ترَ ذلك بعين رأسك.

فعليك يا أخي! بشيخ عارف كامل يخرجك من شبكات الشهوات، ثم يمنحك الفوائد، ويمنعك العوائد ويعرفك بأصول السنة، وفروعها، وحينئذ يحسن ظنك بأهل الأحوال، فتبلغ مبالغهم، وتحصل الراحة والهناءة والعافية، وتعرف أين قلبك من القلوب، وأين جسدك من الأجساد، والله تعالى أعلم.

[الحب والبغض بحب الشيخ وبغضه]

٢٤ ـ ومن أدب المريد: أن يحب بحب الشيخ، وأن يبغض ببغضه، ويفرح بفرحه، ويحزن بحزنه، ومن كان على العكس فهو مراءٍ، منافق، ليس له اقتداء بالشيخ، وكيف يسير إلى الله من يحب ما أبغضه شيخه؟. أو يبغض ما أحبه؟.

فالواجب على المريد أن يحب ما أحبه شيخه، وأن يبغض ما أبغضه شيخه، ويكون قلبه على قلبه، وجسده على جسده، فإن كان على هذا الوصف فهو محب صادق، ولبيب حاذق، وللزوم أهل القلوب لائق، وبدسائس نفسه عائق، وشطحات الوجد طارق، وللقاء المحبوب شائق، وفي عين بحر التوحيد غريق، ومن هنا وصل من وصل، وانفصل من انفصل.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير، عن الحارث بن مالك الأنصاري، حديث رقم (٣/ ٢٦٦) والبيهقي في شعب الإيمان، فصل فيما بلغنا عن الصحابة، حديث رقم (١٠٥٩١) [٧/ ٣٦٣] ورواه غيرهما.

فكن يا أخي! موافقاً لأستاذك في جميع أقوالك وأفعالك، يمتزج حسك بحسه، ومعناك بمعناه، وحينئذ تفتح لك باب حضرة الأولياء والملكية، ثم باب حضرة رسول الله ﷺ، ثم باب حضرة الحق تعالىٰ، فرحم الله من تفرغ لصحبة الرجال قلباً وقالباً، ففرح بفرحهم، وحزن لحزنهم، ومشىٰ على منهاجهم اللطيف، وترك منهاج أهل الحجب الكثيف.

فإياك يا أخي! والتخلق بأخلاق العوام: اللسان يضحك، والقلب يشرك، ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧]، وهذه صفة أهل الهزل، وأما صفة أهل الجد فالظاهر عنوان الباطن.

واعلم أن الطريق إلى الله تعالىٰ طريق جد، ومن لم يكن صاحب جدٍ لا ينال منها شيئاً.

فينبغي للمريد أن يجاهد نفسه في الخروج من وادي النفاق، وأكثر ما يقع للمدعين والجبابرة، وأرباب أهل الدنيا: فأما المدعون فيقع النفاق معهم استحياء منهم. وأما الجبابرة، فلأجل الخوف منهم. وأما أرباب الدنيا فللطمع فيهم، وهو من أقبح القبائح للمريد: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

ولا بد لمن أراد الخروج من هذا الوصف الذميم من رياضة عظيمة، وصبر شديد على مناقشة شيخه في خرق عوائد نفسه حتى ترجع عن هواها، ويدفع عنها شرها وبلواها، حتى تحصل له الغَيْبَة فيملأ قلبه خشية، وهيبة، فيشغله ذلك عن الهزل والمزاح، وحينئذ يستريح من التعب، فافهم.

[عدم إظهار العلم أمام الشيخ]

٢٥ ـ **ومن أدب المريد**: أن لا يظهر العلم أمام شيخه، وكذلك الأحوال والفراسة، ولو كانت مواهبه كالسحاب، إلا إن غلب عليه حال فالدية حينئذ على القاتل، لأن صاحب الحال سقط عنه شروط الأدب، لكونه محكوماً عليه، ومن أكبر سوء الأدب أن تتظاهر بالعلم على معلمك، وقد كنت جاهلاً أعمىٰ، أبكم، أصم، وقد علّمك علم التحقيق، وكشف عن قلبك حجاب الغفلة، فسمعت ما لم تسمع، ورأيت ما لم ترَ، ونطقت بما لم تتعلم قبل، فكيف يليق بك يا أخي! أن تظهر القوة في العلم والحال، وأنت نقطة من بحر علمه وحاله، وتدّعي صفاء البصيرة والسريرة، وأنت لمحة من بصيرته، وتدّعي صفاء اللسان وأنت لغة من لغاته، وتدّعي المكالمة مع الله وأنت لم تحصل المكالمة مع أولياء الله.

فلو فهمت المكالمة، وسمعت المناجاة لفهمت من أين هي، ولعرفت قدر من كان سبباً في وصولها إليك، ولتواضعت له، وانكسرت، واحترقت، وضعفت، ولتركت علمك وعملك، وأحوالك، وقمت مقام العبد المملوك بين يدي الملوك.

ومن لم يكن على هذا الحال فهو من قوم نيام، لا يصلح للحضرة، ولا للجلوس مع أهلها، وإنما يصلح لكنس المزابل الخبيثة، لعلَّ نفسه تموت بذلك، أو تقرب، وحينئذ تساعده على الأدب مع أهل الله، والله يأخذ بيد من عثر.

وينبغي لهذا المريد أن يروِّض نفسه، ويلزمها الصمت والجهل، ظاهراً وباطناً، حتى يصير كالبهيمة لا تتكلم إلا عند إرادة إشباع بطنها، هذا لمن أراد النصح لنفسه، ومن أراد أن يغشها فليبادر إلى الكلام وليجاوب عن كل ما بدا له.

قال في الحكم: «من رأيته مجيباً عن كل ما سئل، ومعبراً عن كل ما شهد، وذاكراً لكل ما علم؛ فاستدل بذلك على وجود جهله».

وكثرة الكلام والإشارات والتعبير من رعونة نفس المريد، فإن النفس لا تحب أن ترىٰ جاهلة لكثافة حجابها.

اللهم اجعل بيننا وبينها نظرة قلبية تحجبنا عن رؤيتها، وتمنعنا عن دخول حضرتها الباطلة؛ بمنِّك وكرمك، إذ لا يستحق أحد شيئاً إلا بفضلك، فألهمنا اللهم أسباب القبول إلهاماً حالياً كما ألهمت إبراهيم خليلك عند نزول بلائك، وغيبنا بمعرفتك عند نزول جلالك.

اللهم من أنعمت عليه فتحت له باب الرضا والتسليم، وعرفته ذلك في نفسه، وألهمته الصواب معك، والأدب في حضرتك، فامنن علينا بفضلك.

اللهم من اخترته لحضرتك فقد أنعمت عليه بمعرفتك، وهيأت له التعرفات لترفع له الدرجات، وقدمت له في هذه الدار جملة ما كان في سابق أزلك مرسوماً في لوح حكمتك، بقلم قدرتك، فأفض علينا اللهم هنا من ذلك حظاً وافراً، بلطفٍ منك ورحمة، وعرفنا بك اللهم معرفة كاملة بمكالمة محفوفة بأنواع الأذواق بطلوع شمس توحيدك، واجعلنا هائمين في بحر أحديتك، متحيرين بوجود محبتك عن ملكك وملكوتك، وجبروتك، غائبين مع من سكر، حاضرين مع من حضر، يا أرحم الراحمين، يا رب العالمين.

[عدم الالتفات إلى غير شيخه]

٢٦ ـ **ومن أدب المريد**: إذا اتخذ شيخاً كاملاً واصلاً، موصلاً، جامعاً لأنواع الجذب والسلوك، يسير على طريقة التجريد، والاكتساب، كيف شاء، أن لا يلتفت إلى سواه كائناً من كان، وإن التفت إلى سواه فلا ينال ربحاً أبداً، ولو اتخذ ألف شيخ كلهم جامعين لا ينال شيئاً لعدم نيته، وقلة صدقه. إذ لو كانت له نية لوجد حاجته في موضع لا يتهم بسر، ولا بركة، ولا خير قط لقوله ﷺ: **«لو حسَّن أحدكم نيته في حجر لانتفع منه»**[1]. فما منع الناس نيل حوائجهم سوىٰ قلة نيتهم، فافهم. ولو وجدت النية لوجد الخير كله أين ما كان.

[عدم مطالبة الشيخ بالكرامات]

٢٧ ـ **ومن أدب المريد**: أن لا يطالب شيخه بالكرامات، ولا يخدمه لأجل ذلك، ولا يطلب ذلك إلا من لا عقل له، ولا علم، ولا خير فيه.

والذي ينبغي للمريد أن يطلب من شيخه أن يذكره الله، وينسيه نفسه، ويزهده في الدنيا، ويرغبه في الآخرة، ويعرفه بحقيقة ما خُلِق لأجله من العبادات لله خالصاً، ويقهره عن الشهوات بمذاكرته، وهمته، ويمنعه الدعوات، ويحبب له أوصافه، ويقودها إليه بسياسة حق لا يدري أي وقت حصلها، ويصلحه مع الفقر وغيره، حتى يكون الدين كله لله.

ولا يبلغ المريد حقيقة المحبة والصدق حتى لا يطلب من الشيخ غير ما ذكرنا. وأي شيء أعظم وأكبر وأجلُّ من الاستقامة التي جاءنا بها البشير صلّى الله عليه وآله وسلّم فما من كرامة ظاهرة وباطنة إلا وهي ناشئة عن ذكر الله، وراجعة إليه.

ويكفي الذاكر من الكرامات كونه جالساً في حضرة الله ما دام ذاكراً، لما في الحديث القدسي: **«أنا جليس من ذكرني»**[2]، و**«أنا معه حين يذكرني»**[3]، إلى آخر الحديث.

---

(١) أورده الهروي في المصنوع بلفظ: «لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه» [١/٢٤٧] والعجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (٢٠٨٧) [٢/١٩٨].

(٢) رواه ابن أبي شيبة، الرجل يذكر الله وهو على الخلاء..، حديث رقم (١٢٢٣) [١/١٠٨] والبيهقي في شعب الإيمان، الفصل الثاني في ذكر آثار وأخبار..، حديث رقم (٦٨٠) [١/٤٥١].

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة..، حديث رقم (٢٦٧٥) [٤/٢٠٦١] وابن ماجة في سننه، باب فضل العمل، حديث رقم (٣٨٢٢) [٢/١٢٥٥] ورواه غيرهما.

ومن لم يشعر بهذا؛ تكفيه محبة الشيخ لله: «المرء مع من أحب»[١].

ومن لم يقنع بصحبة الأخيار ومجالستهم فهو غير شاكر لنعم الله تعالىٰ عليه. وعدم التفكر موجب لسلب النعم، كما أن شكرها موجبٌ لنيل ما هو أعظم من ذلك، قال تعالىٰ: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

ويكفي المريد من الشيخ أن كان ضالاً عن الطريق فأرشده إليها وكان لا يتعظ بموعظة فوعظه، فاتعظ.

فاعقد ـ يا أخي! ـ النية الصالحة، والظن الحسن، واقرب إلى الشيخ تهتد وترشد، وتنال ما تشاء. وما تعطل الفتح على كثير من الناس إلا لقلة نيتهم، وسرء ظنهم في أولياء الله، نسأل الله اللطف بمنّه.

[عدم الشروع في أي حال إلا بإذن الشيخ]

٢٨ ـ ومن أدب المريد: أن لا يشرع في حال من الأحوال إلا بإذن شيخه، وكل شيء فعله من غير إذن فلا يجد له سراً ولا بركة، لأن السر مرموز في الإذن لا في العمل، فافهم.

وكذلك إن أذن لك في شيء كالسؤال مثلاً، فلا تشرع فيه حتى تعرف حقيقته، فإن لكل حق حقيقة، وحقيقة السؤال أن لا تترك شيئاً مما عندك ـ قليلاً كان أو كثيراً ـ وحينئذ تذوق حلاوته، ظاهراً وباطناً؛ ظاهراً: ذلاً وإهانة، وباطناً: عزاً وولاية، وأنت بين الحالتين تتبختر؛ إن نظرت إلى ظاهرك وجدت وصف البعد، وإن نظرت إلى باطنك وجدت وصف القرب، فسبحان من ألّف بين العسل والقطران. فمن لم يجمع بين الضدين فليس بواصل مواصل العرفان، ومن جمع بين الفقر والغنىٰ، والذل والعز، والفقد والوجد، وغير ذلك، فقد أمن شر كل البواقي.

ثم إن سألت ـ أيها الأخ! ـ شيئاً قليلاً كان أو كثيراً، فخذ نصفه وتصدّق بالنصف الباقي كفّارة للنصف الأول، هذا إن كان لك أولاد، وإلا فيكفيك منه ما تردُّ به جوعك، وما تستر به عورتك، مثل الكسرة اليابسة، والجبة الخشنة، مما يقيك البرد والحر، والزيادة فوق هذا حرام أخذها.

---

(١) رواه البخاري، باب علامة حب في الله عزّ وجل..، حديث رقم (٥٨١٦) [٥/٢٢٨٣] ومسلم في صحيحه، باب المرء مع من أحب، حديث رقم (٢٦٣٩) [٤/٢٠٣٢] ورواه غيرهما.

[عدم ظن السوء بالشيخ نحوه]

٢٩ ـ ومن أدب المريد: أن لا يظن بشيخه أنه يبغضه أو يهينه، ولو قلّ أدبه، أو ليس هو عنده في نظر كبير، أو أنه يرفع عليه غيره، ولو كثرت مودة ذلك الغير، فإن هذا كله سوء أدب، يوقع صاحبه في الحسد والشتات للإخوان، يقع فيه من لا صدق له، والمبتلىٰ به قلّ أن يفلح، قال الله تعالىٰ: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [فُصِّلَت: ٢٣].

وأهل الحضرة مطهرون من مثل هذا لأن المريد إذا ظن في الشيخ ما ليس فيه كان متصفاً بالبهتان العظيم؛ فإن الفقراء عند الشيخ كأصابع اليد، كما قال الشرفي، ليس واحد منهم أعز من الآخر، ولو فعل ما فعل.

فطهِّرْ قلبك ـ يا أخي! ـ من أوصاف البشرية التي منعتك أسرار الروحانية، لتكون من أهل الأجساد النورانية، لقد انحجبت في محل رفع الحجاب، وأساءت الأدب في لباب الأدب، وألزمها الخروج من حضرة سوء الظن إلى حضرة حسن الظن، وامنعها من شهواتها، وطهّر قلبك من رعونة بشريتك، وأن تنتصر لله، ولا تنتصر لنفسك، لينصرك الله، ويثبت قدمك، والله غالب على أمره.

[عدم كتمان محبة الله ورسوله وشيخه وإخوانه]

٣٠ ـ ومن أدب المريد: أن لا يكتم محبة الله ورسوله، وشيخه، وإخوانه، إن كانت له قلبية، فإن في إظهارها زيادة إلى الله عزّ وجل، قال تعالىٰ: ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبَة: ١٠٥]، أي: محبتكم. وإظهارها يكون بالخدمة، والتعظيم، والتحدث باللسان.

واعلم أن المحبة هي أفضل الأعمال، وقد يبلغ العبد بالمحبة ما لا يبلغه غيره بكثير من الأعمال الزكية. وقد قال شيخنا مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه: «الشوق يوصل إلى الله بالطريق أو بغير الطريق»، انتهىٰ. لأن ثمرة الأعمال كلها راجعة إلى المحبة والشوق، ولا فرق بين المحبة والشوق، إذ هما اسمان لشيء واحد، والمتمسك بالمحبة لا يفوته شيء من الخير، فتأمل ذلك فإنه دقيق، وألزم نفسك الأحوال التي تنبت المحبة والشوق لتقرب عليك الطريق، والله المعين.

وفي إظهارها أيضاً زيادة المحبة والتعظيم لمن أراد الاقتداء بأحوال الإخوان، لكونه رأى نفسه ليست بأهلٍ لأحوال الشيخ، لأن أحوال الشيخ رضي الله عنه كبيرة على أهل

الصدق، فضلاً عن أحواله، فأقواله شهاب الحضرة، تحرق النفوس البعيدة المدنسة بالشهوات، كيف يتلقاها الضعيف مثلي؟، ومن هنا كان كلام أهل الإخلاص ثقيلاً لا يقدر أحد على العمل به، بخلاف كلام الإخوان، فإنه يخف من بعضهم على بعض، لعدم التمكين في الإخلاص، والنفس تشم رائحة البقية فتسكن إليها، وتطمئن، فلا تزال تسمع منهم حتى تحمل أحوالهم، فإذا اندرست بحال الإخوان، واستمرت معها، عادت تحمل أقوال الشيخ، فإذا اندرست بأقواله، عادت تحمل أحواله، فإذا اندرست بأحواله حصل لها التمكين في الإخلاص، والله تعالى أعلم.

ولا تظن أن كل من دخل عند العارفين دخل بالنية والصدق، فإن النية أمر عظيم، فما بالك بالصدق؟ بل الداخلون على ثلاثة أقسام:

منهم: من دخل بالنية والصدق.

ومنهم: من دخل بالنية دون الصدق.

ومنهم: من دخل بغير نية ولا صدق.

فصاحب النية والصدق: فتحه بمجرد وصوله.

وصاحب النية: فتحه بعد وصوله.

والذي لا نية له ولا صدق: يطول فتحه، لأنه قد يحتاج إلى معالجة كبيرة.

وقد يمكث المريد مع الشيخ الثلاثين والأربعين سنة، ولا يكمل صدقه، إذ الصدق أمر عظيم، ومن كمل صدقه كملت ولايته، ومن علامة كمال الصدق أن لا يشير إليه أستاذه بشيء إلا فعله، ولو مزاحاً، ولا يفعل شيئاً بغير إذنه، حتى لو تيسر له أن يشاوره في كل ما يتقوت به لما أكل شيئاً إلا بإذنه. وهذا حال كبير، فاعمل ـ يا أخي! ـ على قدر استطاعتك. قال الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وهذا رحمة بالضعفاء، وأما قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢] فهي للأنبياء، والكُمَّل من الأولياء.

فالزم ـ يا أخي! ـ النية والظن الحسن إن أردت أن تقدم على شيخ عارف يوصلك إلى الحضرة، وإن قدمت عليه بغير نية وصدق شققت عليه غاية، فيشق عليك هو أيضاً كذلك، ومن شق عليه الشيخ فقلّ أن يفلح، لأن الشيخ لا يشق على أحد إلا إن أراد اختباره، وفضيحته، إما لربح ظاهر، أو لخسران ظاهر. ولا يفعل ذلك إلا مع من طالت محبته، ولم تظهر عليه ثمرة. وقد يشق على بعض المريدين في أول قدمةٍ لشدة تحققه بصدقه، ولكن هذا نادر، والنادر لا حكم له، فتأمل ذلك.

والداخل بغير نية منافق عند أهل النية، ولذلك يشق على الشيخ معالجته، فمثله كالمنافقين الذين كانوا يقولون: «لا إله إلا الله»، فمن تخلّص من النفاق إنما ذلك بعد مدة طويلة، كذلك المريد الذي لا نية له، لا يتخلص من الهزل والمزاح وغير ذلك، إلا بعد مدة طويلة، وصاحب النية لا يكون كثير الهزل والمزاح، ولا الضحك، ولا اللعب، ولا غير ذلك، بل يكون صاحب جد لعظيم تعلقت همته به.

والنية هي مفتاح الإسلام، وكذلك لا بد منها لمن أراد الترقي في الإيمان والإحسان على يد العارفين. والذي لا نية له لا يحصل شيئاً لو جلس كذا وكذا، فلا يظهر له شيء من نتائج المحبة، ولا من نتائج العمل، فإن البناء من غير أساس لا يستقيم.

وأوصيك - يا أخي! - أن لا تعمل عملاً إلا إذا استحضرت النية حالاً لا عملاً فقط، وحينئذ مهما غرست شيئاً إلا وأكلت ثماره في الحين: **«إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوىٰ»** أي: في الحين، والله تعالىٰ أعلم.

فمن أراد الحصول على النية في القرب فليصدق ولا يكذب، فوالله ما لزم أحدٌ الصدق وخاب من النية قط. ولو لم تكن عنده لجاءت. وما لزم أحدٌ الكذب وبقيت عنده، ولو كان معموراً بها. فتأمل ذلك يرحمك الله؛ فإنَّ الصدق مع عباد الله صدقٌ مع الله. والحق تعالىٰ إنما أبرزك إلى عالم الأشباح ليعرفك قدر دعواك في عالم الأرواح، لأن الأرواح يوم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] كلهم ادّعوا الصدق، وأقروا به، وهو أعلم بمن اهتدىٰ، فاصدق - يا أخي! - ما استطعت.

قال شيخنا حجة الإسلام سيدي مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه: «من أراد أن يصدقه الله في كل ما يقول، فلا يكذب ولو رأسه يزول» انتهىٰ، وهو حسن.

وينبغي لطالب الصدق أن يصحب شيخاً عارفاً بالله تعالىٰ، يسلك به مقام الخوف من الله تعالىٰ، حتى يضعف حجابه الكثيف، فيستحضر الآخرة كل وقت وحين، ويرىٰ الدنيا كأنها لم تكن، ويرىٰ النار كأنها إنما خلقت لأجله، ويرىٰ أنه يستحق النار بأفعاله القبيحة، ثم يسلك به مقام الرجاء حتى يرىٰ الجنة كأنها إنما خلقت لأجله، ثم يجمع بينهما.

فإذا تمكن في مقام المراقبة نقله إلى مقام الغيبة، حتى يكون الكون معدوماً في نظره من شدة ما أشرق على قلبه من أنوار التوحيد، ثم ينقله إلى مقام الحضور حتى يتم سلوكه، فيرىٰ الكون موجوداً بوجود الله، فإذا انتهىٰ إلى المشاهدة تركه وربه.

وينبغي أيضاً لمن محبته ضعيفة أن يبديها ويصرح بها، فإن في إظهارها إعانة على دفع الظنون والشكوك والأوهام، التي هي من جنود النفس الأمّارة بالسوء، لأنها تحقر صاحبها، وتهينه، وتذله إذا علمت منه الصدق في طلب الله تعالىٰ، فتجدها تحدثه في أحاديث الغفلة على صفة اليقظة، وتقول له: لا خير فيك ولا نية، ولا صدق، ولا محبة، لو فعلت كذا وكذا، لقويت نيتك، ولعظمت محبتك، ولكثر صدقك، ومرادها منه أن تكسر ظهره بثقل ما تحمله لكي يسمح في الخلطة كلها، فتأمل في غشها ـ يا أخي! ـ وخدعها، وذلك حين عزم على قتلها، فأسرعت إلى قتله، قبل أن يقتلها. فإذا علم منها هذا وشبهه؛ عليه بالمحبة، والصدق، والنية، وغير ذلك ليدفع شرها عنه، وإن لم يكن ذلك فيه حالاً.

فإياك ـ يا أخي! ـ أن تغتر بسماع حديثها قبل أن تقطع بها قواطع الجلال، وتساعدك في طريقه مدة طويلة، حتى تستنشق رائحة الصبر عند نزول المصائب، ورائحة الحلم عند وجود الغيظ، ورائحة الكرم عند وجود البخل، ورائحة العلم عند وجود الجهل، ورائحة البسط عند وجود القبض، ورائحة القوة عند وجود الضعف، ورائحة العز عند وجود الذل، وما أشبه هذا؛ وتوسع عليك في هذه الأحوال كلها، وتردك إلى ذكر الله قهراً، فإن علمت منها هذا وتحققته تحققاً واضحاً جلياً، فاستدل بذلك على أخلاقها. وإن لم يظهر لك ما ذكرناه، فلا تأمنها. وإن كانت تساعدك في قيام الليل، وصيام النهار، وغير ذلك. قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ [الأنعام: ٧٠] يعني: النفس الأمّارة، فإنها تأتي لصاحبها بأحوال العدل ومرادها منه ما قدمناه فافهم.

وهذا كله قبل الرسوخ والتمكين في المجاهدة، وأما إذا صبرت مع صاحبها حتى يقطع بها قواطع الجلال كالفقر والذل، والضعف والعجز، وغير ذلك من الأوصاف، تحفر على عروق عروقها، حتى تصير أوصافها عندها كأكدارها ومالها وأولادها وشهواتها كلها.

ومهما أردت نقلها منها فلا تقدر كما كانت في الابتداء تريد أن تدخلها في وصفها فلا تقدر. فإذا سكنت هذا السكون، واستقرت هذا الاستقرار، ولم تبقَ لها عقبة واحدة، فهناك ينبغي له تزكيتها ظاهراً وباطناً، بالقول والفعل، قال الله تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ [الشمس: ٩] على طريق أهل الإشارة، فتأمل، واعمل بهذا إن ظهر لك وجهه، كما ذكرنا، وقال تعالىٰ: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ١٠] يعني: من تحقق بإخلاصها ـ كما ذكرنا ـ وشهد له أهل الإخلاص، وبقي متهماً لها، فيظهر دسائسها بعد كمالها فقد ظلمها، ومن ظلمها خاب من إظهار أسرارها وشروق أنوارها، ونسمات

أزهارها، ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل: ١١٨]، أي: ظلموا أنفسهم لأن النفس المخلصة المطمئنة أقرب لصاحبها من كل أحد، وأصدق إليه، فهي أولى بالإحسان.

وفي الحديث: «ابدأ بنفسك ثم بمن تعول»[1]، فافهم معناه رحمك الله فإن النفس غير المخلصة الواجب على صاحبها أن يبدأ بغيرها ـ يعني في البر والإحسان ـ، وكيف يبدأ بها؟ والحق تعالى مدح الإيثار من المخلصين فضلاً عن غيرهم. وإياك أن تفهم الحديث على غير معناه.

واعلم أن النفس إنما سميت مطمئنة لكونها اطمأنت بشهود الله، بعد أن اطمأنت بوصفها، وسكنت فيه سكوناً لا خروج بعده.

وسميت أمّارة لكونها تأمر بالاتصاف بأوصاف الحق، كالغنى، والعز، والقوة، والكبرياء، وغير ذلك، وتنهى صاحبها عن الاتصاف بأوصافه، وليست بظالمة في حقيقة الأمر لأنها تشير إلى قرارها الأول الذي هو عالم الملكوت، فأخذت من جهة الشريعة التي لها الحكم هنا دون الحقيقة، وما ذلك إلا لجهلها بعالم الملك، لكونه اختفى عنها بالتحسس الكثيف، وحصل لها إنكاره، ولو اتخذ صاحبها شيخاً عارفاً لعرفه حقيقة الكون، ولحققه به، وحينئذ فلا تطلب نفسه الصعود عنه إلى عالم الملكوت، لأن عالم الحس هو الذي أظهر عالم المعنى، والشيء الذي أظهر هذه هو عينه، فحق الحقيقة الشريعة فافهم.

فكما أن الحقيقة حق، فالشريعة حق، فإن تحققت هذا التحقيق، وشهدت الحقيقة حقاً، والشريعة حقاً، وقمت بحكم هذه وهذه، عادت نفسك راضية مرضية، داخلة في عالم الملكوت بالله، داخلة في عالم الملك بالله. وهذه نفس الكمل من ورثة الأنبياء عليهم السلام، وأما نفس المستغرقين فهي داخلة في عالم الملكوت بالله، خارجة من عالم الملك بالله. وكذلك نفس المجاذيب، والحكم مرفوع عن أهل الغيبة حال غيبتهم كالمجاذيب، والله عليم حكيم.

---

(١) أورده الحكيم الترمذي في نوادر الأصول في أحاديث الرسول، في ما يعدونه صدق الحديث [١/ ٤٦] ورواه مسلم في صحيحه بلفظ: «ابدأ بنفسك فتصدّق عليها فإن فضل شيء فلأهلك، فإن فضل عن أهلك شيء فلذي قرابتك، فإن فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا يقول فبين يديك وعن يمينك وعن شمالك» حديث رقم (٩٩٧) [٢/ ٦٩٢] ورواه غير مسلم.

[عدم نقل كلام الخواص للعوام وبالعكس]

٣١ ـ ومن أدب المريد: أن لا يصول كلام الخواص للعوام، ولا كلام العوام للخواص، لئلا يمقت، ولو لم يكن من المقت إلا ما أصابه من الغفلة عن الله حتى أصغىٰ بقلبه إلى غير ذكر الله ولو كان قلبه مشتغلاً بذكر الله ما أصغت الجوارح إلى مثل هذا، فإن من الحرمان أن يسرق كلام أهل الحضرة ويفشيه لغيرهم، أو كلام غيرهم ويفشيه لهم؛ آلم الآلام مريد نمّام!، ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ۝١١ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢﴾ [القلم: ١١، ١٢]، الذين يسترقون السمع.

فصاحب هذا الحال معدود من الشياطين، فمن وجد في نفسه شيئاً من ذلك فليبادر إلى الله تعالىٰ بالتوبة والاستغفار، فإن الله يتوب على من تاب، لأن حضرة أهل الله طيبة مطيبة، وكيف يليق بطالبها أن يكون باطنه محشواً بالخبث، وكذلك ظاهره، هذا لا يكون.

فإياك ـ يا أخي! ـ والاستهزاء بحرمات الله. وأعظم حرمات الله كافة المسلمين، فضلاً عن الصالحين منهم، فضلاً عن أولياء الله العارفين، فوالله ما دخل أحد حضرتهم باللهو واللعب إلا وانتقم الله منه عاجلاً.

وينبغي للمريد إذا كان في موضع من مواضع الغفلة أن يشتغل بذكر الله سراً وجهراً، ولا يتراخىٰ حتى تنحل باب مدينته، ولا يبالي بكل من دخل، فإن العدو يدخلها ويملكها، ويخرجه منها قهراً؛ وحينئذ تخطفه السباع واللصوص، وهي الشهوات. فأغلق ـ يا أخي! ـ باب مدينتك، وكن عساساً[١] لا تطلب الراحة والهناء قبل التعب، والله المعين.

(١) أي يسهر الليالي لأن من طلب العلا سهر الليالي وفي لسان العرب عسّ طاف بالليل وعسـاً وهو نفض الليل عن أهل الريبة فهو عاس.

فصل

[عدم التهاون برياضة النفس]

٣٢ ـ ومن أدب المريد: بل من فرائض حاله أن لا يتهاون برياضة نفسه، ولو بلغ في الرياضة ما بلغ، ومن تهاون بها وتراخىٰ فيها حتى انحلت عزائمه، وفشلت قوائمه، فذلك دليل على ميل قلبه إلى الدنيا، إذ لا يقع العبد في التكاسل عن الرياضة إلا إن أخذ قلبه وحصل في شبكة الشهوات.

وعلامة من أخذ قلبه: اللسان يشير إلى الخوارق، والجوارح تتعلق بالعلائق، أو تقول: «اللسان يشير إلى الرياضة، والجوارح عاجزة عن الإفادة بميلها إلى العادة، وحيث حلّ صاحبها عقدة الرياضة صارت للشهوات صيّادة، فاللسان يشير إلى المعنىٰ، والقلب مصروف إلى ما يفنىٰ». كذلك كنا لولا فضل الله علينا ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٩٤].

اللهم! إنا لا نستحق شيئاً إلا بفضلك، ولو أردت هلاكنا لقابلتنا بعدلك، فأظهرت فضلك وجودك على من أحببت له قربك، وسترت ذلك عن من نفذت فيه حكمك، من الذي يأخذ بيدنا إذا عثرنا؟ ومن الذي يتجاوز عنا إذا جهلنا؟ ومن الذي يعفو عنا إذا جزعنا؟ سواك يا أرحم الراحمين، يا رب العالمين. رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين.

فإياك ـ يا أخي! ـ أن تحل عقدة الرياضة ما دمت في هذه الدار.

وينبغي لك أن تجدد النية كل يوم كذا وكذا مرة، لأن تكرار الشيء يدل على محبته، ومن أحب شيئاً أخذ منه نصيباً، ونية الجهاد جهاد، وإن لم يتحر صاحبها.

وينبغي لك ـ يا أخي! ـ أن تنظر كل صباح إلى سير أمسك، لتسير سيراً أقوىٰ منه، وإياك أن يكون سير يومك أقل، وأضعف من سير أمسك، فإن ذلك يوقفك، وإن وقفت رجعت، وإن رجعت فإلى بلد العوام انتهيت، بل ربما جزت مقام الانحطاط. وقد قالوا: «من لم يكن في زيادة فهو في نقصان، ومن كان في نقصان فالموت خير له».

فالعاقل من يزن سير الأوقات بميزان العدل، وينظر ما زاد وما نقص، ومن لم يزن أوقاته بطلت نفقاته، فتأمل ذلك يرحمك الله.

وينبغي لصاحب الرياضة أن يتحرز من مجالسة الضعفاء غاية التحرز، وهم ضعفاء اليقين، فإن القرب من الضعفاء يضعف الأقوياء، فضلاً عن الضعفاء، وكل من اختار صحبة الضعفاء وهو سائر في الطريق، فلا يطمع في الوصول إلى الحضرة، لعكوف قلبه على حضرة الدنيا، ولو تعلق قلبه بحضرة الآخرة لما قدر على صحبتهم ساعة، وإن قدر عليه بخلطة معهم يجد نفسه كالذي هو في السجن، ومن لم يجد في نفسه هذه العلامة فلا يتهم نفسه بمراقبة الحق فضلاً عن مشاهدته، بل يتحقق أن قلبه خال من الفكرة فضلاً عن النظرة، فإن صاحب الفكرة كالأسد لا يأوي إلا إلى الفيافي، وإن كان في العمارة لا يعمر مع أحد من أهل الدنيا، فإن خلط آخرته مع دنياهم خربوا عليه آخرته، «المرء على دين خليله»[1].

واعلم أن العبد إذا أراد الله به خيراً أوقع في قلبه نوراً فيوفقه إلى الرياضة، ولا يميل أحد إلى الرياضة وقلبه خال من النور، وهذا النور نور إيمان لا نور إسلام، وما دام القلب مظلماً، والجوارح نحيلة عن الرياضة، لاهية بخيالات الشهوات، فإن حصل هذا النور بالقلب أسرعت الجوارح إلى الطاعة.

وهذا النور على ثلاثة أقسام: نور خوف وهيبة، ونور رجاء ورحمة، ونور شوق ومحبة.

فالنور الأول: به يقوم العبد إلى الطاعة.

والنور الثاني: به يقوم إلى الزهد في الدنيا لشدة قربه من الآخرة.

والنور الثالث: من إشراق نور الصفات والذات؛ فيعبد الله كأنه يراه، وهذا مقام عظيم.

ومن أراد تمكين النور من قلبه، وسكونه فيه، فليعالج نفسه بثلاثة أمور، وهي مفتاح لباب الحضور:

الأولى: المواظبة على العزلة.

الثانية: المواظبة على الصمت.

الثالثة: المواظبة على الفكرة مع قلة الطعام. فإنه ما عمل أحد بهذه الثلاثة إلا وترادفت عليه الأنوار والأسرار، وانتسخت منه ظلم الأغيار. فاعمل على هذه ترَ سر ما

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب البر والصلة، حديث رقم (٧٣١٩) [٤/١٨٨] وأحمد في المسند، عن أبي هريرة، حديث رقم (٨٣٩٨) [٢/٣٣٤] ورواه غيرهما.

قلناه عياناً إن شاء الله، فإن الفكر وحده ضامن للأوصاف الحسنة كلها. ومن ذلك الصمت والعزلة، ومن ادّعىٰ أنه غاص في بحر الفكر، وبقي في وصف مذموم فما شمّ لطريق الفكر رائحة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرّعد: ٣]. وهو ضعف الحجاب، أو رفعه بالكلية، فإن كان الفكر ناشئاً عن معرفة ـ أعني: بتربية شيخ عارف ـ فمنتهاه رفع الحجاب كما ذكرنا. وإن كان من غير شيخ فمنتهاه ضعف الحجاب.

ولا يصل لمقام المشاهدة إلا على يد شيخ عارف، ولا إلى مقام المراقبة إلا على يد عالم عامل، لأن رؤية الأكوان لا يرفعها إلا من رفعت عنه ـ أي الأكوان ـ، وهم العارفون؛ فاصحبهم ـ يا أخي! ـ تسترح من هم رؤية الأكوان، فلا ترىٰ عيناً مع العيان، لا أنت، ولا شيئاً من الأكوان، ثم تراها وتثبتها بالملك المنّان، فافهم.

[عدم الجلوس بمواضع التهلكة]

٣٣ ـ ومن أدب المريد: أن لا يجلس بموضع فيه سبب فقدان قلبه، فإن علم ذلك وتعمد الجلوس فيه فهو ظالم لنفسه مخالف لأمر ربه، قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام: ٦٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البَقَرَة: ١٩٥]، وأي هلاك أعظم من الغفلة؟ وإليه الإشارة بقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾ [الأعرَاف: ٨٦] الآية، صدق الله العظيم.

فمن طلب اليقظة، وجلس في مواضع الغفلة، فقد طلب المحال، ومن شكّ فليجرب، إذ: ﴿مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ [الأحزَاب: ٤]، ومثل الذي يطلب اليقظة في مواضع الغفلة كمثل الذي يطلب رائحة المسك في العذرة! . وهذا حق كبير، فإن أكثر الناس تحصل لهم الغفلة في مواضع اليقظة كالمساجد، وبين يدي الأولياء، وفي الصلاة، والصيام، والتلاوة، وغير ذلك، فضلاً عن المواضع المعدة للغفلة. ومن أعظم قلب الحقائق، طلب اليقظة في محل الغفلة.

عجبت ممن يقرب من الدنيا وأهلها ويدّعي ذكر الله في قلبه.

وعجبت ممن يبعد من الدنيا وأهلها ولا يذكر الله بقلبه وجوارحه، إلا إذا كان ميت القلب، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فمن أراد أن يكون عالماً عاملاً، زاهداً، ورعاً، حليماً، كريماً، متواضعاً، صابراً، قانعاً، عارفاً بالله كل المعرفة؛ فليخرج من قلبه حب الناس، وحب ما هم عاكفون عليه، فإنه يرىٰ من أسرار التقوىٰ والعلم ما لا يدخل تحت حصر. وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالىٰ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٢].

ومن زعم أنه يتقي الله وهو يحب الدنيا وأهلها فقد كذب؛ لأن التقوىٰ قلبية، ولا يسع القلب إلا شيء واحد، والله على ما يشاء قدير، وعلى ما نقول وكيل.

الله أكبر! ما أحسن اللسان بعيداً والقلب قريباً، وما أحسن اللسان جاهلاً والقلب عليماً، وما أحسن اللسان ذليلاً والقلب عزيزاً، وما أحسن اللسان فقيراً والقلب غنياً، وما أقبح العكس!.

واعلم أن كل ما رأيته قانعاً من الأحوال، وراغباً في الأقوال، فاستدل بذلك على أن قلبه محشوٌ بحب الرياسة والجاه، وحب الرفعة، والثناء من الخلق، وطول الأمل، وكل ذلك من عمىٰ البصيرة، نسأل الله اللطف، وما يرضىٰ أحدٌ بهذه العلل إلا ومات قلبه، وهذا هو العلم الغير النافع، أعوذ بالله من علم لا ينفع.

ومن رأيته قليل العلم، كثير العمل، فاستدل بذلك على أن قلبه عامر بحب الله ورسوله، ومراقبته، وخوفه، وهيبته، وسطوته، وحيائه. قد ضعفت حجبه الكثيفة، وانتهىٰ في القرب من ربه، حتى صارت الآخرة نصب عينيه، ولم يبقَ له التفات إلى العلم، بل ربما غاب في بعض الأوقات عن العمل لكثرة هيبة الحق تعالىٰ، وعظمته. وهذا هو العلم النافع الذي يردُّ به العبد إلى ربه، ويقهره عن جميع الشهوات، ويمنعه حب البقاء في هذه الدار الفانية، فيرىٰ الآخرة كأنها حاضرة، والدنيا كأنها لم تكن، ولو كشف له عن عمره ورأىٰ فيه ألف سنة، لرأىٰ ذلك كساعة واحدة، فلا يغتر بالغرور، ولا يميل إلى شهوات نفسه.

وصاحب هذا الحال، وإن كان جاهلاً بكثير من العلوم فهو عالم على التحقيق، لأن العلم نور في القلوب يهدي إلى صراط مستقيم، كما أن الجهل ظلمة تهدي إلى ضلال مبين، فأي جهل لمن يخاف الله ويتقيه؟ وأي علم لمن لا يخاف الله ولا يقف على حدوده؟

فاعمل - يا أخي! - بما تعلم، تتفجر حكم قلبك بمواهب ربك. **«من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم»**[1].

---

(١) أورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (٢٣٤٦) [٢/٢٨٧] والقاسمي في قواعد التحديث [١/٤٠٠] واورده غيرهما.

وأحسن صلاة جوارحك، واحتفظ عليها جهدك، ليصلي قلبك، لأن صلاة الجوارح وسيلة لصلاة القلوب، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، يعني: صلاة القلوب، لا صلاة الجوارح. لأن صلاة الجوارح غايتها أن تنتهي عن الفواحش الظاهرة، ولا تنتهي عن الفواحش الباطنة، مثل الحسد، والكبر، والبغض، والحرص، وما أشبه ذلك، نسأل الله اللطف.

والفواحش الظاهرة أخف من الفواحش الباطنة، فإنه لا يعرفها إلا من أخذ الله بيده، وجمعه مع أرباب القلوب.

فطهِّر - يا أخي! - قلبك، لتصلي مع أرباب القلوب، وأما ما دام متنجساً بأنواع الفحشاء والمنكر فلا تطمع أن تصلي صلاة واحدة، فضلاً عن الصلاة الدائمة، التي هي اتصال الحضور، وملازمة السرور.

فرِّغ قلبك من الشهوات، وامنع جوارحك من وجود الدعوىٰ، فإنها تجر البلوىٰ، ما أحسن وصف العبودية مع تحقيق الأمور بكشف حقيقة حالاً لا علماً فقط، وما أقبح العكس.

عجبت ممن يدّعي حقيقة الأشياء مع حياة نفسه، ويطلب الحضور مع ربه، وهو حاضر مع غيره، ويطلب حضور الله معه، وهو لم يحضر مع الله في كل نفس، ولحظة.

فألزم - يا أخي! - نفسك الحضور بالمجاهدة، يطلبك العيان والمشاهدة: «لا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتىٰ أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به» الحديث.

واعلم أن من أراد الله به خيراً أقامه في المجاهدة، وفتح له باب الحضور حتى لا يخطر بباله غير ربه، وحينئذ تحفظ جوارحه من سائر الفواحش، وهذه ثمرة المجاهدة، وكل مجاهدةٍ ليس لها نتيجة حضورٍ: لها مجاهدةُ رياءٍ وسمعة.

ومن علامة الحضور: أن تنقلب مرارة المجاهدة عسلاً، ولكن هذا لا يحصل إلا بعد مدة طويلة غالباً. وقد تحلّىٰ لبعضهم في أول مجاهدته، والله تعالىٰ أعلم.

واعلم أن مراقبةَ الله تعالىٰ واجبةٌ على كل أحد، إذ ما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو واجب، فالمجاهدة واسطة المراقبة، والمراقبة ضامنة للتقوىٰ الظاهرة، أعني: تقوىٰ العوام، وهذا مقام طلبه سبحانه منا بشرط الجهاد إظهاراً للعبودية، وأما مقام المشاهدة فيحسن تطلُّبه من الحق تعالىٰ، تفضّلاً منه وكرماً، وليس للعبد طمع فيها إلا بالمجاهدة، فهي واجبة أيضاً على كل أحد، إذ لا يستحقه أحد بفعله، ولو عمل ما

عمل، وكذلك مقام المراقبة ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النُّور: ٢١]، ولكن الله تعالىٰ نصب المقام الأول لنا من حيث وجود العبد ليقوم هذا الذي لا نسبة للعبد فيه؛ فافهم!.

وحقيقة الجمع ليس هناك إلا تجلياته الظاهرة، ومثل ذلك ضياء الفجر المستضيء من الشمس، فإن الناس إذا رأوا الفجر تحققوا وتيقنوا بطلوع الشمس بعده، فانحجبوا بضياء الشمس عن ضياء الفجر، كذلك أهل التحقيق حجبوا بالحق عن الخلق في جوهر الخلق كما حجب الناس بالشمس عن الفجر في وجود الفجر، فافهم!.

[عدم تزكية النفس]

٣٤ ـ ومن أدب المريد: أن لا يزكي نفسه، ولو بلغ ما بلغ من الخدمة والصدق، والمحبة، والنية، وغير ذلك، قبل أن يزكيه الله ورسوله ﷺ، وشيخه، فإن وقع له الإذن من الله ورسوله، أذن له شيخه لا محالة، وحينئذ فلا ينبغي له أن يرجع إلى نفسه، فإن رجع إليها بعد هذا فهو ظالم لها، وقد يسلب من هذا المقام، ويرد إلى المقام الذي يظن بنفسه: «أنا عند ظن عبدي بي». وإن كتم حاله ـ تأدباً ـ مع الشيخ وحياء منه، زاده الحق تعالىٰ رفعة. وطلبه ذاك المقام الذي أعطي له قهراً عليه.

فإياك ـ يا أخي! ـ أن تطلب الحرية قبل أن تطلبك، فإن مثل من يطلبها قبل أن تطلبه كمثل من صلىٰ قبل الوقت فصلاته باطلة.

وفي الحكم: «ما ترك من الجهل شيئاً من أراد أن يحدث في الوقت غير ما أظهر الله فيه».

وكذلك لا ينبغي له أن يطلب من الشيخ تزكيته، فإن ذلك من أعظم سوء الأدب، لأن الواجب على المريد أن يكون في خدمة الشيخ كالعبد المخلص في عبادة ربه، لا يرجو جنة، ولا يخاف ناراً.

والذي ينبغي له أن يطلبه من الشيخ: الاطلاع على دسائس نفسه حتى يصلح لمجالسة ربه، ومن طلب غير هذا فقد انحطَّ من رسم المريدين إلى مقام العوام، لأن العوام إذا جلسوا أمام ولي تجدهم يتمنون إدراك الدنيا والآخرة في ساعة واحدة، وذلك لقلة معرفتهم بالأمور، وبكيفية السبيل إلى وصولها.

فافهم إشارتنا ـ أيها الأخ! ـ وقم بحق الوسائط، وإياك أن تطيع نفسك في شيء غير ما يأمرك به الشيخ، قال الله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي

ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، يعني: الذين تولوا أمر الطريق إلى الله عزّ وجل، من أولياء الله العارفين، والعلماء العاملين، وإياك أن تفهم الآية على غير هذا، إذ لا ينبغي أن يطاع من الخلق من لم يطع الله ورسوله، بل لا ينبغي لنا أن نطيع سوىٰ من يردنا إلى الله، وإلى سنة رسوله ﷺ، والمريد مشغول بما يعنيه، ليس له مدخل في الفضول، فلأجل ذلك كان خارجاً عن حكم كل حاكم، وعن جور كل جائر، وداخل تحت حكم من يخرجه من أسر نفسه، ويقربه من حضرة ربه، فإن ارتكب الفضول، واشتغل بما لا يعنيه، فقد خرج عن حد المريدين، فيلزمه ما يلزم العوام من أحكام الولاة وطاعتهم، فافهم.

[عدم التصدر للخلق قبل الإذن]

٣٥ ـ ومن أدب المريد: أن لا يتصدر للتربية وإعطاء الورد قبل الإذن من الله ورسوله، ومن شيخه، ومن تصدر لشيء من ذلك بغير إذن، فقد تعرض للهلاك، وأهلك من تبعه، إذ لا بد من معرفة قواعد التربية، ومعرفة دسائس النفوس الأمّارة، واللوّامة، ومن لا معرفة له بذلك فهو أعمىٰ، والأعمىٰ لا يقود غيره في ظلم الليالي في بلاد قفراء وعراء.

فالواجب على من وقع في شيء مما ذكرنا أن يتوب إلى الله تعالىٰ، ويستغفر من ذلك، ويبكي على خطيئته، ويسعىٰ في السلوك على يد المشايخ، وإلزام الوقوف ببابهم، وأن لا يقع في الرضا عن نفسه، والاستحسان لحاله، فيخسر خسراناً مبيناً ـ والعياذ بالله تعالىٰ ـ.

فإياك ـ يا أخي! ـ ثم إياك، وإن مال أحدٌ إليك فادفعه عنك لئلا تميل نفسك إليه، وتستحلي ذلك، فتطلب غيره فتستحليه، فلا تزال كذلك حتى يكثر الخلق عليك، فتقول لك نفسك: أنت مخلص، وأنت أهلٌ للتربية، ولو لم تكن مخلصاً ما انقاد إليك أحد، فتستدرجك من حيث لا تشعر.

احذر ـ يا أخي! ـ من هذا الباب جهدك، فقد خسر منها كثير من الصديقين، كان قصدهم مولاهم فرجع قصدهم حظ نفوسهم.

واعمل على سياسة نفسك أبداً حتى يحصل لك التفرغ منها ظاهراً وباطناً، وهناك تصلح لسياسة غيرك. فإن سياسة النفس الأمّارة صعبة لا يقدر عليها من فيه بقية، ولا سيما مع عدم الإذن. إذ الإذن عطية قديمة مخصوص بها في سابق أزله وهي تطلب أهلها، لا أهلها يطلبونها!. بل ينبغي أن يكون ـ أي المريد ـ في أموره كلها هكذا، فلا يطلب شيئاً حتى يطلبه، ولو كسرة خبز. فإن الشيء المفروغ منه لا بد لك منه. فإن كنت ولا بد لا تترك الطلب، فاطلب على وجه الشريعة ـ إن كنت ضعيف التحقيق بذلك ـ. وتأمل قول

الحق تعالىٰ: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [طه: ١١٤]. وقوله تعالىٰ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾﴾ [القيَامَة: ١٦]. أي: لا تتعب نفسك في الأمر الذي سبق لك، فهو واصل إليك.

فتأمل يا أخي! هذا الخطاب ما أحسنه! لمن عرف معناه، فكأنه تعالىٰ يقول: «ما كان سابقاً لكم في أزلي فهو واصلٌ إليكم من غير مشقة»، فافهم.

واعلم ـ يا أخي! ـ أن من علامة الإذن في التربية أن يثقل ذلك على المريد غاية الثقل، لكونه لا يرىٰ نفسه أهلاً لذلك، رؤية حال، فتضيق روحه، ولا يتقدم لذلك، ثم يؤذن له ثانياً فيثقل عليه أكثر من المرة الأولىٰ، ثم يؤذن له ثالثاً، وحينئذ يتقدم لذلك من غير اختيار. فإن لقن أحداً، أو ذكر، أو نظر أحداً، ظهرت فيه من أسرار التوجه العجائب والغرائب. وهذه علامة الإذن من الله ورسوله، وأوليائه.

فإياك ـ يا أخي! ـ أن تتقدم لما فيه خسرانك وخسران غيرك، وإن كنت ولياً من أولياء الله، فإن الإذن مخصوص به أهله كما تقدم. وقد تاه كثير من الناس في هذا الباب فمالوا لحب الجاه والمدح. فينبغي لمن تفطن لشيء من هذا في نفسه أن يستعمل عملاً مباحاً، يخرق به عادة نفسه، ليقع منه الفرار، ويتفرغ لعبادة خالقه، ويستفيد أسرار قلبه، وكثيراً ما يستعمل هذه الحالة أهل الصدق الكبير. اللهم اجعل لي فيهم نصيباً، ولا تجعلني فيهم غريباً يا قريب! يا قريب! يا قريب!

واعلم أن من جهل المريد وغفلته أن يكون مشغولاً بحاله ليس له معرفة بأحد، فيتعرض لمعرفة الناس. وسبب هذا عدم تحققه، ولو تحقق لاكتفىٰ بعلم الله، وصاحب هذه الحالة يحتاج إلى سياسة عظيمة، حتى يخرج من حضرة الخلق إلى حضرة الخالق. ومن ادعىٰ الشهود مع التعرف للخلق فشهوده علم فقط، ولو كان شهوده حالياً لأغناه عن رؤية الخلق، فافهم أيها الحبيب وكن مع الله بالله، ولا تكن مع الله بغيره، فما دام موجوداً وأنت بعيد. والله تعالىٰ أعلم.

ومن أدب المريد: أن لا يرىٰ نفسه فوق أحد من المسلمين فضلاً عن إخوانه الفقراء. قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ [الحُجرَات: ١١]. صدق الله العظيم.

ومن خطر بباله أنه خيرٌ من أحد من المسلمين فقد اشترك مع إبليس في المقام، حيث قال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [الأعرَاف: ١٢]. ولا سيما إن كان يدّعي الخصوصية الكبرىٰ، فالواجب على المدعي ذلك أن يرىٰ الأشياء كلها خيراً منه، فضلاً عن المسلمين.

وفي بعض الأبيات، كما قال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالىٰ ورضي الله عنه:

ولا تريَنْ في الأرض دونك مؤمناً ولا كافراً حتىٰ تُغيَّب في القَبرِ
فإنّ ختام الأمر عنك مغيَّبٌ ومن ليس ذا خُبرٍ يخاف من المَكرِ

وفي الآية الكريمة: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف: ٩٩]. ولا يخرج عن هذه الرؤية لحظة واحدة، وإن خطر بباله شيء من ذلك فدعواه الخصوصية باطلة.

وعند وجود التعرفات يعرف الصادق من الكاذب، كما قيل: «عند تقلبات الأحوال يعرف الرجال من الرجال».

واعلم أن هؤلاء القوم لهم علم بالعظمة، وكل من خطر بباله غير العظمة فهو مسلوب من نور العلم المخصوص بالإحسان مع الجميع، لشهود وحدة الذات.

اللهم! إني أعوذ بك من السلب بعد العطاء، ومن تقديم الخطأ، وتأخير الصواب، يا أرحم الراحمين! يا رب العالمين!.

ومن أراد شهود العظمة على الدوام، فعليه بذله نفسه لله، ولا يسعىٰ إلا في الأسباب الموجبة لحطها، وإهانتها، وتصغيرها، واحتقارها، وعجزها، وضعفها، وفقرها، وفاقتها، واضطرارها، وإنزالها في كل منزل حولها، ولا يسعىٰ في شيء من حظوظها ظاهراً ولا باطناً. وعند ذلك تنال الروح حظها، لأن حظ الروح وحظ النفس لا يجتمعان.

ومن أراد الحظوظ كلها فليلزم ما ذكرناه. وقد قالوا: «كلما دفنت نفسك أرضاً، أرضاً، سما قلبك سماءً، سماءً». وأي حظ أعظم من ضعف الحجاب؟!.

فانتبه - يا أخي! - فإن بعض الدسائس تخفىٰ على كثير ممن يطلب القرب من الحضرة. ومن أقبحها أن يكون ظاهر العبد متصفاً بالعبودية، وباطنه ينظر إلى الرفعة والعز والجاه، وميل الخلق إليه، وإقبالهم عليه، وهذه علة قاطعة تحتاج إلى مجاهدة عظيمة، وفراسة كبيرة، وقد أُخذ منها كثير من العباد، والسياح، وغيرهم ممن ظهرت العبودية على ظواهرهم.

وأما من لم تظهر عليه عبودية فإن كان موجب إخفائها خوف الرياء، واستدراج النفس، فتبارك الله، وإن كان موجب إخفائها عدم معرفته بالعبودية لله، فالله أدرىٰ به، وينبغي لنا التسليم لجميع المسلمين.

فاصحب ـ يا أخي! ـ شيخاً عارفاً ماهراً في رياضة الظاهر والباطن، يمدك بمدد المعرفة، فيستنير قلبك بنور الحكمة، وتعرف أسباب النور، وأسباب الظلمة، وحينئذ اذهب حيث شئت، فلا تخاف، ولا يخاف عليك، والله غالب على أمره.

واعلم أن حقيقة الكمال: أن تشهد الحق في وجودك، وليس لك وجود. وأن تنفق الدنيا وما فيها ـ إن وجدتها ـ ولا ترىٰ لك إنفاقاً. وليس من الكمال أن تشاهد الحق أقرب من شهودك، أو ترىٰ الحق مع وجودك، أو تنفق الدنيا، ثم يخطر ذلك على بالك إذ ذاك دليل على بقاء نفسك، ورؤية الكون حذو أذنك.

واعلم أن كل فقيرٍ صِدِّيق ليس بعالمٍ ولا متعلّم: من علامة القلوب الخالية، والألسنُ بالألفاظ مالية!

«من طلب الأنوار بكسوة الأحرار، طلب الأغيار ودوام الأكدار».

«الإفلاس كل الإفلاس من طلب الإخلاص بقربه للدنيا والناس».

«إذا قبلك وأحبك واجتباك، منعك حبهم، وحببهم إياك».

«من علامة العلم بالله: حب الفقر والمذلة».

«إذا أشرقت على القلوب الشموس، انهدمت الجوارح وفنيت النفوس».

«قلوب العارفين في أعلىٰ الملكوت ممتدة بأنوار الجبروت».

«إذا تكلمت سلبت، وإذا صمت أخذت، وإذا نظرت جذبت، وإذا انقبضت دفعت».

«إنما منع القلب من دخول المعاني إثباته للأواني».

«الأكوان وصف قهريته، قهر بها أهل حضرته».

ثم اعلم أن العالم لا يكون عالماً حتى يرىٰ خلق الله تعالىٰ أعلم منه، رؤية حال، ولا تحدثه نفسه بذلك، ولا يرىٰ نفسه إلا جاهلاً مع وجود العلم، هذا هو العالم، ووجوده في هذا الزمان قليل. وكل من رأىٰ نفسه عالماً فهو جاهل، لما في الحديث: «من قال: أنا عالم، فهو جاهل»[1].

ولا يكون الصوفي صوفياً حتى يرىٰ خلق الله ـ تعالىٰ ـ كلهم أعلم منه، وأحسن حالاً، وأدباً، وأقرب منه في الحضرة، وأصفىٰ منه بصراً وبصيرة، وغير ذلك، حالاً لا علماً فقط.

---

(١) أخرجه الذهبي في ميزان الاعتدال، ليث، [٥/ ٥١٢].

وتظهر صحة هذه النظرة حالة إذاية الخلق له، وازدرائهم به، كما تظهر صحة نظر العالم عند وجود من يجهله، ويتعبه عليه، لأن صاحب هذا الحال يكتفي، قد سلم الأمر لله، والخلق إنما هم ظروف لا فعل لهم على التحقيق.

والصوفي الحقيقي يرىٰ الأشياء كلها بعين التعظيم والإجلال، لكونه يراها بالله لا بنفسه، فهي كلها عنده خزانة السر، والعلم، ونور من حيث أشرقت عليها أنوار الحضرة الألوهية القدسية، الأزلية، الديمومية، الأبدية، وكل من رآها بغير أنوار الحضرة فإنه يراها ظلمة.

فمن أراد أن يمتد قلبه من أنوار الحضرة، فليمنعه من دخول مدد الظلمة عليه. ومن أراد منعه من ذلك فليمنع جوارحه من العوائد التي منعته من جميع الفوائد، ومررت عليه سائر اللذائذ. ورأس العوائد: الدنيا، لما في الحديث الشريف: «**رأس كل خطيئة حب الدنيا**»[1]، وتركها فرض عين، عن علماء الباطن والظاهر. ومن قال بعدم تركها فقد ضلّ عن منهاج الشارع صلّى الله عليه وآله وسلّم.

والعالم الحقيقي يرىٰ المسلمين كلهم خزائن العلم، وليس له هو علم، لأن خزانة علمه لا تفتح في هذه الدار، لئلا ينقص له منها شيء، وإنما تفتح في الدار الآخرة، وترفع درجاته على غيره.

والمراد من العلم: التقوىٰ. فإياك ـ أيها العالم! ـ أن تحقر أحداً من مساكين المسلمين، فإن لهم يوم القيامة برهاناً عظيماً، وسراً كبيراً، دون غيرهم. وقد قال فيهم رسول الله ﷺ: «**إن لهم دولة يوم القيامة كدولة الملوك**»[2].

فالواجب على كل متكبر بعلمه، أو جاهه، أو نسبه، أو غير ذلك أن يذل نفسه لمساكين المسلمين، وأن يجلس معهم، وفي الجلوس معهم فائدتان:

الأولىٰ: جبر قلوبهم، لما هم فيه من الانكسار، فيجبر الله قلبه إذا انكسر في هذه الدار.

الثانية: يحشر معهم يوم القيامة، ومن حشر معهم كان في حضرة الله ورسوله في مقعد صدق. قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝﴾ [القَمَر: ٥٤]. والمراد

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان، حديث رقم (١٠٥٠١) [٧/٣٣٨] وأورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (١٠٩٩) [١/٤١٢] وأورده غيرهما.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء، ترجمة أبو الربيع السائح، وأورده العجلوني في كشف الخفاء ضمن حديث رقم (١٨٤٢) [٢/١١٥] ورواه غيرهما.

بالمتقين هنا: الذين اتقوا الله في وصفه، وهذه تقوىٰ القلوب، قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]. والشعائر: هي أوصاف الحق، فمن اتقىٰ أوصاف الله فقد عظمه، وعظم رسوله، وأولياءه. وقال عزّ من قائل: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨]. أي: وصفه.

فمن أراد الله به خيراً أسكنه وصف العبودية من الذل والفقر، والضعف، والعجز، والتواضع، والانكسار، وغير ذلك، ظاهراً وباطناً، وحينئذ يتولىٰ الله أمره.

اللهم! تولَّ أمرنا، ولا تولِّ علينا نفوسنا، يا أرحم الراحمين!.

فعلىٰ العالم أن لا يرىٰ علمه، وعلى الصوفي أن لا يرىٰ حاله، وعلى العامل أن لا يرىٰ عمله، وكل من رأىٰ علمه أو عمله أو حاله فهو صاحب كبر وعجب. وسبب العُجب: رؤية العلم والعمل. فالعاصي لا يقع منه عُجب أبداً، لانكساره. بخلاف الطائع، قال الله عزّ وجل: ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ [الأنعام: ٧٠]. أي: لا يؤخذ منها الأمان من العجب، ولا يأمن منها إلا من سلك على يد شيخ عارف ناصح، يظهر له عللها الخفية والجلية، ثم يغيبه عنها وعن عللها، فافهم.

وأيضاً: الصوفي لا يرىٰ لنفسه وجوداً، وإن رأىٰ وجوداً غير وجود الحق فقد ضلّ ـ والله ـ عن الطريق. إذ من غاب عن الأشياء لا يراها، ومن لا يراها كيف يرىٰ غير الله؟ وثبوت الأكوان من غير محلها من رؤية العادة، وكيف يثبتها من محلها من لم يخرق في نفسه العادة؟ والغيبة عنها لا تكون غيبة إلا إذا كانت حالاً لا علماً، كما يظن كثير ممن يدّعي التصوف وهو في عوائد نفسه مكبّل بسلاسل الأغيار والأكدار، لأن العلم لا يخرج من رؤية السّوىٰ، ومن لم يخرج من رؤية السوىٰ لا يجد لرؤية الحق سبيلاً، لأن من رأىٰ الحق لا يخطر بباله رؤية السّوىٰ. نعم، قبل التمكين يخطر على قلبه السّوىٰ، لكن كالخيالات التي يراها النائم في منامه، فإذا استيقظ لم يبقَ لها وجود ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

والناس في الشهود على قسمين:

ـ قوم شهدوا الحق بالحق: وهم أهل الفناء.

ـ وقوم شهدوا الخلق بالحق، بعد شهودهم الحق: وهم أهل البقاء.

ـ وقوم استشرفوا على التحقيق: وهم على قسمين: قوم استشرفوا على التحقيق من باب المطالعة في كتب الحق، حين حصلت لهم محبة القوم، والإيمان بهم، فلم يزالوا على المطالعة حتى تفرغت قلوبهم، فذاقوا بعض الحلاوات، إيماناً وتصديقاً، لا حالاً وتحقيقاً.

ـ وقوم اشتغلوا بكثرة العبادة حتى تفرغت قلوبهم فأشرقت عليهم شمس التوحيد، لكن لم يعرفوا ذلك الأمر ما هو؟ فزاد بهم ذلك، حتى وقعوا في الحيرة، فترادفت عليهم الخواطر من قبل الحضرة فظنوا أن ذلك كفر، وربما دخلتهم وساوس، ومن هنا كان دخول الخلوة من غير علم ولا إذن مضراً بصاحبه. وكذلك مطالعة غير ما هو ظاهر، وغير ما هو معروف حكمه عند أهل الظاهر من كتب القوم، توقع صاحبها في الوساوس والدعوىٰ.

وبالجملة: فكل مريد أراد سلوك الطريق بنفسه لا يسلم من آفاتها، إلا من أخذ الله بيده، ورزقه الصدق العظيم. ومن أراد السلوك مع السلامة ـ كما ذكرنا ـ فليصحب شيخاً عارفاً، واصلاً، يعرفه طريق الرياضة، ويخرجه من علائق نفسه، ويمنعه كل شهوة، ويجانبه كل دعوىٰ، ويرغبه في دار البقاء، ويحبب له اللقاء، ولا يزال يرقيه في مقام العبودية، وينقيه من أوصاف الربوبية، فيخليك، ويحليك، ويرقيك، ويفنيك، ويبقيك، ويتركك وربك. ثم تعرف في نفسك حقيقة قربك، بعد تخلقك بخلق الأرض، قال تعالىٰ: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الذاريات: ٢٠]، إشارة إلى أن العبد كالأرض يباهىٰ عليها ولا يباهىٰ بها. فإن كان هكذا شهد حقيقة نفسه بربه لا بنفسه. وما حجبنا عن أسرار الحضرة وأنوارها، وثمارها، وغير ذلك سوىٰ عدم تحققنا بوصفنا، ولو كنا كالأرض ـ كما قال عزّ وجل ـ لشهدنا السر المرموز في أنفسنا.

فافهم ـ أيها الأخ! ـ ما قدم لك الحق تعالىٰ من وصف العبودية، فالزمه فإنه هو الخير. وإياك أن تطمع في سر الآية التي بعدها، ما لم تتحقق بسرها، أي: قوله تعالىٰ: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات: ٢١].

اللهم! أرنا حق حقيقة آياتك الظاهرة، وأنوار عظمتك الباهرة، بألطاف مواهبك اللدنية، العلوية الملكوتية، التي كشفتها لأحبائك، وأصفيائك، حين منعتهم ما ليس لهم، ومننت عليهم بأوصاف آداب حضرتك القدسية، فأدبتهم بجلالك في حضرة ملكك، بلطف منك يا أرحم الراحمين.

فارجع ـ أيها الإنسان! ـ لنفسك، واعتبر في جسمك بعين بصيرتك، لا بعين بصرك، ترَ جماله مرموزاً في جلاله، وقدرته مرموزة في حكمته، فإن أردت كشف ذلك ـ يقيناً لا علماً فقط ـ فاصحب شيخاً عارفاً يرفعك إلى مقام المراقبة، فتحقق بحقيقة أفعال الحق ـ سبحانه ـ متصرفة كيف شاء بما شاء، فترفع عنك أسباب طمس البصيرة من أنواع الجهل، ويرفعك إلى حقيقة العبودية من حقيقة الربوبية، فتأخذ ما هو لغيرك مع رؤيتك عدم الحول والقوة، فترىٰ ما منه إليك من المنّة والفضل، والذي منك إليه باطل على التحقيق.

ثم يرقيك إلى مقام الكشف بأحدية الذات، فترىٰ نفسك ليست بموجودة، فتستغفر الله من المقام الأول حين تمكن في هذا الثاني.

ثم يرقيك إلى المقام الثالث الذي هو إثبات الأثر، فترىٰ الفرق في عين الجمع، والجمع في عين الفرق، فإذا تحقق بذلك استغفرت من المقام الثاني، وحينئذ تتخلق باسمه الحكيم، من وراء الحجاب، أي: حجاب القهرية، ولا حجاب في الحقيقة، لأنك إذا نظرت إلى رجل وعليه ثيابه، فإنك تعرف حقيقة جسمه، ولا تحجبك ثيابه عن معرفة جسده، فبمجرد نظرك لظاهره، تعرف باطنه، لكونك تعرف ذلك من نفسك. فإن الرجال كلهم على هيئة واحدة في الصورة القديمة، غير الطباع فإنها مختلفة. ولولا اختلافها لكان الجمع فيهم ظاهراً من حيث كونهم شيئاً واحداً في الصنعة الأزلية، فلولا الطبع البشري المغير لأنوار البصيرة لما مثلت الحكمة على أحد إذ الأشياء كلها صنعته، وحكمته، وقدرته، فهي كلها حسنة.

وليس هناك شيء قبيح أو هو أهل للقبح، ولا يرىٰ القبح إلا الطبع البشري لكونه مركباً من الشهوات. وإلى هذا المعنىٰ الإشارة بقوله ﷺ: «لا تسبُّوا الدهر فإن الله هو الدهر»[1]. وبقوله في الحديث القدسي الشريف: «مرضت فلم تعدني! وجعت، فلم تطعمني! وعريت فلم تكسني! وعطشت، فلم تسقني!»[2].

فتأمل ذلك ـ يا أخي! ـ تعرف حقيقة كل شيء من باب الإشارة، فضلاً عن الكشف ـ إن كنت من أهله ـ والله يأخذ بيد كل من عثر.

واعلم أن الثوب شريعة البدن، كما أن الفرق شريعة الجمع، فلو كان الناس عراة لما كان عليه سر، ولما وقع العشق من بعضهم لبعض، ولصاروا كالحيوان. فسر الحقيقة في وجود الشريعة، إذ الشيء لا يقوم إلا بضده. ولذلك سمىٰ نفسه بالحكيم، ومن أعظم حكمته سبحانه أن جعل الحجاب بينه وبين خلقه ليعبدوه، «كنت كنزاً لم أُعرف، فخلقت الخلق لأُعرف»[3].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، باب النهي عن سب الدهر، حديث رقم (٢٢٤٦) [٤/ ١٧٦٣] والنسائي في السنن الكبرى، قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا ...﴾ [الجاثية: ٢٤] حديث رقم (١١٤٨٧) [٦/ ٤٥٧] ورواه غيرهما.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، باب فضل عيادة المريض، حديث رقم (٢٥٦٩) [٤/ ١٩٩٠] وابن حبان في صحيحه، ذكر الخبر الدال على أن هذه الألفاظ . . ، حديث رقم (٢٦٩) [١/ ٥٠٣] ورواه غيرهما.

(٣) أورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (٢٠١٦) [٢/ ١٧٣].

ثم اعلم ـ رحمك الله ـ أن ما من حقيقة ظاهرة إلا ولها شريعة ظاهرة تسترها كالعورة، فإنها حقيقة ظاهرة، وشريعتها سترها، والحقائق كلها ظاهرة لمن يعرفها، وكلها باطنة لمن لا يعرفها. ظاهرة لمن يراها ببصيرة، باطنة لمن يراها ببصره، فمن أراد صفاء بصيرته فليلزم أهل الصفاء من أهل الخفاء. ومن أهل الخفاء من يضيء نوره على الوجود كله، ولا يعرف له قدر، مثل نور الشمس، فإن الناس تعودوه، صغاراً، وكباراً، وإذا قوي نوره في بعض الأوقات استعاذوا بالله من حرها، وفروا من الشمس إلى الظل. كذلك الولي؛ يقوىٰ نوره في بعض الأحيان، حتى يثقل على الناس النظر إليه، ولا يكثر قرب الناس إلا ممن نوره ضعيف، أو كامل، سترت أنواره بالشرائع، وهو نادر، قلّ أن يوجد.

وأيضاً: أولياء الله تعالىٰ لا يظهرهم الله إلا لأهل الصدق، وهم الذين ينتفعون بهم، وإن وقع ظهورهم لعامة الناس فلا ينالون سوىٰ التبرك بهم، وهو شيء عظيم.

وأما الصالحون ـ من العلماء وغيرهم ـ فإنهم ظاهرون في كل زمان، لكونهم أهل ظواهر، بخلاف الولي، فلا يعرفه إلا ولي، فمن كشف الله له عن حقيقة ولي فليعلم أنه أراد سبحانه أن يكشف له عن حقيقة سر توحيده، لأن الولي دليل يدل به الحق سبحانه على نفسه.

والصالحون والعلماء من أهل الظاهر دلائل يدل بهم الحق تعالىٰ على الطريق، لا على عين التحقيق، فإن التحقيق نهاية الطريق. والطريق نعت التحقيق، وهذا هو الفرق بين أهل الظاهر وأهل الباطن: أهل الظاهر يسيرون وراء القصر يلتمسون الباب. وأهل الباطن يسيرون داخل القصر يلتمسون حضرة الأحباب.

[عدم طلب التقدم على الإخوان]

٣٦ ـ **ومن أدب المريد:** أن لا يطلب التقديم على الإخوان، ولا أن يكون رئيساً يرجعون إليه في أمورهم، فإن هذه علةٌ خفية، قد وحل في شبكها جل المريدين، وقل من سلم من ذلك، وهي من أقبح القبائح، تؤدي صاحبها إلى الفضائح. وهم على هذا قسمين:

قسم: يميل إلى ذلك بقلبه، ولا يحب أن يظهر ذلك على جوارحه، وذلك لقربه من الإخلاص.

وقسم: يكون ذلك في قلبه، ويظهره على جوارحه، وذلك لبُعده من الإخلاص. وصاحبُ هذا الوصف قلّ أن يفلح، ونفس هذا أمّارة، ولو لم تكن أمّارة لما أرادت الإمارة. ولعل صاحبها كان يطلبها قبل ذلك على العامة، فلما دخل حزب الخاصة، ولم تكن له نيةٌ قوية، وصدق تام، وإيمان راسخ، وجعل يطلب الإمارة على الخاصة، وهذا كله عمىٰ البصيرة، وتشتيت الفكر، والبُعد من طريق الأخيار، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وقولنا: «لم تكن له نية قوية» إلى آخره: يدل عليه ما ظهر عليه من طلب الإمارة، ولو دخل بنية قوية وصدق تام، وإيمان غليظ، لظهرت نتيجة ذلك على جوارحه ـ أي: ظاهره ـ ولتحقق بأوصاف العبودية كالفقر، والذل، والعجز، والجهل، وغير ذلك من الأوصاف التي فيها رضا الحق تعالىٰ.

وينبغي لهذا المريد أن يلزم نفسه الخروج عن عوائدها، وأن يستصحب الذل التام في الظاهر والباطن مع الإخوان، والتأخر عنهم في كل ما فيه رائحة الجاه والرفعة، وليلزم خدمتهم، والأدب معهم، وليجلس في محل حط نعالهم، وليكن لهم عبداً مملوكاً، إن أراد أن يكون من الملوك. ولا يتقدم عليهم في شيء وإن قدّموه، إلا إن علم من نفسه السلامة من هذه [الشهوة] الخفية التي كانت ساكنة في باطنه، وهو يعرفها قبل صحبتهم وبعدها، وهي حب التقدم والتصدر، والرجوع في النظر إليه، لأن يقال: سيدي فلان! رئيس الفقراء، وهو بركتهم، متاع الله لله يا ولي الله!، وهو ليس من الولاية سوىٰ الحظوظ والكذب بالدعوىٰ وغيرها.

نعم أيها المريد! إن غبت عن وجودك، وفنيت عن شهودك، وتحققت بمعبودك في جمعك وفرقك، وامتحت عنك الصور بشروق الأنوار، وذهبت جميع الأغيار، بالتمكن في حضرة الأحباب، ثم قطعت مهامه الجلال حتى عرفت الله في كل حال، وكنت لا يؤثر فيك الذنب ولا الثناء، وسواء قدموك أو أخروك، أو رفعوك، أو وضعوك، فإن كنت هكذا وعلمت من نفسك هذا مع وجود القيام بالأوامر والنواهي، وقدمك شيخك وإخوانك الراسخون في الطريق فتقدم فإن ذلك يزيدك خيراً وأدباً على الأدب. ومن تقدم قبل هذا فقد أضر بنفسه.

ففق ـ أيها المريد! ـ من نومك، وانتبه لعيوبك، واسع في تزكية نفسك، واعمل بما يرفع الحجاب عن قلبك من أنوع العبودية الخالصة التي لا حظ للنفس فيها، وقد سطرنا لنا ولك ما فيه كفاية لكل طالب، والله يأخذ بيد من عثر.

واعلم أن هؤلاء القوم أهل معرفة واضحة، وصدور منشرحة، حركتهم بالله، وسكونهم بالله، وكلامهم بالله، وسكوتهم بالله، فهم في كل شيء بالله لا بنفوسهم، فكلما تأخرت قدموك، وكلما تواضعت رفعوك، وكلما بعدت من وصف هو ليس لك قربوك، وكلما أبغضت نفسك أحبوك، وكلما حذفتها أثبتوك، وكلما جهلتها علموك، وكلما جعلتها ذنباً جعلوك رأساً، وكلما جعلتها سفلية جعلوك علوياً.

وقد قال لقمان لابنه: «يا بني! كن ذنباً ولا تكن رأساً، فإن الضربة أول ما تقع في الرأس». وذلك لتحققه بأن الأشياء كامنة في أضدادها، وهذه هي السنة المحمدية، وقد تمسك بها كل نبي وكل ولي.

والحكمة لا تسكن في قلب فيه شيء من الزيغ ولو قدر الذرة. وقد يبرز شيءٌ من جمالها على ظاهر القلب فيظهر على صاحبها بعض العبارات وبعض الأحوال وذلك من تفريغ القلب في بعض الأوقات، وأما سكونها فلا يكون إلا بعد صفاء القلب بالكلية، فافهم! .

[عدم نزع التجريد]

٣٧ ـ **ومن أدب المريد**: أن لا ينزع عنه حالة السيادة التي هي لباب العبادة، وآلة أرباب الأحوال من أهل الإفادة، إذ التجريد لباس الملوك الجامعين بين الجذب والسلوك، فإن حكم عليه الحق سبحانه بتركها فليترك عليه منها شيئاً كي يتميز بحاله الشريف.

وحالة الفقير وآلته: المرقعة، والسبحة، والعصا، والنعلان، وتحريف الكلام عند ملاقاة العوام لئلا يملكونه، فإذا تمكن وأراد الخروج لتمام السلوك فلا يخرج من الجميع بل يترك عليه شيئاً ليكون بين هذا وهذا. ولا ينزع ذلك بالكلية إلا من لا ثبات له فيه، فافهم! .

وكل من وصل للحق تعالى من غير باب التجريد فلا بد أن يظهر عليه شيء منه عند نهايته جزماً، لأن أنوار الحضرة إذا أشرقت على القلوب أنست صاحبها عن الجوارح رغماً على أنفه، فيظهر عليه التجريد، وهو نسيان الجوارح.

والتجريد تارة ينزل في الباطن فيخرج إلى الظاهر، وتارة ينزل في الظاهر فيدخل في الباطن. فالذي يخرج من الباطن: وهبي، والذي يدخل من الظاهر: كسبي.

فالتجريد بدايات السالكين، ونهاية المجذوبين، فالسلوك دليل على وصول المتجرد، كما أن الجذب دليل على وصول المتسبب، فالذي يصعد من الأرض مستقره السماء، والذي ينزل من السماء مستقره الأرض.

والتجريد من الدنيا وشهواتها وزينتها وسرورها طريقة الأنبياء والرسل عليهم السلام، والكُمّل من ورثتهم رضي الله عنهم، إذ لا يبلغ أحدٌ مبلغ الرجال حتى يتركها ظاهراً وباطناً، ليكون لله ظاهراً وباطناً، ومن زعم خلاف هذا فهو لم يشم لسنتهم رائحة، ولا لنهجهم فائحة.

وافهم ههنا قول الله سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ [الأعراف: ٣٢]، وأي زينة أشرف عند الله وأعظم من ترك الدنيا والزهد فيها والقناعة منها؟ إذ به يحصل التحقق بالوصف الذي هو لباب العبادة، كالفقر والذل، والعجز والضعف، وغير ذلك. ومن طلب التحقيق بالأوصاف التي هي سير الأنبياء مع إمساك الدنيا فقد طلب المحال.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢] هي العلوم اللدنية، والمواهب الربانية، والأسرار الروحانية، والأنوار الرحمانية، والمقامات السنية، والدرجات الحقيقية، فهذه وشبهها رزق العارفين به، المحبوبين عنده، المحبين فيه. وكل مؤمن بطريقتهم يجب عليه التشبه بهم، والتخلق بأخلاقهم الظاهرة والباطنة، وإن لم يعرف لها معنى، فإن المقامات تعطى على قدر التخلق بها لمن كانت له نية حسنة، إذ النية تقود صاحبها لسرّ الأعمال، «**إنما الأعمال بالنيات**»[1].

وانظر إلى الرجل الذي سمع قوله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [يونس: ٢٢]، فمشى على البحر لم يكن معه علم ولا عمل سوى نيته الحسنة، ويقينه الحسن. فالمشي لم يقع منه بالعلم والعمل، وإنما وقع بالإيمان واليقين. والأعمال كلها راجعة إلى الإيمان واليقين، إذ هما غاية القصد والمنى. ومن لم توصله أعماله إلى هذا فهي مدخولة معلولة.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، باب بدء الوحي، حديث رقم (١) [١/٣] وأبو داود في سننه، باب فيما عني به الطلاق...، حديث رقم (٢٢٠١) [٢/٢٦٢] ورواه غيرهما.

واعلم أنه لا ينبغي لنا أن ندل كل من طلب الدخول لطريقتنا على لبس الخرقة ـ أي المرقعة ـ إلا إذا علمنا منه الصدق، وتحققنا أنه لا يرجع عنها، ولا يلتفت إلى الدنيا بشرط تعظيمها واحترامها، وتوقيرها، وأن تكون عنده في شأن كبير. وإن علمنا منه خلاف هذا دللناه على شيء من التخلق بأخلاقهم حتى يظهر لنا وجه ما طلبه منا. ولا بأن إن أمرناه بشيء من الأوراد واتخاذ العصا بشرط القناعة من الدنيا، والميل للفقر دون الغنى، وللضعف دون القوة، وللذل دون العز، وللسخاء دون البخل، وللتواضع دون التكبر، وهكذا. فإن دام على هذا ورأيناه صلح لما وراء ذلك دللناه عليه، وإلا تركناه في مقام الانتساب على الفقراء، ولا ندخله مقام الفقراء، كأن يلبس المرقعة وشبهها، لأن الخرقة تشهد لصاحبها ظاهراً بالولاية، ولذلك كان لا ينبغي لبسها قبل البعد من الشهوات، فإن لبسها كذلك عظمت عليه نفسه، وطلب بلبسها حظوظه الظاهرة والباطنة، وهو لا يشعر به أحد، فيقع في الوزر، هو ومن دله على ذلك. ومن هنا يقع التخليط في الطريق، ويتميز أهل الدعاوي بالمشيخة فيكدرون على أهل الله وقتهم، إلا من أخذ الله بيده، ولا شك أن صاحب البصيرة النافذة يعرف من يصلح للطريق ومن لا في أول دخوله عليه. وقد يكون مستغرقاً في بعض الأوقات، فيرى كل داخل عليه يصلح للطريق، فلا يحكم بالظاهر لأجل غلبة الباطن.

ومن لم تكن له بصيرة لا ينبغي أن يدل أحداً على دخول الحضرة وإن كان من أهلها، إلا إن كان يتذاكر مع الجميع دون أن يخصص أحداً، فإن كل مؤمن يجب عليه أن يسمع ممن هو أعرف منه، وواجب هو عليه أن يذكره الله إن كان أعرف منه. قال الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

وكل من هو أحسن منك حالاً ـ لا مقالاً فقط ـ فهو من أهل الذكر، لأن صاحب المقال دون الحال لا ينتفع به غالباً، إلا إن كان باقياً على الفطرة التي ولد عليها ـ وقليل ما هم ـ، وإنما ينتفعون بأهل الحال والمقال ـ وقليل ما هم ـ.

ثم اعلم أن الفقر على أربعة أقسام:

قسم: بالعلم والرضا والحال، وهو أعلى.

وقسم: بالعلم والرضا دون الحال.

وقسم: بالعلم والصبر دون الرضا والحال.

وقسم: بالصبر دون العلم والرضا والحال.

فصاحب العلم والصبر إذا خرجت عليه الدنيا نجا منها لوجود الصبر، الذي هو ناشىء عن العلم.

وصاحب الصبر من غير علم إذا خرجت عليه الدنيا فإنها تأخذه لا محالة. وهذا الفقر كله محمود، والفقر الذي استعاذ منه النبي ﷺ هو الذي لا يكون مع صاحبه علم، ولا صبر، فضلاً عن الرضا به، كأنه يريد دفع ما أراده الحق تعالىٰ. وهذا هو الجهل المركب ولا يكون هذا في مسلم قط، وإنما يكون في الكفار لأن المسلم لا بد أن يكون معه شيء من الصبر والرضا، فافهم.

وكذلك لا ينبغي لنا أن ندل إخواننا الفقراء الملازمين لنا على الراحة والهنا قبل الوصول، لأن السائر إذا سكت عنه شيخه يقع له الكسل والعجز، فيحصل له الملل من الرياضة، فيرجع إلى أدنىٰ رتبة العوام، وإن رجع للرياضة وأراد قتل نفسه، فلا يقدر لشدة تمكنها منه. والواجب عليه أن يدل الكل على الرياضة من السائرين والواصلين، لتكون الطريق مصونة، ومن الآفات مضمونة، فالواصل لا مجاهدة له في شرائع الخواص والعوام. والسائر يقوم بمجاهدة العوام، ومجاهدة الخواصّ إن كان قوياً، وإن كان ضعيفاً فعلى قدر ما يطيق منها. ولا نأمره بمجاهدة الخواصّ وحدها، أو مجاهدة العوامّ وحدها، بل لا بد منهما، لكن إن كان كثير الصدق أمرناه بشرائع الخواص، وشيء من شرائع العوام، وإن كان قليل الصدق أمرناه بشرائع العوام، وشيء قليل من شرائع الخواص، فإن عظم صدقه كذا جره الحال لكمال شرائع الخواص، ثم يجره الحال الثاني كذا لكمال شرائع العوام كذا.

وكذلك لا ينبغي لنا أن نرخص لمن علمنا منه الصدق في طلب الحق تعالىٰ في شيء من الدنيا؛ فإن الرخصة فيها تفسد عليه صدقه، ولا بأس أن نرخص له في شيء منها بعد الوصول لأنه لا تضره، وكذلك نرخص في شيء منها لمن علمنا منه ضعف اليقين، وقلة الصدق، فإذا قوي يقينه أمرناه بالانسلاخ منها، لتنسلخ منه بالكلية، لأن من انسلخ مع وجود اليقين انسلخت منه لا محالة، فيسير سيراً مسرعاً كالذي هو في الطريق مسافراً لا عليه سوىٰ ما هو ساتر عورته، فإنه يقطع المسافة البعيدة في ساعة واحدة قليلة، وأما الذي يميل إليها بقلبه، ويتبعها بجوارحه، فهو كالسائر في الطريق، وعليه ثقل شديد والمسافة بعيدة، فإنه لا يدري أين يسقط. ولا شيء يقطع المريد ويعثره عن السير مثل الميل إلى الدنيا.

وبالجملة، فوالله ما نجا منها أحدٌ سوىٰ الواصلين، وقليل ما هم، والله تعالىٰ أعلم.

وكذلك لا ينبغي لنا أن نمدح كثيراً من السائرين إلى الله، لأن ذلك يضرهم، وينقصهم، لأجل العلة الباطنة التي هي حب المدح، والجاه، والرفعة، وغير ذلك؛ فلعدم تحققه بالإخلاص، إذا سمع الشيخ يمدحه حمل ذلك على غير ما أراده الشيخ، فيبطش إلى الكمال، فتزل قدمه، فيهلك. فلا إلى النهايات وصل، ولا هو في البدايات بقي. إذ السائر نفسه حية، بخلاف الواصل فإنه إذا مدح زاد محبة وتواضعاً وحياءً من الله، ومن الشيخ، فيرىٰ نفسه ليس بأهل للمدح، وذلك لوجود إخلاصه، وشدة صدقه، وكمال تحققه.

وتأمل حالة الكُمّل ـ رضي الله عنهم ـ يظهر لك صحة ما ذكرناه. ألا ترىٰ أنهم إذا مدحوا بادروا إلى العبودية شكراً لله ـ عزّ وجل ـ وخوفاً أن يكون ذلك استدراجاً، حتى إن العارف الكامل يخاف أن يخرج من وصفه فيموت، كما يخاف الحوت عند إخراجه من الماء، بخلاف من مُدح ونفسه حية، فإنه يخاف عليه أشد الخوف لأنه لا يعرف قدر المدح، ولا مراد من مدحه، فيحمل ذلك على ظاهره كما تقدم، فلا يزال في النقص حتى يرجع إلى حالة العوام، ويحصل له الرضا عن نفسه، فيخسر خسراناً مبيناً ـ والعياذ بالله من ذلك ـ. نعم، إن علمنا من بعضهم، وتحققنا أنه لا يسير إلى الله إلا بالمدح، لضعف صدقه، وقلة تحقيقه، فهذا لا بأس أن يمدح مدحاً خفيفاً قليلاً، وإلا المدح الكثير؛ فإنه يضره وينقصه.

وأيضاً: كثير من الناس إذا مدحوا حدثتهم نفوسهم بحديث الكمال، فيسمعونها لقرب عهدهم منها، فيسيرون بسيرها وهم لا يشعرون.

ويا ليت صاحب هذا الحال أن يتأمل بعقله في خطابها، ويقول لها: ما معنىٰ هذا؟ إن كان منك نصحاً لي فساعديني على الأدب، والمسكنة، والحياء، والخوف، وترك الحظوظ، فإن جاءنا كل مقام أو حال تواضَعنا لله، وحقّرنا أنفسنا أن نكون له أهلاً، حققنا الله به، أحببنا أم كرهنا. وإذا كان هكذا، فاللائق بنا أن ندع ذلك حتى يأتينا فنتحقق بما أشار لنا به شيخنا رضي الله عنه تحقيقاً لا شك فيه. أو يقول لها: إن الشيخ لما رأىٰ منا الجنوح إلى الكمال، ونحن في النقص، مدحنا لنتأمل في أفعالنا وأحوالنا، هل هي موافقة لما قال، أم لا؟ فإن كانت موافقة لذلك انتبهنا واستيقظنا من سكرات

الغفلة، فنتوب ونسترجع، ونستعين بالله، ونصبر، ونعلم أن مراد الشيخ بمدحنا أن يوقظنا، وينبهنا بالمدح لقلة صدقنا، ولو نبهنا بالذم والزجر عما نحن عليه رأساً، وقع الفرار من الشيخ، فافهم.

وبالجملة: فوالله إنه لقليل السلامة من مدح ونفسه حية، ولا يتفطن لما ذكرناه إلا الصادق الحاذق، الذي أحرقت نار الصدق كبده، وهو قليل الوجود.

وقد يمدح بعض الأخيار، ويشار إليه ببعض المقامات العلية، وهو عارٍ عنها، فيزداد محبة، وحياءً، وخوفاً، وتواضعاً، وسخاء بنفسه وماله، إن كان له مال، ولا يقع له الرضا عن نفسه قط، ولا يراها أهلاً لشيء من ذلك حتى يصل إلى تلك المقامات التي أشار الشيخ بها إليه.

وقد رأيت من الإخوان من هو على هذا الحال، فلا يرىٰ نفسه أهلاً لكل ما مدح به.

فاحذر ـ يا أخي! ـ إذا مدحك الشيخ والإخوان، أن تقف مع ذلك، وقل: لست أهلاً لذلك، وإن ذموك، فقل: هذا وصفي، تنجو وتسلم من دخول آفات الجهل.

وقد يمدحون رضي الله عنهم الضعيف ليتقوىٰ على ذكر الله، ولا يمدحون الأقوياء، ولا يلتفتون إليهم، لشدة صدقهم، فافهم.

فالعاقل من أعطىٰ المجاهدة حقها، وألزم نفسه وصفها. والأحمق من أتبع نفسه هواها، وطلب مع الأكدار صفاءها.

ومن علامة حياة النفس: إذا مدح صاحبها حيي بحياتها، أي: انبسط، وإذا ذم، مات بموتها، أي: انقبض.

ومن علامة موتها وفنائها، واضمحلالها: إذا مدح زاد، وإذا ذم زاد، فلا يرىٰ مدحاً ولا ذماً لشدة يقينه في ربه، وشهوده لقربه، ثم لتحققه أن الله تعالىٰ أبرزه لعبادته لا غير، لم يزل على العهد لا يراعي إلا صفاء قلبه في عبادة ربه، ليس له خوف من نار، ولا طمع في جنة، قد امتحىٰ من قلبه شهود الخلق.

ومن لم يبلغ شهود التحقيق بالتحقيق، لم يمتح من قلبه جمال الجنان، ولا جلال النيران، لرؤية الخلق. ومن لم تمح من قلبه صور الكائنات لا يشم رائحة العلوم اللدنية، والأسرار الغيبية. ولو أنه زال ولم يشهد لنفسه حولاً ولا قوة، بل ولا وجوداً أصلاً، كما

هي في نفس الأمر، لخلصت عبادته، ولظهرت عليه نتيجة الزوال، ولاندرج في مقام الكُمَّل من الرجال.

أرح قلبك من رؤية الخلق، وأذنك من سماع كلامهم ـ المليح والقبيح ـ ترح وتستريح، ويكون نظرك غير قصير.

وينبغي لهذا المريد أن يسير نفسه على ما تركه، من شدة الفاقة، والمذلة، وأن يقصد بها مواضع الذم دون المدح، ومواضع المنع دون العطاء، ويلزمها ذلك حتى ترجع إلى وصفها، وتمتزج معه، ويمتزج معها، فتعرف قدرها وحينئذ لا تطلب وصف العلو قط، **وكل نفس طلبت وصف العلو فهي غير متحققة**، فافهم.

واعلم، أن حب المدح دون الذم، والغنى دون الفقر، والعز دون الذل، إنما هو من غلبة رؤية الخلق لا غير، ولو فني فناءً سرمداً لرأى المدح والذم اسمين لشيء واحد، حتى إنه لو نودي: يا زنديق! أجاب، وإذا نودي: يا صديق! أجاب، لأنه ماء الزجاج، كل واحد يرى وجهه فيه، فيخاطب كل واحد باسمه، أي: بوصفه، وإلا فهو لا اسم له في التحقيق، فافهم. هكذا يكون العارف، وإلا فلا.

والتعرض للإذاية جائز عند القوم، بل هو مطلوب، لأنه موجب لصفاء قلوبهم، وموت نفوسهم. وقد جاء في تحمل الأذى والصبر عليه فضلٌ كبير، وخير كثير، وهذا فيمن أصابه شيء من ذلك قهراً عليه، فكيف بمن رضي بذلك، وتعرض له اختياراً منه. وقد قال ﷺ: «**أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم؟**» فقالوا: وما كان أبو ضمضم يا رسول الله!؟ فقال: «**كان إذا أصبح وأراد الخروج من داره، قال: اللهم إني تصدقت بعرضي على عبادك**»[1].

وخذ هذا المعنى من قوله لسيدنا موسى وهارون ـ على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام ـ حين أرسلهما إلى فرعون: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦] فأتياه، لأن الحق تعالى أمر سيدنا موسى، وسيدنا هارون عليهما السلام بحمل إذاية فرعون لإخراج الناس من يده ليكونوا لله لا له.

(١) رواه ابن عبد البر في الاستيعاب، باب الضاد، حديث رقم (٣٠٥٠) [٤/ ١٦٩٤] وابن بشكوال في غوامض الأسماء المبهمة، أبو ضمضم [١/ ٤٦٣].

كذلك الأشياخ رضي الله عنهم أمروا المريدين بحمل إذاية الخلق، لإخراج نفوسهم من طبع البشر ليكونوا لله لا لنفوسهم.

والنفس هي فرعون المريدين، لأن فرعون كان يدّعي الربوبية ظاهراً ـ والعياذ بالله ـ، والنفس المتكبرة تدّعيها ادعاءً خفياً من حيث لا يشعر صاحبها.

فانتبه ـ يا أخي! ـ من سكرات الغفلة، وألزم نفسك وصفها، وجاهدها في الله حق جهاده، ليعينك على التحقق بوصفك.

ومن علامة موت النفس، والتخلص منها بالكلية: أن يعمل صاحبها أعمالاً كثيرة من أعمال أهل الإخلاص، ولا تعظم في عينه، بل ولا يرىٰ شيئاً منها، ولو مقدار ذرة، وهذا هو العمل المقبول، ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فَاطِر: ١٠]، أي: يغيبه عن عقله، بمضيٍّ يحجبه عنه، ليكون اتكاله على الله لا على العمل. قال رسول الله ﷺ: «**اعملوا ولا تتكلوا**»(١).

فدل على الإخلاص، بالتبري من العمل بعد العمل، لأن **المخلص** هو الذي لا يرىٰ لنفسه عملاً ـ مليحاً كان أو قبيحاً ـ.

وإن شئت قلت: **المخلص** هو الذي إذا مدح لا يزيد، وإذا ذم لا يزيد. وهذا هو الشاهد الحقيقي على زوال الزوال، وهو لا يحصل إلا بمحو النفس من وجود جميع الحس، فافهم.

فصل

واعلم أن وقتاً من الحضور يرفع الستر أفضل من عبادة العمر من وراء الستر. فمن تمام نعمة الجليل أن يرزقك الحضور المتصل.

وانظر إلى قوله عليه الصلاة والسلام: «**تفكر ساعة أفضل من عبادة سبعين سنة**». والفكرة: هي الحضور، أو عنها ينشأ الحضور. فأول عبادة القلب الفكرة، ثم النظرة، ثم السكون في الحضرة. فمن لم يعبد الله بقلبه فليس بعابد على التحقيق.

وإن شئت قلت: الفكرة: مفتاح، والحضور: باب، والحضرة: دار. فمن تمسك بالمفتاح لا بد أن يفتح. والفكرة فكرتان: فكرة أهل الدليل، وفكرة أهل الشهود. ولا

---

(١) رواه ابن ماجة، باب في القدر، حديث رقم (٧٨) [١/ ٣٠].

تحصل فكرة أهل الدليل إلا لمن تفرغ من حب الدنيا، وأقبل على العبادة. ولا تحصل فكرة أهل الشهود إلا لمن تفرغ من حب الدنيا، وحب الآخرة، ليكون فكره بالله.

وفكرة أهل الدليل: في الله من حيث إنهم شغلتهم الأكوان عن مكونها، لبعدهم عنه، وسبب بعدهم العلم على الجزاء، فتاهت فكرتهم في الصنعة، فوقفوا على جسر الرجاء والخوف، وذلك لاعتمادهم على العمل. ولو أنهم تخلصوا لغيبهم الحق عن الرجاء والخوف، لكانوا عبيداً لله حقاً، ولرفع عنهم الحجاب الموضوع عليهم من أجل الجزاء. ولو أنهم افتقروا إلى أطباء القلوب، ودفعوا إليهم نفوسهم، لعرفوهم بحقيقة العبادة، ولصاروا كالكيمياء يخرقون الهند بالنظرة. فما حجب الخلق عن الله سوىٰ ظنهم بأنهم موجودون، فعملوا على البر بنفوسهم. وانتظروا رفع الحجاب، وأي حجاب أعظم من وجودهم؟ إذ لو فقدوا نفوسهم لما احتاجوا إلى كثير العمل، فالقليل يعود كثيراً. فما حصل التعب والمشقة إلا من عدم فقدان النفس. فلو فقدت لحصلت الراحة مع وجود المشقة والتعب في الظاهر، وأي تعب على من هو بالله؟ وأي راحة لمن هو بنفسه؟.

وأهل الشهود فكرهم بالله، غيبهم الحق تعالىٰ عن نفوسهم، وعن جميع الكائنات، فخلصت لهم العبادة لوجودهم إياه، وفقدانهم لنفوسهم، ولو أنهم شهدوا غيراً ما قدروا على الإخلاص. ولو كان الواحد على عبادة الثقلين. فما طلب الحق سبحانه من المخلصين سوىٰ قلوبهم، حتى لا يتصور فيها غيره، فكانت ساعة من هؤلاء خير من عبادة سبعين سنة. وإلى ذلك الإشارة بقوله عليه أفضل الصلاة والسلام: «**تفكر ساعة أفضل من عبادة سبعين سنة**».

فانظر رحمك الله ما في الحضور من السر والخير، والزمه بجوارحك وقلبك، فإن له وقتاً لا يسعه عقل عاقل، ولا يفهم معانيه حافظ ناقل.

وقد ينتهي بصاحب الحضور حتى لا يعرف اسمه ولا اسم غيره، ويبقىٰ جسده كالحجر الصم إن ضربته لا يحس، وقد يجد لذلك الضرب حلاوة خاصة، وكيف لا يجد الحلاوة من يشهد يد الحق تضربه؟! ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]. ولذلك قيل: «الأحجار من يد الأخيار أثمار». هذا قول أهل الفناء في المخلوق، فما بالك بأهل الفناء في الخالق؟.

ولا تحسبن الحضور بالعلم، لا والله. إنما الحضور بالحال، إذ مثل الحضور بالعلم كرؤية الجائع للطعام الممنوع منه، فافهم.

وينبغي لصاحب الحضور أن يسلك على يد شيخ ذي همة قاطعة إذا [رعاك] سيرك، وإذا نظرك غيبك، وإذا همّ بك حفظك ورعاك، ومنعك تدبيرك واختيارك، وعرّفك بقبيح أفعالك ورقاك إلى مقام كمالك. والله غالب على أمره.

ثم لا زال يسلك بك مسلك الشهود حتى يقف بك على الحدود، فتعرف قدرك من قدر المعبود، ثم تركع ولا تقطع، ثم تسجد ولا ترفع، فإذا كمل أدبك ناجيته من وراء الستر، ويكون هذا الستر من تمام السرور.

وهذا لا يحصل إلا لمن قطع جميع العلائق، وصبر على إذاية الخلق، وكملت فيه الشرائع والحقائق.

وإياك - يا أخي! - أن تطلب هذا مع القرب إلى الدنيا وأهلها، والميل إلى زينتها وشهواتها ولذائذها، إذ ذاك طلب المحال.

وقد يكون الرجل مقصراً من الدنيا، ومعرضاً عنها بجوارحه، ولكن لم تظهر عليه ثمرة التقصير. والعلة في ذلك: التردد والالتفات إلى الشهوات التي منعت القلب من دخول الأسرار، وشروق الأنوار، فإن منع نفسه التردد، وقطع عنه الالتفات، وقع اليأس منها، فتنكف الجوارح قهراً. وكذلك القلب يمتنع مما امتنعت منه الجوارح، ويقع له اليأس من مساعدة الجوارح، فيحصل له الانكسار، ويتذلل بتذلل الجوارح وانكسارها، فيرجع إلى الله هو ورعيته، لتحققه أن لا ملجأ من الله إلا إليه، فتحصل له النصرة، بعد الذلة، ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣].

فاعمل - يا أخي! - على هذه السياسة، فإنها سبيل إلى الحضور، واقربْ من أهله، واصحبهم، واعرف قدرهم، ليعرفوك قدرك، فإن قدرهم عند الله عظيم، والذي حجبك عنهم جيوش جهلك الساكنة في فؤادك وجوارحك، فأهانتك وصغرتك، وحقرتك، وضعفتك، وهلكتك، وملكتك للأشياء بعد أن كانت مملوكة لك، وخادمة لك. ومن هنا ورد: «من عرف نفسه فقد عرف ربه»[1].

---

(١) أورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (٢٥٣٢) [٢/ ٣٤٣] والهروي في المصنوع [١/ ٣٤٧].

فاسع ـ يا أخي! ـ في ملاقاة العارفين الموحّدين، المجذوبين السالكين، ليجذبوك عنها، ويسلكون به لا بك، حتى تصير حراً وله عبداً، فتخرج من حضرات الأكوان إلى حضرة المُكَوِّن، ثم ترجع إلى حضرات الأكوان بحضور حضرة المُكَوِّن. وهذا مقام نفيس، وهو المعبر عنه بمقام البقاء.

واعلم أن احتمالك لإذاية الخلق أو نقول: غيبتك عنها، وهو أبلغ، إنما هو لغيبتك عن شهود نفسك، ووجود حسك. وعدم احتمالك لإذاية الخلق إنما هو من شهودك لها، وتعظيمك إياها، ولو أنك غبت عنها لصغرت في نظرك، ولرأيت عزك في ذلها وإهانتها، وكل من حضر له علم التحقيق صبر واحتسب، ورضي لمراقبته الحق تعالىٰ في خلقه، لأن العبد إذا راقب الله تعالىٰ في خلقه استحيا منه أن يؤذي عبيده.

فالزم ـ يا أخي! ـ مراقبة الله والحياء منه، والخوف من سطوته، وقهريته المقهور بها كل أحد. وراقب الله تعالىٰ في خلقه، وتحمل ما ظهر من الأغيار والأكدار، ولا تنظر للأفعال، وانظر للفاعل المختار، واغسل ـ يا أخي! ـ مرآة قلبك من جنابة رؤية أفعال الخلق، وطهر نفسك من أوصاف بشريتك، تشرق عليك أنوار روحانيتك، فتعظم مراقبة الله في قلبك، إذ نتيجة المراقبة رؤية الأفعال كلها من الله تعالىٰ.

ومن لم يرَ الأفعال كلها من الله ذوقاً وكشفاً، فمراقبته ليست بساكنة في قلبه، وإنما هي عن ظاهر قلبه. وسكون المراقبة في القلب ينشأ عنه المشاهدة، وهي أن لا موجود على الحقيقة إلا الله، كان الله ولا شيء معه. «لي وقت لا يسعني فيه غير ربي»[1]، «لم أرَ عند رؤية ربي أحداً من خلقه»[2]. إلى غير ما ورد في معنىٰ العيان.

وقال بعضهم: «لو كلفت أن أرىٰ غيره لم أستطع، فإنه لا غير معه حتى أشهده».

وقال آخر: «محال أن تشهده وتشهد معه سواه» إلى غير ذلك.

فالمقام الأول: لخاصة أهل الظاهر. والثاني: لخاصة أهل الباطن. وعلامة المراقبة القلبية التي لا يشاهد صاحبها فاعلاً إلا الله حسن الظن، وحسن الخلق، وحب المؤمنين، ولا يسمع قول أحد في أحد، ولا يظهر ما في أحد لأحد من القبائح إن اطلع عليها، وأما المحاسن؛ فلا بأس بإظهارها. وقد يتحتم عليه إظهارها، تخلقاً بأخلاق الحق تعالىٰ، إذ الحق تعالىٰ يستر على عباده القبائح، ويظهر عليهم المحاسن لأنه رب غفور،

---

(١) هذا الحديث سبق تخريجه.

(٢) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

وهذه أخلاق الصالحين. وأما أهل الشهود فقد اشتملوا على جميع المحاسن الظاهرة والباطنة، وهم غائبون عنها في حال وجودها، لشدة إخلاصهم، وإفلاسهم من نفوسهم، فافهم ذلك وتأمله، والله على كل شيء قدير.

فصل

واعلم أن الحق سبحانه يؤيد هذا الدين بأهل الخراب من الخاصة، ولولاهم لوقع الخلل، إذ الإخلاص الكامل هو في أهل الخراب، أهل البلايا من الخاصة، ومن لم يظهر فيه الخراب، فلا يخلو من البواقي، وإن كان عارفاً. لأن الإخلاص التام لا بد أن يظهر على صاحبه ظاهراً مثل عدم المبالاة بجوارحه، فلا يكترث بمرض أو فقر، أو غير ذلك، مما يدل على عدم رؤية السوىٰ، فإن من تخلص لا يكترث، ولا يبالي على أي حال كان، سفلياً أو علوياً، فقيراً أو غنياً، عالماً أو جاهلاً، ذليلاً أو عزيزاً، مريضاً أو صحيحاً، غائباً عن الأحوال في المُحَوِّل، ومن قال إن أهل الحضرة لا يشترط فيهم هذا فوالله ما عرف أهل الحضرة، فضلاً عن الحضرة، إذ الحضرة رؤية جماله وجلاله. وكيف تحصل للعبد، ولا يظهر عليه دهش، ولا خضوع، ولا ذل، ولا إغفال عن نفسه ولا إهمال لها، هذا محال، ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣] صدق الله العظيم.

واعلم أن أرباب الأحوال لا يرتكبون أمراً ولا يستعملون شريعة من شرائعهم إلا وذلك مأخوذ من الآيات والأحاديث، لكن تارة يأخذون بظاهرها، وتارة يأخذون بباطنها، والغالب عليهم الأخذ ببواطنها إذ هم أهل البواطن، وظاهر الآية أو الحديث قد يكون فيه رخصة للضعفاء، وأما باطنها فإنه يشير إلى الإخلاص التام.

فإياكم ـ يا معاشر الفقهاء! ـ من الاعتراض على أرباب التوحيد الخاص، فإنه ما حملهم على الشطح والرقص، والصياح والبكاء، والفرح والبسط، إلا ما كشف لهم من عالم الغيب في صفاء مرآة قلوبهم حين وفوا بحق العبودية التي لا حظ للنفس فيها مثل الزهد في الدنيا، والمسكنة، والسخاء، والذل، والصبر، وحمل إذاية الخلق، والفقر، والفاقة، والعزلة، والصمت، وغير ذلك مما هو مناسب للعبد.

وطرق أهل الحقائق على عدد أنفاس الخلائق، وأهل الرسوخ والتمكين يعرفون ذلك، وهذه الشرائع التي استعملوها مثل السؤال وغيره، إنما هي لخروج النفس عن عوائدها لا غير، ومن عوائدها ركونها إلى الناس، وركونهم إليها، ولو لم يكن في

السؤال إلا دفع الناس عنك، ودفعك عنهم لكان كافياً، وما من حقيقة مباحة إلا وفيها وصف من أوصاف العبودية، إلا السؤال فإنه جامع لها كلها، لكن إن كان مع شروطه، وفيه حقيقة كبيرة، ولا يبلغ تلك الحقيقة إلا أهل التجريد، وكذلك ما يوافق السؤال من الحقائق المباحة التي تثقل على النفوس، وما اختاروا السؤال إلا لكونه الغاية في قتل النفوس، مع كونه من الأمر المباح ولأن سيوفه قاطعة، وأنواره ساطعة، ومقاماته عالية، وحقائقه جلية. فبقدر ما يتذلل العبد لربه بنية التخلص من نفسه، والتواضع لله يعزه الله، ويرفع قدره. وقد قالوا: «كلما دفنت نفسك أرضاً أرضاً سما قلبك سماءً سماءً».

ونتيجة السؤال الذل، والفقر، وغير ذلك من أوصاف العبودية. ولهذه الأوصاف شريعة وحقيقة:

فالشريعة: الذل والتذلل لله ظاهراً، وهو الذي اشترك فيه العامة والخاصة، كالصلاة، والصيام، والتضرع، والبكاء، وغير ذلك مما هو مشهور عند العوام والخواص.

والحقيقة: التذلل لله باطناً، وهو خاص بالخواص، وهو افتضاح عورات النفس على رؤوس الخلائق، وهذا هو الذل باطناً. ولو كان ظاهراً ما أنكره العامة، فكان باطناً عند العامة، ظاهراً عند الخاصة، ظاهراً عند أهل القلوب، باطناً عند أهل الجوارح. ومن لم يصل إلى الحقائق المباحات فليس هو من أهل التجريد. وكثير من الناس سلكوا الطريق إيماناً وتصديقاً بالتجريد، وليس لهم فيه قدم ظاهر، ولهم فيه قدم باطن. **وعلامته**: أن يقف صاحبه ويرجع عن الدنيا، ولا بد أن تظهر أحوال هذه الحالة على صاحبها مثل السخاء المتصل، والتواضع، والصبر، والنية، والصدق، وحب الفقراء والمساكين، والميل إليهم دون غيرهم، واستحسان أحوالهم الظاهرة والباطنة، والتشوق لمقامهم على الدوام، وهذا لا بد أن يسلك الطريق إيماناً وتصديقاً، ولكن شتان بينه وبين من سلكها حالاً وتحقيقاً.

والتجريد مقام عبيد العبيد لا يقيم فيه إلا صادق شديد، يصبر صبر الحديد حتى يرجع عنده المر لذيذ.

والسؤال شريعة في حق الخواص بعد الفاقة والاضطرار، والإذن من الشيخ، ومن لم يكن له إذن فلا يتقدم إليه إن كان له توكل ويقين، فلا عليه وجد أو فقد، وإن كان ضعيف اليقين، فليستعمل سبباً خفيفاً تطمئن له النفس حتى يعظم يقينه، ويتركه السبب، فإذا تخلص من الاهتمام بالرزق وتعلق قلبه بالحق، رجع حينئذ إلى شيء من الأسباب

الحقيقية ليكون حراً عنها، عبداً فيها، له لا لها. وهو حقيقة في حق العوام لمن لا فقر له، فافهم.

والسؤال على ثلاثة أقسام: سؤال العامة. وسؤال الخاصة. وسؤال خاصة الخاصة.

فسؤال العامة: لقوت أشباحهم. **وسؤال الخاصة:** لقوت أرواحهم. **وسؤال خاصة الخاصة:** لسعة أسرارهم. وليس للخاصة أن يسألوا كلهم. بل مباح للخاصة لمن أخذه عن شيخ واصل، عارف بمفتاح الحضرة كلها، لأن الحضرة لها بعض المفاتيح شرائع، وبعض المفاتيح حقائق، والشرائع لها حقائق باطنة لا يعرفها إلا هم، كما أن الحقائق لها شرائع ظاهرة لا يعرفها غيرهم، فإذا جاءهم مريض بعوائد نفسه، نظروا إليه بعين البصيرة:

فإن كانت نفسه **أمارة:** استعملوا له حقائق مباحة كالسؤال وغيره، مما يثقل على النفس.

وإن كانت **لوامة:** استعملوا له شرائع مسنونة ومستحبة كالزهد، والورع، والعزلة، والصمت، ولا يزالون في معالجته حتى يصل إلى حضرة مولاه، وحينئذ يقطعون عنه المباح.

ومن الحقائق المباحة: السؤال، فإن رأى الشيخ في بعض مريديه أن مفتاحه السؤال، دله عليه لما فيه من الذلة والإهانة، وسقوط نفسه من عينه بسقوطها من أعين الناس، وهو مباح في وقت الحاجة للخاصة والعامة، لكن للعامة بشرط عدم القدرة مع الكسب، وأما مع القدرة فلا يعذرون، وفيهم ورد أنهم «يبعثون ليس في وجوههم مزقة لحم»[1]، بخلاف الخاصة فإن لهم عذراً شرعياً وهو اشتغالهم بذكر الله، وحرصهم على حفظ قلوبهم من أن يدخلها غيره، لعلمهم أن ما اشتغلت به الجوارح حتماً تشتغل به القلوب، فتركوا الأسباب واستعملوا منها ما خف، وما لا شهوة للنفس فيه وهو السؤال، لأنه لا حظ لها فيه، بل ولا تقدر أن تلتفت إليه، ولا تحب أن تسمع حسه، لما فيه من الإهانة والذلة، لأن السائل سيره ذل، وكلامه ذل، ولباسه ذل.

وقد بلغنا أن نبياً من أنبياء بني إسرائيل كان فقيراً في أول رسالته، وكان إذا جاع وقف على أبواب بني إسرائيل يسأل شيئاً، فشق ذلك عليه، فقال: إلٰهي! خزائن رزقك لا تعجز عن غنائي، فلو أغنيتني عن بني إسرائيل. فأوحىٰ الله تعالىٰ إليه: إذا كانت هذه

(١) هذا الحديث سبق تخريجه.

السياسة في خلقك على بني إسرائيل وأنت محتاج إليهم، فكيف لو أغنيتك؟!. فتأدب وصبر، حتى أغناه الله، وعادت بنو إسرائيل كلهم يأكلون من سماطه، انتهى.

فتأمل حال هذا النبي الكريم، لما عرف الله في نفسه، دله الحق سبحانه على أن يعرفه في جنسه. فما مراد الحق سبحانه منه السؤال من خلقه وإنما أراد أن يعرفه في خلقه، فلما عرف مولاه في نفسه وجنسه، غاب عنهم فيه، **«كان الله ولا شيء معه»**[١]. وهذه هي المعرفة بالله، ولله، وفي الله، إذ المعرفة بالله على ثلاثة أقسام:

معرفة في النفس دون الجنس. ومعرفة في النفس والجنس. ومعرفة بالله ولله وفي الله.

فالمعرفة في النفس: معرفة العلم به، والتصديق، والإيمان به وبأوليائه؛ وهو لأهل البدايات.

ومعرفة في الجنس: التعرض للتعرفات من الخلق اختياراً، وهذه معرفة أهل العمل بالعلم، وهو مقام السائرين.

ومعرفة بالله، ولله، وفي الله: معرفة أهل الحال، فلا مجاهدة لهم في العلم، ولا في العمل، لأن علم التحقيق وعمله امتزج مع لحمهم ودمهم من شدة الحال. وهذا حال أهل الرسوخ والتمكين، وهو مقام الإحسان المعبر عنه بالبقاء.

وسؤال الخاصة المستغرقين في بحر الذات مباح في وقت الحاجة وغير الحاجة، لغيبتهم عن الخلق وعن الرزق، لأن الحق تعالى كشف لهم عن عظمته وكبريائه، فدهشوا وغابوا عن الأسباب بشهود مُسَبِّب الأسباب، ملتهم الأحوال في الأقوال والأفعال، فلا معرفة لهم بالسكر، ولا بالصحو، إذ لا يعرف السكر إلا صاحٍ، وإن دامت بهم الغَيْبَة سقط عنهم التكليف مع وجود العقل، وكل مستشرف فهو صاحب سكر.

والناس في السكر على ثلاثة أقسام:

قسم مطموس الأثر، مستغرق على الدوام. وقسم تارة بتارة. وقسم ممزوج بالصحو من أول قدم. وغالبهم وأكثرهم يكونون تارة بتارة. رضي الله عنهم أجمعين.

ولا يباح السؤال لخاصة الخاصة في بعض الأوقات، وذلك حالة وجودهم لقوت أجسادهم وأرواحهم، لأن الشريعة تطلبهم بالقيام بحقها، كما أن الحقيقة تطالبهم بالقيام بحقها، بخلاف الخاصة فإنه مباح لهم في كل وقت، لأن الحقيقة تطالبهم بالقيام بحقها

---

(١) هذا الحديث سبق تخريجه.

أكثر مما تطالبهم الشريعة، فإن الشريعة تطالبهم بالفهم فقط، إن كان لهم صحو. والشريعة باب، والمراد من الباب الدخول عليها للدار، لا الوقوف فيها، فإن دخلوا كان ذلك مرادها منهم، فمن كان معه صحو حالة سيره، فالواجب عليه شكر الباب، أعني الشريعة، كما يجب عليه شكر الدار، أعني الحقيقة. ومن لم يكن معه صحو فلا يطالب بالقيام بحق الشريعة، قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ [النِّساء: ٤٣] فالصلاة الحسية إنما هي باب الصلاة المعنوية، كما تقدم، ولا شك أن الجمع بين الصلاتين أمر عظيم، والجامع بينهما ولي كامل. ومن كانت عنده صلاة المعنىٰ فقط فهو ناقص بالنسبة لمن جمع بينهما. ومن كانت عنده صلاة الحس دون صلاة المعنىٰ فهو ناقص بالنسبة لمن عنده صلاة المعنىٰ، فافهم.

فإن قيل: إن السؤال حرام لمن عنده كفاية!؟.

قلنا: الخلق كلهم يطلبون الرزق، وإنما يتفاوتون في الاعتقاد، وهم في الاعتقاد على قسمين: عامة، وخاصة.

أما الخاصة: فإنهم يعتقدون أن الرزق من الله تعالىٰ، سواء كان السبب أو لم يكن، وحالهم في عدم السبب أقوىٰ، لكون خواطر همِّ الرزق تنقطع وتذهب عروقها بالكلية، ولا ينقطع ذلك إلا بترك أسباب الدنيا بالكلية، أو بوجود شيء من الأسباب مع الاتكال على الله سبحانه.

فالأول: مقام الزهاد والعباد. والثاني: مقام العارفين الجامعين.

وقد يكون من العارفين من لا يقدر على شيء من الأسباب في بدايته لشهود مسببها، فإذا انشرح قلبه واتسع، وعرف الحق ظاهراً وباطناً، أمره الله بالقدرة على الأسباب، فيكون حاملاً لها من غير مشقة، ولا تعب. وهذا حال من فني عن نفسه، وبقي بربه.

فمن صحّ بقاؤه ـ كما ذكرنا ـ فالواجب عليه شيء من الحركة الخفيفة، ستراً للقدرة، وأدباً معها.

وأما اعتقاد العامة: فهذا ظاهر فقط، ولو دخل ذلك الاعتقاد إلى جميع القلب لتركوا الأسباب، وإن وجدت كانت خفيفة كما تقدم.

وحيث كان الاعتقاد ظاهر القلب فقط، كانت أسبابهم كثيفة ثقيلة، غليظة شديدة، وذلك من ضعف اليقين الساكن في جميع القلب، إذ كلما عظم السبب ضعف اليقين، حتى يستولي حب الدنيا على ظاهر القلب، فتعظم الشكوىٰ والأوهام، وغير ذلك، حتى

عادت آخرته بعضاً من دنياه، فربما يكون اعتقاد هذا أن الرزق من الأسباب لا من مسبب الأسباب ـ والعياذ بالله ـ.

وسبب هذا كله خروج نور التوكل من القلب، لأن القلب إذا كان فيه شيء قليلٌ من نور التوكل حصلت له القناعة من الدنيا، فإن عظم ذلك النور وقع الزهد فيها. فإن استولىٰ على ظاهر القلب وباطنه، حصلت له الغيبة عنها، سواء فقدت أو وجدت. ومن رأيته كثير الاجتهاد في الأسباب الدنيوية، فاعلم أن قلبه خالٍ من حب الله ورسوله، عامرٌ بحب ما هو مشغوف به، ومتعلق بأذياله، وما هو في الجوارح هو في القلب كذلك.

ووالله ما في الوجود أقبح وأهون وأذل من العبد الغافل المنهمك بطلب الدنيا، ولم يعتبر بمن تقدم قبله ورجع تراباً، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثم اعلم أن السؤال على أربعة أقسام:

سؤال عن علم وحاجة. وسؤال عن علم دون حاجة. وسؤال عن جهل وحاجة. وسؤال عن جهل وعدم حاجة.

أما السؤال عن علم وحاجة: فسؤال العارفين بالله، المتخذين ذلك ورداً عن أشياخهم، فهو مباح لهم من علة لأنه مبني على أساسين: أساس الإذن، وأساس الاحتياج. ولا يصح إذن الشيخ للمريد إلا إذا أخرج ما عنده، وهناك يصح له ذلك.

وإياكم يا معشر الفقراء! الذين اتخذوا السؤال ورداً أن تغركم النفس بالادخار، وتظنون أن ذلك لا يعرفه أحد، بل ـ والله! ـ إنه لسبب في قطع المريد، وقلة التوفيق والاستعداد، وركوب حمار الطمع بعد النزول عن خيول الزهد والورع.

وأما السؤال عن علم من غير حاجة: فهو مباح أيضاً عند العارفين في شريعتهم، لمداواة علل باطنة مثل مراقبة النفس لأبناء جنسها، وحبها أن ترىٰ في أعينهم كبيرة، وقس على هذا. وقصدهم الصدق مع الله، وتصحيح العبودية لله خالصة، فهو جائز، وإن لم تكن حاجة. وهذا لا يفهمه سواهم، لأنه حكم من وراء العقول، ولا يعرفه إلا أهل البصيرة السالكين طريقة التجريد، المتحققين بحقيقة التوحيد رضي الله عنهم.

وأما السؤال عن جهل وحاجة: فسؤال العامة، فهو مباح لهم عند الفاقة والاحتياج، بل واجب على من بلغ حد الاضطرار، وواجب على المسؤول أن يعطيه، وإن منعه كان عاصياً لله ولرسوله. قال مولانا تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾﴾ [الضحى: ١٠]. إشارة إلى أن لا يبخل المسؤول أصلاً، والفقراء صابون الأغنياء وطهارتهم، ونورهم وضياؤهم، ووسيلتهم إلى دار الآخرة، هذا لمن عرف قدرهم، وقام بحقهم، لأن المعاملة معهم كلها

معاملة مع الله، أحسنت أو أسأت، فاختر لنفسك ما تشاء، فإن الفقراء حقهم على كل أحد أحب أم كره.

وانظر إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ﴾ [التوبة: ٦٠] فإن الحق ـ تعالى ـ أعطاهم، فكيف بالخلق!. والله لولا الحياء من رسول الله ﷺ لقلت: ليس في الوجود إلا متاع الفقراء. أي: لكن بشرط أن لا يدخروا شيئاً، ومن ادخر فليس له إلا ذلك إن كان من حلال فهو له، وإن كان من حرام فهو عليه.

وأما السؤال عن جهل وغير حاجة: فسؤال العامة المنهمكين في بحر العجز والكسل، وسببه الإهمال لطاعة الله والعجز عنها، فغير الله ما بأيديهم، ورفع البركة من رزقهم، فأهينوا كما أهانوا حق مولاهم، وتركوا كما تركوه، فضعفوا وذلوا، وحقروا قهراً عليهم، **وما قام أحد بحق الله وضيعه الله قط؛ فإن الدين تنزل معه البركة، وتحصل معه القناعة والراحة والعافية، والمسكنة، وتتيسر أموره بعد عسرها، وصاحبه يحصل له الصبر على الفقر، والرضا به. وقليل الدين لا يحصل له من الصبر شيء، ولا يشم للرضا رائحة.**

والشريعة شريعتان: شريعة العوام، وشريعة الخواص. فشريعة العوام: هي الامتثال خوفاً وطمعاً. وشريعة الخواص: هي الامتثال محبة وتعظيماً وإجلالاً.

ثم لا يخفى أن السؤال إذا كان جائزاً للمضطر، فالفقراء قد سكنوا قصور الفقر والفاقة، والمذلة، والإهانة؛ فهم في حالة الاضطرار على الدوام لما وجدوا في ذلك من القرب إلى الله تعالى، ما لا يجدونه في القيام والصيام، لأن القيام والصيام إذا كانا مع وجود الشهوات زادت بهما النفس تمتيعاً وصاحبها لا يشعر، لأن حظها في الطاعة باطن خفي، ومداواة ما يخفى صعب علاجه، ولذلك اختاروا التحقيق بالأوصاف دون كل شيء، لأنه لا حظ للنفس فيه، فعبادة التحقيق بوصفه كالكيمياء، وعبادة غيره كالفضة، ولذلك كانت ذرة من أعمال القلوب أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح. ومن هنا هدم أهل المعرفة بالله على النفس عوائدها، ومنعوها لذائذها، ودفنوها في أرض الفقر والاضطرار، وأنزلوها منازل العبيد، ومنعوها منازل الأحرار، ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ﴾ [التوبة: ٦٠]، ﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور: ٣٢]، صدق الله العظيم.

ولهذا قال ابن عطاء [الله السكندري] ـ رضي الله عنه ـ حين تحقق بحقيقة الأسرار هو الفقر والاضطرار: «العارف لا يزول اضطراره، ولا يكون مع غير الله قراره».

قلت: لأنه شغله الحق به عن غيره، فلم يجد قوة للأسباب التي عليها الناس، فاختار هذا السبب الذي أباحه رسول الله ﷺ حيث قال: «**من مات جوعاً ولم يسأل دخل النار**». وجوّزوا السؤال لكونه أضعف الأسباب، وأدناها، وأصغرها. فمن بالغ فيه قهراً على نفسه أفضل ممن بالغ في الأسباب الكثيرة الدنيوية اختياراً مع وجود الاستقامة فيها كإخراج الزكاة ودفعها في محلها، لأن الأول خفف الله عنه حسابها، وأسكنه موضعه، وهو الفقر، فحقق بوصفه اعتناء به، وشفقة عليه، فهو على أحسن الحالات، وفي مواضع النجاة. والآخر لا يدري هل هو ناجٍ أو هالك، لكون الحق تعالىٰ نشر عليه رداء نفسه قهراً عليه، إما نعمة أنعم الله بها، أو حظه من الآخرة عجله له.

والغنىٰ وصف من أوصاف الحق، ولا يقدر العبد أن يتأدب مع الله في وصفه، قال الله تعالىٰ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عِمرَان: ٢٨]. أي: وصفه. وإذا كان الساكن وصفه قهراً ناجياً فكيف بمن سكن وصفه اختياراً؟.

وسؤال المخلصين ستر للمتوكلين، وهم الواصلون. وسؤال السائرين تهذيب للنفس وسياسة لها، لأن النفس لا تحب أن تذلل لجنسها قط، فيهون عليها الموت بالحديد ولا يهون عليها سؤال المخلوق مثلها، لا سيما إذا سأل شيئاً حتى كان بيدها ثم أخرجها عنه، ودفعه لغيره، فهذا قتلها قتلتين في مرة واحدة.

والسؤال في حق هذا مطلوب، وإن أخذه لنفسه، وإن كان زائداً على ما يستر به عورته ويرد به جوعه. ومن لم يكن مراده منه ترك الشهوة فهو في حقه حرام أن يصيره ذلك لحظ نفسه فقط، فتحمله النفس لأجل ذلك فتقتل عبوديته، وينفك عن الأسباب، ولا يصل إلى التوكل، فتقطع به القواطع، وتحل نفسه القيد والروانع.

وموت النفس عند أهل الطريق فرض عين، والأشياخ ـ رضي الله عنهم ـ كل واحد فتح الله له التربية ـ أي في موت نفس المريدين ـ فتحاً لا حصر له؛ فمنهم: من يأذن لهم في غير ذلك. ولا يأذنون في شيء إلا ولهم الإذن في ذلك. وجوزوا السؤال ـ أيضاً ـ من وجوه، ولو لم يكن منها إلا خلاص النفس لكان كافياً، إذ هو صعب عليها، ثقيل جداً، وفيه حقيقة نفي الأسباب، فتحل شريعته لأجل حقيقته، ولا حظ للنفس في شريعته، وإنما فيه حظ الروح. ومن قال إن للنفس فيه حظاً فليتقدم إليه بعد خروجه عما في يده، ولا ينفق ما أعطي له في سبيل الله، بل ينفقه على نفسه.

والله! لأكل العشب، والدخول في النيران، والخروج عن الأموال والأولاد، لأهون عليها من السؤال، لكن مع شروطه كالصمت، والاكتفاء بعلم الله، والصبر على الإذاية،

ودفع ما أعطي في سبيل الله، وغير ذلك. وإن فقدت الشروط كان خفياً على النفس من أجل أن لها فيه حظاً، فتستدرجه به من حيث لا يشعر.

واعلم أن العارف إذا سأل من غير حاجة فمراده منه قوت الأرواح لا قوت الأشباح، [الذي] قد لا يتعرض له العارف لشدة توكله ويقينه.

وإذا كان التوكل يحصل لأهل المراقبة الحقيقية، فيتركون الأسباب وهم من وراء حجاب، فكيف بأهل المشاهدة الذين ارتفع عنهم الحجاب، وجلسوا على بساط القرب مع الأحباب؟؟!!. وهؤلاء أسبابهم توكل في توكل لمن عرف. وتوكل غيرهم بالنسبة إليهم سبب، وأسبابهم ـ وإن شئت قلت: عبوديتهم ـ إنما هي ستر لحريتهم العظمىٰ، واختاروا هذا السبب الذي هو السؤال لما فيه من الجمع بين المتوكلين والسبب، وتحقيق نفي الغير، وتصحيح العبودية لله عزّ وجل ظاهراً كفقر وذل، وضعف وعجز، وغير ذلك. فإن الغنىٰ والعز والقدرة من أوصاف الحق تعالىٰ، والمتصف بأوصاف سيده جاهل على التحقيق، ولو كان محيطاً بعلم الطروس، إذ المراد من العلم التقوىٰ من الشرك. وإن شئت قلت: التحقيق بالوصف، وما سلم من الشرك الخفي إلا من تحقق بوصفه، والذي ترك وصفه ليس له معرفة بالعلم ولا بأسرار التقوىٰ وأنوارها.

فالعلم الذي لا يحقق صاحبه بوصفه فصاحبه جاهل في علمه. والجهل الذي يحقق صاحبه بوصفه فصاحبه عالم في جهله. وسبب الجهل مع العلم الرضا عن النفس، وبالعكس. قال ابن عطاء الله: «ولأن تصحب جاهلاً لا يرضىٰ عن نفسه خير لك من أن تصحب عالماً يرضىٰ عن نفسه، فأي علم لعالم يرضىٰ عن نفسه؟ وأي جهل لجاهل لا يرضىٰ عن نفسه؟».

فالذي لا يرضىٰ عن نفسه عبد الله بقلبه، ولذلك سمي عالماً، وإن لم يكن عنده من العلم الظاهر شيء، لأن الظاهر حقاً يوصل صاحبه إلى التحقق بالوصف من عدم الرضا عن النفس، والتواضع والسخاء، والصبر، والقناعة من الدنيا، والزهد، والورع، والحلم، والضعف، والعجز، والذل، والحنانة، والشفقة، والرأفة، وحب الضعفاء والمساكين، والجلوس معهم، والتخلق بأخلاقهم الكريمة، وما أشبه ذلك كما تقدم.

فهذه ثمرة العلم، وهذه هي العبادة الحقيقية التي هي عبادة القلوب، **فالعلم الذي لا يوصل صاحبه إلى هذا فهو مدخول معلول بحب الرياسة**، وعن ذلك تفرعت علل كثيرة، فوالله إذا لم يجد طبيباً لخسر خسراناً مبيناً، ولذلك سمي جهلاً.

والقوم هم مع ما صلحت به قلوبهم لا مع ما صلحت به الخلائق. قال مولانا: ﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [الجاثية: ١٩]. فمن راقب الله تعالىٰ لا يراقب المخلوقات، لا سيما من شهده. والذي لا يرقب الله تعالىٰ فكيف لا يراقب المخلوقات؟ ورحم الله من قال:

مَن راقبَ الناسَ ماتَ غَمّاً ... وفازَ باللذةِ الجَسُورِ[١]

وعن سيدنا علي رضي الله عنه أنه قال: «واللّهِ لو وجدت مصلحة قلبي على مزبلة لجلست عليها».

وأجمعوا على أن «هذه الطريق لا تصلح إلا لأقوام كنست بأرواحهم المزابل».

وقال سيدي أبو الحسن رضي الله عنه: «واللّهِ ما رأينا العز إلا في الذل».

قال شيخنا رضي الله عنه: «وأنا أقول: واللّهِ ما رأينا الذل إلا في الفقر». **قلت:** لأن من لم يفتقر من الدنيا لا يشهد العز الحقيقي الذي هو محجوب بالعز المجازي، فافهم.

فصل

اعلم أن الفقير الصادق إذا نظر إلى الدنيا بعين قلبه، سلب في الحين من سر قربه، وناداه الهم والغم لحربه، وغطت أنوار قلبه ظلمات دائرة حسه، وعاد إلى عوائد أبناء جنسه، فتقوده الغفلة من النواصي إلى حضرة المعاصي، وهذا جزاء القلب القاسي. وإذا تبعها بفكره، تشتت نور عقله، فيحمل أحمال التدبير والاختيار، فيرمىٰ في بحر الأغيار والأكدار، ويمنع الراحة والقناعة، ويتمسك بأذيال الشحاحة، يصدق عليه قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ﴾ [التوبة: ٧٦].

وكلما خاض فيها بالجوارح جاء إليه إبليس في صورة شيخ ناصح ويقول له: يا هذا! كل ما تفعله مليح، فاجر عليه بالليل والنهار لتستريح، وتتفرغ لعبادة ربك بالقلب والجوارح، فيخدعك ويهلكك، ويصرعك، فاحذر ـ يا أخي! ـ منه على الدوام، وتعوذ منه بذكر الملك العلام.

(١) هذا البيت من البحر البسيط وهو للشاعر العباسي سلم بن عمرو بن حماد الخاسر البصري المتوفى سنة ١٨٦هـ (الموسوعة الشعرية، المعجم الثقافي، أبو ظبي).

يا لبيب! لا تنظر للهو واللعب. يا حسن! لا تطلق لنفسك في الدنيا العنان. يا خليل! لا تكن بحب الدنيا بالحاذق، ولا تكن بأهل الغفلة لاحق. يا عارف! كن بقلبك عن الدنيا صارف، وعما بأيدي الناس عفيف يرتفع عنك الحجاب الكثيف. يا حبيب! لا تستبدل الصدق بالكذب، وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب. يا فلان! غض الأجفان، وسد الأسنان، واطلق من الأبدان، والبس الأكفان، تكن من أهل العرفان.

فِقْ ـ أيها العليل! ـ الحقير الذليل، وراقب من بيده أمرك وعمرك، ورزقك. أما سمعت قوله تعالى: ﴿لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ [طه: ١٣٢].

فِقْ أيها العبد الذميم! المهين، اللئيم، الغافل النائم، إلى متى وقلبك في بحر الأكوان هائم؟ ألم تسمع قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

فِقْ أيها العبد المغبون! إلى متى تصرعك الدنيا كالمجنون؟ أما سمعت قول الله سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات: ٥٦ ـ ٥٨]؟.

فِقْ أيها العبد الغريب!، طردك هم الرزق بعد أن كنت قريب، ودهاك اللهو واللعب، والحق تعالى يقول: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

الاهتمام بالرزق بلاء ونقمة. الاهتمام بالرزق ضيق وحسرة. الاهتمام بالرزق أساس لكل عثرة، وسحاب على سماء النظرة. ليس لصاحب الاهتمام إلى قصر المسير دليل، ولا إلى شمس الوصول سبيل. الاهتمام يطمس باب الحضرة، ويمنع دخول الفكرة، هذا حكم الحكيم العليم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

واعلم ـ رحمك الله ـ أن قوت الروح في هذا العالم: حسن الخلق، كما أن قوت النفس فيه: سوء الخلق: فمن أراد أن يعرف مقامه في الذكر **فلينظر** ما عنده من حسن الخلق. فمن غلب عليه حسن الخلق فهو صاحب يقظة. ومن غلب عليه سوء الخلق فهو صاحب غفلة.

وحسن الخلق ينقسم إلى ثلاثة أقسام: خلق العارفين به، وخلق السائرين إليه، وخلق السائرين الواصلين به.

أما خلق العارفين به: خلق أهل الرسوخ والتمكين، إذ لا يمكن أن تشهد عنهم خلقاً سيئاً لشدة تحقيقهم، وصفاء قلوبهم، فلو أسأت إليهم كل الإساءة، لأحسنوا إليك كل الإحسان، وإن ظهر منهم ما يشبه سوء الخلق، فما هو سوء خلق، ولكن حكم اسمه الظاهر لأجل العبودية، إذ وصف العبودية لا ينقطع عن الواصل، إلا أن الواصل وصف قهرية فقط، والسائر وصف بشرية، وهذا هو الفرق بينهما. والسائر يزيد وينقص بوصفه لشهود نفسه، والواصل يزيد ولا ينقص لشهود ربه. ولو انقطع وصف العبودية عن الكمّل لوقفوا، وحاشاهم من ذلك، قال الله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ﴾ [النحل: ٣٠]. فما من قهرية نزلت عليهم إلا شهدوها نعمة، وشكروا الله عليها. والسائرون من الخاصة رضوا بها، والسائرون من العامة صبروا عليها، والواقفون منهم تزلزلوا بسببها. والشكر هو مقام الإحسان المشار إليه بقوله تعالى: ﴿قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾ [النّساء: ٧٨] وأهله قليلون.

وأما خلق السائرين إليه: فهو خلق أهل المراقبة، إذ الغالب عليهم حسن الخلق، وذلك لضعف حجابهم حين ألزموا نفوسهم المراقبة. ولا يرتفع عنهم الحجاب بالكلية، ولو بلغوا في المراقبة ما بلغوا، إذ الحجاب لا يرتفع إلا بصحبة شيخ عارف، ولكن لا بد أن تشرف أنوار الحضرة على أهل المراقبة الكبيرة، ويهب عليهم من نسيم أزهارها فيطيبون بطيبها، فهم متعوبون مع الأدب، تارة حاملون، وتارة محمولون، وتارة مطروحون، يحسنون ويسيئون، فإذا أحسنوا فرحوا بوجود العمل، وإذا أساؤوا حزنوا لفقدانهم ذات القبول، ولو تمسكوا بصفات القبول وهي الغيبة عن النفس لفقدوا الحزن فقداً كلياً. وحين كانت نفوسهم موجودة لم يعرفوا إلا الإحسان الظاهر فقط. وأما إحسان الباطن الذي هو المعرفة بالله فهم غائبون عنه، ولذلك لا يرجون رحمة الله إلا بوجود الأعمال الحسنة. وإذا قهرهم الحق تعالى بقهرية وصف العبودية أنكروا ذلك لقلة معرفتهم به، فكانوا متوكلين على أعمالهم، ونسوا قول الله تعالى: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ﴾ [يُونس: ٥٨]، ويصدق عليهم قوله تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾ [النّساء: ٧٩]، صدق الله العظيم.

وأما خلق الواصلين السائرين به: فالذين يحسنون ويسيئون، وهم محمولون في الإساءة والإحسان، لكونهم لا يشهدون لأنفهسم فعلاً، ولا يرون لها جعلاً، فلا وقوف لهم مع الإحسان، ولا مع الإساءة، بل سائرون إلى الله بكل حال.

قال ابن عطاء رضي الله عنه: «إلهي! قد علمت باختلاف الآثار، وتنقلات الأطوار، أن مرادك مني أن تتعرف إلي في كل شيء».

وافهم ههنا قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف: ٢٠١].

وهذا الطائف هنا هو تشويش المقامات والأحوال من العارفين السائرين، لئلا يقفوا مع شيء فيقطعهم عن الوصول. إذ جميع ما يتجلىٰ للعارفين من الأنوار وغيرها كلها ظلم وأغيار. وهذا الطائف هو طائف اليقظة يدفع طائف الغفلة بقدرة الله تعالىٰ، كما يدل عليه قوله تعالىٰ: ﴿تَذَكَّرُوا۟﴾ [الأعراف: ٢٠١]، أي: ذكّرهم هذا الطائف سرور الحضرة وأنوارها، وأسرارها، وأزهارها، وأثمارها، وخيرها كله، وهو الجمال الحقيقي، فصاروا مزعجين، مقلقين إلى رفع الحجاب المشار إليه بقوله سبحانه: ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]. وهذا الخطاب للسائرين فقط، فافهم ذلك وتأمله.

[ترك موضع الشيخ في الحلقة فارغاً]

٣٨ ـ ومن أدب المريدين إذا اجتمعوا للمذاكرة: أن لا يغلقوا الحلقة، بل يتركوا موضع الشيخ فارغاً، سواء حضر أم لا. فإن حضر وقع المدد، وإن لم يحضر كذلك، لأنه حاضر في المعنىٰ، وإذا حضر التعظيم حضر المدد في الغيبة كما يحضر في الحضور.

والتعظيم هو الأساس، فمن لم يجد في قلبه تعظيماً فليعلم أنه ناقص التعظيم. والمدد بقدر التعظيم، فالمريد إذا أعطي التعظيم في شيخه أعطي الفتح الكبير من ربه، لأن هذه الصور التي جعلها الحق نائبة عنه جمع فيها سره كله، وكذلك إذا دام الفقير على رؤية التعظيم في شيخه وفتح له في سره، صارت عبيد الله تعالىٰ كلها أشياخه لأنه يرىٰ ما في شيخه في سائر العباد، فيمتد من كل آدمي ولا يزال به التعظيم حتى يمتد من سائر الأشياء.

ولنرجع مما بقي من هذا المعنىٰ، وقد قلنا: أن يبقىٰ موضع الشيخ فارغاً عند المذاكرة، هذا هو الواجب. وأما حلقة الذكر: فلا بأس بغلقها، لأنها محمولة على غلبة الأحوال، كالرقص والشطح، وغير ذلك. ولو لم تكن الأحوال غالبة على الضعفاء مثلي لكان الواجب فتحها لأن روح الطريق الأدب، إن عدم عدمت، وإن وجد وجدت، والمريد الذي لا يكون أدبه يفوق أدب وزراء الملوك ليس له في مقام الإرادة نسبة، والإرادة أولاً تكون مع الواسطة ـ أعني الشيخ ـ ثم ترجع مع سائر الأشياء، ولا تسقط إرادة العبد إلا إذا سقطت نفسه، ولا تسقط إلا بشهود الحق، ولا سبيل لشهوده إلا بالأدب.

والأدب على قسمين:

أولاً: مع الخلق بالمجاهدة.

وثانياً: مع الحق بالمشاهدة. والثاني نتيجة الأول. ومن لا بداية له لا نهاية له.

[بسط سجادة الشيخ في غيبته]

٣٩ ـ ومن أدب المريدين: إذا اجتمعوا من غير حضور الشيخ في زاويته: أن يبسطوا سجادته التي يجلس عليها، ويدوروا بها حلقة واحدة، كحضوره معهم من غير زيادة ولا نقصان، ويتركوا الضحك والمزاح، وجملة الكلام، ويتهيؤوا للجلوس بين يدي الملك العلام، كما يتهيأ أهل دولة الملوك لملكهم عند ملاقاته، بل هذه أعظم وأعظم، لأن ذلك حضرة المخلوق، وهذه حضرة الخالق سبحانه. فإذا حضرت هذه الجلسة على هذه الحالة التي ذكرنا فأنا ضامن لجلسائها الفتح الكبير. فإذا جلسوا يناولهم كبيرهم في رتبة التربية التي بينهم، على حسب صفاء الحالة والمجلس، إن صرّح صرّحوا، وإن أشار أشاروا، ويشاركونه الأمثل فالأمثل مع ترك المحاججة، ورفض الملاححة بالكلية، والتسليم له فيما يحكم به عليهم من أمر وقع فيه الخلاف بينهم، فإن لم يعرفوا معنىً ما حكم به عليهم فله وجه، ويكفيك من ظهور معناه انطفاء نار النفوس التي تكون بسببها المحاججة والملاححة، وهذه الحالة سبب في ذهاب العلوم وأسرارها، وأنوارها.

قال الله جلّ جلاله: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

معناها ـ والله أعلم ـ: لا ترجعوا لنفوسكم واكتفوا بعلم ربكم، لأن المحاججة أصلها طمس البصائر، وذلك أن الفقير أو الفقيه يريد أن يكون أعلم من غيره، ولا يحب أن يكون جاهلاً بين أبناء جنسه، وهذا من تمكن حب الجاه من القلب. وحب الجاه هو العلة الكبيرة، وهو أعظم حب الدنيا.

ولنرجع لما بقي من هذا المعنىٰ: اعلم أنه لا ينبغي لصغير السن أن يتقدم أمام غيره، وإن كان أعلم منه وأتقىٰ، وإن تقدم إلحاحاً منه على علم ظهر له من العلوم النفيسة الرقيقة فلا بأس، لأن العلوم إن ظهرت لا يقدر أحد أن يمسك نفسه إلا من كانت العلوم ترد عليه مثل السحاب، هذا لا يكون واسع الحال مستغنياً بالله عن كل حال. والتأخر للصغير أولىٰ ـ كما قدمناه ـ وهو من الأدب الظاهر والباطن، لا سيما إذا كان أعلىٰ منه علماً أو فهماً.

[ترك موضع الشيخ خالياً ولو في غير زاويته]

٤٠ ـ **ومن أدب المريدين أيضاً**: إذا كانوا مع الشيخ في غير زاويتهم ثم فارقهم الشيخ فالواجب عليهم أن يتركوا موضعه خالياً كما تقدم، إذ لا فرق بين الزاوية وغيرها، إن الوجود كله زاوية عند أهل العلم بالله، إذ هم لا يجلسون إلا مع الله، ولا يسمعون إلا منه، ولا يتكلمون إلا معه، وذلك حيث ذهبت نفوسهم ذهب عنهم توهّم ما سوىٰ المولىٰ جلّ جلاله سبحانه، فهم في حضرته مستقرون، وبشهوده متنعمون.

ولنرجع لما بقي من هذا المعنىٰ: اعلم أنه إذا كان في الفقراء من صدّره الشيخ للتربية، وكان مشهوراً عند الخاص والعام، فالواجب عليه أن يعمر موضع الشيخ بالذكر إذا غاب، وبالمذاكرة والزيارة والمشورة وغير ذلك، ولا ينبغي التكبر عليه ولا التجبر. وقد رأيت من تكبر علىٰ شيخه رضي الله عنه من فقراء فاس ـ عمرها الله بأهل العلم والصلاح وأخلاها من أهل الجهل والطلاح ـ وقد كانت نجابته في زمان شيخه، فذهب سرهم، ولم يبقَ لهم إلا القيل والقال. ولا يزال هذا الأمر من هذه الطائفة إلى قيام الساعة.

فالذي اشتغل بالله نجا، والذي غفل عنه واشتغل بنفسه من هذه الطائفة وقع في أهل الله، **والواقع فيهم مسلوب**، ولا ينال الفتح إلا مَن نظر إخوانه بعين التعظيم والإجلال، وسائر أهل الخير، وحتىٰ سائر المسلمين، وإلا فلا يشم رائحة السر.

وأكثر ما يقع الحسد الكبير في هذه الطائفة، بعضها لبعض، نجانا الله وإخواننا من الحسد بجاه شيخنا وأشياخه إلى مولانا رسول الله ﷺ.

وقال ذو النون رضي الله عنه ـ والله أعلم ـ أو غيره: «شهادة الفقراء تجوز على سائر الناس، ولا تجوز من بعضهم على بعض، لأني وجدتهم حُسّاداً» وهذا ظاهر: كنت والله أظن أن الفقراء لا يحسدون بعضهم بعضاً فلما اجتمعت معه بفاس وغيرها أصابنا منهم ـ لطف الله بنا وبهم ـ ما أصابنا، فكنا تارة بتارة، لأن عداوة الجنس أصعب كل شيء، كما أن محبة الجنس أيضاً أصعب كل شيء، بخروجها من القلب، والاشتغال بالله عنهما أمر ثقيل على النفوس، ولا شك أن من اشتغل بالله تعالىٰ كفاه الله عداوة عدوه، وأفاض عليه من علمه وسره وفهمه ما لو كان أهل السماوات والأرض أعداء له كلّهم لوسعهم حمله. إذ لا يزال المحب مشتغلاً بحبيبه حتى يكون حبيبه وسيده ومولاه متجلياً له في كل شيء بنعت الجمال، وصفة الكمال.

الله الله الله إخواني! لا تقابلوا من قابلكم بسوء، بل قابلوه بالإحسان يقابلكم في الحين بالإحسان أكثر وأكثر. فالحقيقة إذا أرادت أن تكشف جمالها تقدم هذا لا محالة، وإذا أرادت تكشف جلالها تقدم ضداً، ومرادها منا ومن غيرنا أن نعرفها في كل حال، فإذا عرفناها في كل حال ذهب ذلك الحال، وبقي حقيقة الحال، فلا يشغلنا حينئذ حال من الأحوال، لشهود معانيها في كل حال.

ولنرجع لما بقي من كمال هذا المعنىٰ:

وينبغي لخليفة الشيخ الذي يقوم مقامه أن يجلس موضعه على سجادته، وإن جلس على غيرها فهو أحسن وأحسن.

وقد كان شيخي رضي الله عنه يجلسني على سجادته في مواضعه، وكان كثيراً ما يقدمني للإمامة وقت الصلاة، وكان ـ رضي الله عنه ـ يأتيني لموضع كنت فيه ويتذاكر معي مذاكرة رقيقة.

وكان رضي الله عنه إذا رأىٰ مني وصفاً مذموماً نهاني عن ذلك نهياً كلياً، ويقول لي: الكبير لا يناسبه إلا الكبير.

وكان رضي الله عنه يقول لي: والله ما أنا شاك في ذوقك.

وكان رضي الله عنه يقول: والله ما أنت عندنا إلا فوق ما تظن.

وكنت جالساً ذات يوم في خلوة لي مع بعض الفقراء، فدخل، وقال: فبالله الذي لا إله إلا هو! ما يدخل أحد لا سيدي أبي العباس المرسي، ولا سيدي أحمد زروق، ولا أحزابهم رضي الله عنه وعنهم.

وقال: ألا إنك حامل لذبلة الفقراء، وكان كذلك. فذهبت مني تلك العلة في الحين.

وكان يقول لي رضي الله عنه: إذا جاءك من تذكّره، ذكره الله، وأما من فرّ منك فالماء والشطابة حتى للبحار.

وكان يقول لي رضي الله عنه: أنت ميموني وأنا ميمونك.

ووجدني يوماً في حوز فاس عند بعض الإخوان من أولاد جامع ـ وكان رجلٌ هناك من أهل محبتنا حقاً، وكان من الصالحين، وكان اسمه: «بالشتا» ـ ودخل عليّ الشيخ رضي الله عنه وكنت مريضاً ببصري، كاد نورهما يذهب بالكلية، وكنت راضياً بذلك، فلما دخل قال رضي الله عنه لبعض الفقراء كانوا معنا هناك: من أراد أن ينظر وجه أبينا

آدم الأكبر، فلينظر وجه محمد بن أحمد البوزيدي!. **وكنت في المائة الثالثة عشرة من الهجرة في عام خمس عشر منها،** فأقسم له يميناً بزاوية الشريعة ـ عمرها الله ـ بالسر والولاية الكبيرة إلى يوم القيامة، آمين. قال: يا ولدي! مولاي عبد السلام هو الحج الأصغر. قلت له: نعم يا سيدي! فقال لي: وأنت أيضاً الحج الأصغر مثله!.

وكتب كتاباً لبعض إخواننا حيث رأىٰ منهم الإنكار علينا، والحسد الكبير لنا، فكتب لهم كتاباً وهو يقول فيه: «**محمد بن أحمد خليفتنا في حياتنا وبعد مماتنا رغماً على أنفنا**». فما زادهم ذلك إلا حسداً، إلا بعض الأحياء، وقليل ما هم، وهذا لا يستغرب منه، إذ ما من نعمة إلا وعليها الحساد، **وحساد هذه الطريقة أكثر من سائر الطرق، لأنها طريق الأولياء.**

ولما طال الحال رجعوا، والحمد لله على ذلك ـ إلا النادر. فالله يأخذ بيدنا وبيدهم.

وكتب لهم كتاباً أيضاً وهو يقول فيه: «والله لا يتكلم في محمد بن أحمد بالسوء إلا فاسق أو منافق، أو حاسد، أو راضٍ عن نفسه، أو من فيه دعوىٰ نافذة». إلى غير ذلك من أقواله الشريفة رضي الله عنه.

فصل

اعلم أخي! أنه إذا كان يجب على المريدين احترام موضع الشيخ، فكيف بجسده الشريف؟ وهذا الأدب الذي ذكرناه وغيره لا يشق إلا على من كان قلبه فارغاً من المحبة التي عنها ينشأ التعظيم، والتعظيم عنه ينشأ الأدب، فمن لا محبة له لا تعظيم له، ومن لا تعظيم له لا أدب له، ومن لا أدب له لا وصول له. ولا يخلو من جلساء المشايخ من فيه طبع من المنافقين والمعاندين، والمتصنعين، وغير ذلك، وليس كل من دخل في يد المشايخ يتخلص، فالمخلصون قليلون، والمنتسبون كثيرون.

ولا بد لمن التزم صحبة الشيخ ودام عليها فيه أن يُرجىٰ له الإخلاص، لأن الشيخ وقتها تفيض عليه الواردات الإلٰهية في دفعة واحدة، فلا يمكن له أن يملكها، بل تفيض على كل من حضره فينال بوجودها النصيب الكبير.

فمنهم: من تنزله في النهاية ببركتها، وببركة من نزلت عليه.

ومنهم: دونه، وهكذا، ولا يذهب بلا نصيب إلا المحروم، ولكن ذلك الوقت نادر. وقد يجلس بحضرته هؤلاء وهؤلاء، وذلك ليتميز هؤلاء بهؤلاء، إذ لا بد من

الضدين في كل شيء، ولا يقوم الوصف بنفسه. فالموضع الذي عظم فيه النور فيه عظمت الظلمة، إلا أن الحكم للأغلب، فمجالس أهل النور الحكم للنور على الظلمة، ومجالس أهل الظلمة الحكم للظلمة على النور، ولله الأمر من قبل ومن بعد. وسبب حكم الظلمة على النور حب الدنيا، والعكس.

ومن كان بحضرة المشايخ وغلبت ظلمته على نوره فهو أشد حباً لنفسه، والذي هو أشد حباً لها هو أشد حباً للدنيا، ولذلك تراه في عين الخير وهو بعيد منه.

وأحوال الناس بحسب السابقة:

منهم: من يبارز الشيخ ولا يستحيي.

ومنهم: من ينقطع عنه ولا يرجع.

ومنهم: من لا يشاوره في جميع الأمور. وإذا شاوره لا يعمل بمشورته.

ومنهم: من يلازمه لأجل بطنه.

ومنهم: من يذكر عنده رياء واستحياء من الخلق.

ومنهم: من يقتدي بنفسه في كل ما تأمره، ويقول: قال شيخنا، سمعت شيخنا، وشيخه: نفسه وهواه.

ومنهم: من تكون فيه هذه الأحوال وأكثر منها، ويرجع عنها ويتوب، ويتوب الله عليه، وينال الخير الكبير.

ومنهم: رضي الله عنهم، إذا ذُكر الشيخ عنده ذَكَر الله وخاف كخوفه من ربه، أو كذكره لنبينا سيدنا محمد ﷺ.

ومنهم: من إذا رآه استغرق في الشهود، وغاب في عظمة المعبود.

ومنهم: من إذا رآه اجتمع قلبه على ربه بعد تشتيته، وذهبت عنه نفسه كأنها لم تكن، وذلك كله بصدق المريد، وحال الشيخ رضي الله عنه.

ومنهم: من لا يغيب عنه لشدة بقائه بعد فنائه.

إلى ما لا نهاية لأحوالهم رضي الله عنهم، وجعلنا من حزبهم وودهم، آمين، إنه سميع مجيب.

فصل

[أخذ العلم عن الكبير والصغير]

٤١ ـ ومن أدب المريد: أن يأخذ العلم عن الكبير والصغير، ولا يتكبر على أحد من عبيد الله، ولا ينبغي لطالب العلم أن يأخذه بعلو همته ورفعة نفسه، فإنه لا يناله، وإن أخذ الكلام فإنه سم قاتل، إذ العلم دل على صفة الربوبية لا على نفسه، فمن رآه متكبراً هرب منه إلى أهل التواضع، لأن العلم جاء يدلنا على العبودية لله لا على نفسه. فمن طلبه ليستعز به دون الله أنزل لا محالة. ومن طلبه ليعرفه بربه وجده يدله عليه. ومن فهم الدلالة عليه نزل منازل العبودية فنال القرب من الله، وهذا مراد العلم، ومن لم يفهم مراد العلم وقف معه، واستعز به دون الله، فكان طالباً به الجاه والرفعة، وحب الرياسة، وأخذ ما في يد الناس، وتعظيم الناس له، وإقبالهم عليه. وهذا هو العلم الذي لا ينفع، الذي استعاذ منه رسول الله ﷺ، نسأل الله السلامة لنا ولإخواننا ولسائر المسلمين بقوله ﷺ: **«أعوذ بالله من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع»**.

ولا ينبغي لصاحبه أن يضعه أين ما وجد، بل يختار له أهل الفضل والجود، وأهل الصدق والإخلاص، وأهل المحبة والمودة، وأهل الخدمة ـ أعني: خدمة الشيخ والإخوان ـ فالذي لا يختار له دليل على وضع قدره عنده، وذلك من علامة جهله به، إذ لو علم قدره لكان أغير عليه من الرجل على أهله، وأكثر، والذي ينزله أين ما وجد هو الذي يفسد الناس، ويفسد نفسه، ولا شك أنه لا يفسد العلم إلا من لا خير فيه ـ وحاشا ـ والعلم نور أزلي صنعة الذات القديمة الأزلية الأبدية التي أحاطت بكل شيء ولم يحط بها شيء، وذاته سبحانه موصوفة بصفاته العالية، كالقدرة، والإرادة، والعلم، والحياة، والسمع، والبصر، والكلام، وغير ذلك مما يناسبها، فأودع الله سبحانه من أسرار صفاته في عباده ما شاء:

فمنهم: من عرف قدرها ورجع إلى الله تعالىٰ، ورأىٰ أنه ليس سبب فيها، فسلب الإرادة لله في سائر أوصافه، ولم ينسبها له قولاً ولا فعلاً ولا حالاً، فلما حصل له هذا الزوال وانتهىٰ في عبوديته إلى الكمال، أمده الله بوصفه بمحض كرمه. وعبودية هذا العبد سببٌ من الأسباب، ولا شك أن من أراد الله أنْ يعطيه أسراره أعطاه المفتاح الذي يفتح به على هذا السر العظيم وهو العبودية الخالصة التي ليس للنفس فيها طمع.

ولا شك أن الله تعالىٰ يعطي لعباده بقدر ما أعطاهم من الإخلاص، وكل ذلك عطيةٌ من الله سبحانه، ولولا فضله ما كان أحدٌ أهلاً لشيء، ووجودنا ووجود غيرنا نعمةٌ منه سبحانه، وكل ما مُدِدْنا منه من النعم الحسية والمعنوية فهو فضل منه وكرم. ولولا الحياء منه سبحانه لكشف الحجاب عن السر المصون، ولكن لا يناسب أهل الصحو ذلك.

واعلم: أن العقل يدرك، والعلم يحقق، ولا تزال الروح تفتش على حقيقتها، وهي بالعلم تكاشف، وبالعقل تدرك، حتى تنتهي بالتحقيق الكبير، فيرجع العلم عين العقل، والعقل عين العلم. والعلم والعقل من أسرار الله المودع في الروح، بهما ينكشف الحجاب عن النفس فترجع لأصلها، وبهما تعرف قدرها، وإذا عرفت قدرها عرفت قدر خالقها. كما قال ﷺ: «**من عرف نفسه عرف ربه**»[1].

والنفس من عين الروح، والروح من عين الكمال، والكمال لله سبحانه، ولا يعرف هذه الإشارة إلا أرباب الذوق الذين ذهبت نفوسهم، واضمحلت أجسامهم، ولم يبقَ من وصف العبيد إلا اسمهم ورسمهم.

وهذا كله لا ينال إلا بملاقاة العارفين، وهي أعظم النعم. فمن التقىٰ مع أحدهم فقد التقىٰ مع الكيمياء الكبرىٰ، إذ الكيمياء الصغرىٰ تقلب المعادن كلها ذهباً وفضة، وهذه الكيمياء تقلب النفوس روحاً ونوراً، وسراً وعلماً بعد جهلها وظلمتها وغفلتها. انظر ما في ملاقاتهم من الخير.

فالواجب على من تعلقت همته بالله ـ أي بالوصول إلى حضرته ـ أن لا يعمل عملاً إلا التفتيش عليهم، والسؤال عنهم، وهذا أفضل له من العبادة، هذا للمضطر الكبير، وأما غيره فلا.

واعلم أن في صحبة هؤلاء القوم فوائد، وخرق العوائد لا يمكن التعبير عنها باللسان، وإن لم يبلغ صاحبهم مبلغهم، فإن صحبة الخلق كلهم كصحبة الناس للعطار، إن لم ينفق من حانوته تذهب فيك رائحته. أو صحبة الناس للبحر إن لم يأخذوا منه الحوت والجواهر واليواقيت، يأخذوا منه طهارة الثياب والبدن.

وكذلك لا يخلو صاحبهم من أمرين: إما استقامة الظاهر، وإما استقامة الظاهر والباطن معاً. وقد قال شيخنا مولاي العربي ابن مولانا أحمد الدرقاوي الشريف الحسني رضي الله عنه: «الرجل ينسب إلينا ولا يأخذ النصيب منا، هذا ولا يسمع علينا».

---

(١) هذا الحديث سبق تخريجه.

وقال سيدي عبد الله الهبطي ـ نفعنا الله ببركاته ـ: «أقل ما يستفيده من صحبتنا معرفة الحق من الباطل، ويا لها من رتبة لمن رزقها. كما قال مولانا رسول الله ﷺ: «هم القوم لا يشقىٰ بهم جليسهم»[1]، ولا يشقىٰ إلا إذا كان كافراً بهم، وقد كانوا يرون النبي ﷺ ولا يزيدهم ذلك إلا بُعداً وطرداً. وأما من آمن به لا يشقىٰ وإن لم يره. والإيمان الحقيقي به هو الرؤية الحقيقية. ولا شك أن من رآه اتبعه، ومن اتبعه هو الذي ظهرت فيه أحواله وأقواله وأفعاله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وصحبه ـ. ولا يشترط في المتبع له كماله، وإنما ذلك يكون في الذي هو على قدمه وإن ظهر فيه نقص في بعض الأوقات فالحكم للأغلب.

ولكل زمان رجل كامل ـ يعني أكمل أهل زمانه ـ، وهو سلطانهم وإمامهم، وإن ظهر فيه غلبة السكر مثلاً، أو غلبة الصحو، فمن دونه في المرتبة أكثر منه، والله أعلم.

ولعمري ـ والله أعلم وأحكم ـ أن الأولياء الذين تقدموا في الزمان الأول كانوا أشد أوراداً وإتقاناً من الذين في زماننا، وأهل زماننا أشد منهم نوراً وقرباً وذوقاً. وذلك أن أهل الزمان الذي تقدم كانت فيهم الهداية منتشرة ظاهراً، والناس كلهم على الفطرة، والنية، والصدق، وكانوا إذا ظهر لهم كرامة من بعض أهل الله رفعوا قدره، وأقروا أمره. وكان أهل نسبة الله رضي الله عنهم لا يجدون إلا ما يقربهم من مولاهم، ويبعدهم من نفوسهم، ومن جنسهم، كان الجنس على الفطرة كما ذكرنا، وكانت نفوسهم كما ذكرنا.

واليوم خلاف ذلك: خرجت النفوس من الفطرة كافة، عامة وخاصة، فلذلك كان الخاص لا يرخص نفسه إلا بعد مشقة عظيمة، وكذلك نفوس الجنس أصعب وأصعب.

ومن هذا المعنىٰ ـ والله أعلم ـ كانت ولاية المتأخرين أقوىٰ وأعلىٰ من ولاية المتقدمين. وقد قال مولانا رسول الله ﷺ: «خير أمتي أولها وآخرها، وفي وسطها الكدر»[2].

وقال ﷺ: «إخواني يأتون في آخر الزمان يؤمنون بي ولم يروني»[3] أو كما قال ـ الحديث ـ.

وأظن [أن] وقتنا هذا أشد صعوبة من زمان الصحابة، لأن زمان الصحابة كان الرجل إذا أسلم وآمن حسن إسلامه وإيمانه في الحين، وذلك أن النفوس كانت على

(١) رواه مسلم في صحيحه، باب فضل مجالس الذكر، حديث رقم (٢٦٨٨) والحاكم في المستدرك، كتاب الدعاء والتكبير. . ، حديث رقم (١٨٢١) [١/ ٦٧٢] ورواه غيرهما.

(٢) أورده المناوي في فيض القدير، حرف الخاء [٣/ ٤٨٣].

الفطرة، واليوم عكس ذلك؛ ترى الرجل مسلماً يصلي ويصوم، ويحج، وهو لا نية له في صومه، ولا حجه، ولا صلاته!. وذلك كله لفساد القلوب بحب الدنيا، فنيتهم ومحبتهم وصدقهم وإخلاصهم كلهم معها، وكيف لا تفسد القلوب إذا كان هذا حالها؟!.

وقد كانت المواعظ والكرائم تنفذ في أهل الزمان المتقدم، واليوم خلاف ذلك. ولهذا قال الشيخ الحضرمي - رضي الله عنه -: «قد انقطعت التربية بالإصلاح، ولم يبقَ إلا الهمة والحال، فعليكم بالكتاب والسنة من غير زيادة ولا نقصان».

كنت أنكر هذا الكلام سنين حتى فتح الله علينا فيه. وكان شيخنا أيضاً يتردد فيه مراراً.

ونرى أن زماننا لا يحوش الناس فيه إلى الله تعالى إلا من كان ذا همة وحال. وهذا التحويش هو بالقلوب لا بالجوارح، كما هو تحويش العامة، يعتبرون كل من ينتسب، ولا يفرقون بين من انحاش إلى الله بقلبه - وهو الانحياش الحقيقي - وبين من انحاش إلى الله بجوارحه - وهو المجازي -. وذلك كالعباد والزهاد وغيرهم، وبين من هو منسوب فقط، وهم اليوم الأكثرون. وأشياخهم يدعون التربية النبوية ونفوسهم كما هي لا يعرفونها، ولا يعرفون بها أصحابهم، والذي لا يعرف نفسه كيف يعرف ربه؟. والذي لا يعرف ربه كيف يعرف الناس؟. وتغطى أمر أهل الإخلاص حتى كأنهم لم يكونوا.

فالله يمُنُّ علينا وعلى هذه الأمة الشريفة بفضلٍ منه - سبحانه - وجُودٍ وكَرَم، إنه سميع مجيب.

ولنرجع لما كنا بصدده:

[ملاقاة أهل المحبة]

٤٢ - ومن أدب المريدين: إذا قدم عليهم أحد من أهل محبة الله ينبغي لهم أن يقوموا لملاقاته إجلالاً لله، لأن القيام لهم هو لله في الحقيقة لا لهم، إذ هم جاؤوا لله، والجالسون هناك لله، ولا ينبغي للزائرين أن يرسلوا إلى الشيخ بأن يتلقاهم، إذ ليس ذلك من الآداب المرضية. نعم، إن قربوا من المنزل فليذكروا الله جهراً، وفي ذلك إشارة للملاقاة، والذي يكون بالإشارة كله أدب، ولا بأس بأن يرسل الإخوان لإخوانهم لأن يتلقوهم إذا قربوا من زاوية الشيخ، فإذا تلاقوا مع بعضهم بعضاً تصافحوا، وتعانقوا، ولا

يكبون على بعضهم بعضاً إلا على أقدام الشيخ لأن ذلك إظهار لمحبته وتعظيمه، والاشتياق له، والمحبة تهيج، وتعظم، وتغيب صاحبها عن إحساسه عند ملاقاة حبيبه، وأي حبيب مثل الله ورسوله ﷺ؟ ومثل من يدلك على طريقه الشريفة حتى تصل إلى حضرة ربك؟ فالمحب لا يدري ما يصنع عند ملاقاة حبيبه.

قال سيدي أبو مدين الغوث نفعنا الله ببركاته وبركات أمثاله:

فإذا طِبْنا وطابَتْ نفوسُنا وخامَرَنا خمرُ الغرامِ تَهتَّكْنا

وملاقاة الواسطة الحقيقية هي ملاقاة الموسوط، إذ الواسطة هي العنصر الصافي الذي هو من بحر المصطفىٰ ﷺ فالذي ذكرناه هو واجب في حق الشيوخ الكاملين، وإذا صدر من بعض الإخوان لبعضهم بعضاً غلبةً ووجدٌ، لا بأس. ولا ينبغي أن يفعلوا ذلك من غير غلبة الحال.

فإن قال قائل: هذا لم يثبت عن الصحابة مثلاً؟.

قلنا: الصحابة كانوا أقوياء ـ رضي الله عنهم ـ مالكين للأحوال بوجود المصطفىٰ ﷺ لا يسير أحدٌ سيرهم من عامة أهل الله ـ نفعنا الله ببركاتهم كافة ـ والذي يفعل ذلك بغير حال ثقيل على القلوب، والشيء الثقيل عليها هو مكروه أو حرام. قال ﷺ: **«الحق ما سكنت إليه النفس واطمأن به القلب وإن أفتاك المفتون»**[1]، أو كما قال.

وبقي من حق الزائرين على المزارين: إذا جلسوا بين يدي الشيخ أن نؤثرهم بالقرب منه في الجلوس، ونكرمهم ما استطعنا، ثلاثة أيام، وهي ضيافة المصطفىٰ ﷺ، وبعد ذلك نصير شيئاً واحداً في المحبة لله تعالىٰ.

والمؤكد به بعد هذا: التواضع لبعضنا بعضاً، والمحبة والثناء، والسخاء، والمودة، والحنانة، والشفقة، وغير ذلك من سائر الأخلاق، وهذا كله واجب على الزائر والمزار. وبالخلق الحسن تشرف من تشرف، ووصل من وصل.

والواجب أيضاً: الاستماع لبعضنا بعضاً، والاستنصاف لبعضنا بعضاً، وأخذ علم بعضنا بعضاً، وحفظ الكلام لبعضنا بعضاً، ونسير على سير ضعفائنا، كما قال ﷺ:

---

(١) روى نحوه الحاكم في المستدرك، باب في ذكر فضائل التابعين، حديث رقم (٦٩٩٢) [٤/ ٩٥] والدارمي في سننه، باب في فضل آخر هذه الأمة، حديث رقم (٢٧٤٤) [٢/ ٣٩٨] وروى نحوه غيرهما. ولفظه: **«يا رسول أحد خير منا أسلمنا وجاهدنا معك قال نعم قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني»**.

«**سيروا بسير ضعفائكم**»[1]، أو كما قال. ونقدم المؤخر، ونبسط المقبوض، ونوسع الضيق، ونبشر المتوجه بالبشارة الحسنة، ونقوي الضعيف، ونرغب الزاهد في الدنيا بالزهادة في نفسه، ونرغبه في اشتغاله بربه، والراغب في الدنيا نزهده فيها لكي يستقيم ظاهره، وإذا استقام ظاهره عند ذلك نزهده في نفسه، وإذا زهد في نفسه دللناه على الرغبة في الله تعالىٰ كما تقدم.

ونتكلم على الإخلاص من النفوس ولا نخص أحداً بذلك، وإن علمنا فيه ذلك، وربما إن قصدناه رددناه إلى نفسه، وإذا رجع إليها فرت به إلى هواها، وأعظم هواها وأقبحه الرضا عنها.

وبالجملة: فلا نقصد أحداً؛ فمن كان مراده معالجة نفسه استمع بأذن قلبه وذاكر، ومن كان خلاف ذلك تركناه حتى يستحضر قلبه، ويفتقر لربه، عند ذلك تنفع فيه الموعظة.

ومن الناس من تعظم نفسه ولا يسمع من أحدٍ إلا إذا أخذ الله بيده. فالله يأخذ بيدنا وينقذنا، وكافة إخواننا والمؤمنين والمسلمين ـ من الرضا عن نفسنا، آمين، بجاه مولانا محمد ﷺ.

ولنرجع لما بقي من هذا المعنىٰ:

ومن أدب الملازم لحضرة الشيخ إذا عزم الزائرون على الرجوع إلى أماكنهم شيعناهم ما استطعنا، ونصغي عند الافتراق لوصية الشيخ إذا حضر وخرج معنا، وتكلم في ذلك الوقت ـ وهذا ليس بواجب عليه ـ ربما يتكلم وربما لا يتكلم، لكن إذا تكلم يستحضر كليته مع أهل الصدق عند الوداع، وإذا لم يحضر الشيخ وحضر أخ صادق ووعظنا سمعنا نصيحة بعضنا لبعض، إذ البركة لا تنقطع.

[حسن استقبال زائري الشيخ ممن لا نعرف]

٤٣ ـ ومن أدب المريدين أيضاً: إذا قدم أحد لزيارة الشيخ وليس لنا به معرفة نفعل ذلك معه تصحيحاً لدعوتنا، ومحبته في ربنا، وستراً لنسبتنا. وبقدر تعظيمنا له ينتفع من شيخنا، وربما كانت له نية كبيرة، وصدق عظيم، فإن رأىٰ منا ذلك جاء شهيد له على

---

(١) لم أجده بلفظه إنما الذي ورد: «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك وإن أفتاك المفتون**» رواه الطبراني في الكبير، حديث رقم (١٩٣) [٢٢/٧٨] وأبو يعلى في مسنده، حديث رقم (٧٤٩٢) [١٣/٤٧٦] ورواه غيرهما.

شهيد، وهو التعظيم الذي في قلبه، فيزداد نيةً في الشيخ، وفي الله تعالىٰ. وإن رأىٰ منا خلاف ذلك نقص صدقه، وضعفت محبته، فيرجع بلا شيء. وإن جلس لمحبة الشيخ يطول فتحه، والبداية أساس النهاية، وتظهر في صاحبها بقدر صدقه وتعظيمه في شيخه، وكثير من الواردين تكون نيتهم عظيمة، فإذا وصلوا رأوا من الإخوان أموراً قبيحة، فتضعف نيتهم، فأفسدوا عقيدة من رأىٰ ذلك.

ولذلك قلنا: ينبغي لنا الإحسان لكل قادم قدم على الشيخ، وإن لم تكن لنا معرفة به، ونؤثره بالقرب من الشيخ، ونكرمه، ونطعمه وحده إن وجدنا، ونحدثه بقدر حاله، ولا نكثر عليه الإشارة ودقيق العبارات، كما يفعله من لا علم له بربه، ولا له اكتفاء به سبحانه. وإذا حضر الاكتفاء بعلم الله تعالىٰ حضر الصمت وعلو الهمة، وكتمان العلم، والتأخر في الجلوس قرب الشيخ، والتأني في الجواب، وغير ذلك مما يناسب أهل الصدق.

[ترك من يريد الأخذ عن الشيخ للشيخ]

٤٤ ـ **ومن أدب المريدين أيضاً**: إذا قدم أحد عند الشيخ أن يتركوه له، إذا كان بنية الأخذ عنه، وإنما يظهرون له تعظيمَ الشيخ ظاهراً، وعليهم بالسكينة والوَقار والصمت، كما قدّمنا، إذ ذلك كله من علو الهمة، ويتركون المزاح الجائز عند القوم على وجه البسط، لأن الداخل داهش، ربما يرىٰ من بعض الإخوان ما لا تطيقه نفسه، فينكرها ويتزلزل ـ كما قدمناه ـ.

والفقراء يزيدون بالداخلين في حضرة الشيخ أكثر من الشيخ، لأن حقيقة الفقراء ظاهرة، وحقيقة الشيخ باطنة لا يراها إلا مثله. وكذلك ينقصون بهم أيضاً.

وقد يقدم على الشيخ من لا نية له ولا صدق، فإذا رأىٰ صدق الفقراء انجذب رغماً عن أنفه. وقد يقدم من له الصدق الكبير ويرىٰ من الفقراء عكس ذلك فيتزلزل ـ كما قدمناه ـ لأنه يقول: لو كان عند شيخهم سرّ لكان ظاهراً على هؤلاء.

ومنهم من يأتيه بنية الإنكار، فإذا رأىٰ ما يوافق الكتاب والسنة رجع عن ذلك وتاب، وربما دخل في حزب الفقراء، وربما يرىٰ ما لا يفهمه من الأقوال والأفعال والأحوال، فيريه الشيخ معنىٰ ذلك فيرجع، ويتوب ويستغفر، لأن أحوال أهل الباطن غريبة تفرّ منها الطباع، وتأوي إليها السباع. ولذلك ترىٰ أهل علم الظاهر ينكرونها، ويزعم من لا علم له منهم أن حدّ العلم ما عرف وما فهم، وما دون ذلك كله خطأ، ومَن هذا نظره فهو الخطأ الكبير، أما إنه لو سمع قوله تعالىٰ: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ

﴿ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةً مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمًا ۝٦٥﴾ [الكهف: ٦٥]، وهذا الخطاب للنبي الرسول عليه السلام فما بالك بغيره؟.

وقد يظهر لي ـ والله أعلم ـ أن الكثير من الأولياء خصهم الله بعلم ما لم يخص به بعضهم. فالولي مثلاً إذا ظن أن حدّ العلم هو الذي عرف فهو جاهل، والولي لا يكون جاهلاً قط إلا إذا كان غير كامل، تارة يدخل، وتارة يخرج، وربما يصيبه ذلك لغلبة الطبع البشري عليه.

وأما من تمكن غاية التمكين لا يتصور ذلك بحقه، قال عليه الصلاة والسلام: **«ما اتخذ الله ولياً جاهلاً إلا وعلّمه»**[1]. معناه ـ والله أعلم ـ: وإن جهل علّمه الله، ولا يترك الحق سبحانه نفسه تغلب عليه وتتولاه، كيف وهو تولاه سبحانه، وهذا معنىٰ قوله تعالىٰ ـ والله أعلم ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ۝٢٠١﴾ [الأعراف: ٢٠١] الآية. لأن وصف العبد لا يخلو منه الولي، أما وصف البشرية المذمومة فيتطهر منها لا محالة. وأما وصف العبودية فتصيبه، وذلك كالنسيان والخطأ والهفوة، كيف وقد أصاب ذلك أبانا آدم عليه السلام في الجنة، وليس هذا وصف البشرية المذمومة حاشا، إنما ذلك لأمر أراده الله. ولا يفهم ما معنىٰ ذلك سواهم.

ولو كان الولي ـ كما يزعم الكثير بأنه ـ لا يظهر فيه وصف العبودية لكان ذلك نقصاً في حق الأولياء ـ رضي الله عنهم ونفعنا ببركاتهم ـ. فالولي الكامل يرجع من الهفوة والنسيان والخطأ إلى الله تعالىٰ. والسائر يرجع من وصف نفسه إلى الله. والرجوع إلى الله هو عين الولاية الكبرىٰ، وكل واحد في الولاية بحسب رجوعه إلى الله تعالىٰ. وما خرج أحدٌ من دائرة الولاية إلا من خرج من الرجوع إلى الله تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝٥٤﴾ [الزُّمَر: ٥٤]. فالإنابة حال السائر، والاستسلام حال الواصل، لأن السائر يرجع خائفاً من العذاب، والواصل يرجع خائفاً من الحجاب: ﴿كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ۝٢٠﴾ [الإسرَاء: ٢٠]. فالحق تعالىٰ جلّ جلاله يعطي لعباده ما شاء كيف شاء، في أي وقت شاء، سبحانه: ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ۝٢٣﴾ [الأنبياء: ٢٣].

---

(١) أورده الهروي في المصنوع [١/٢٦٨].

فصل

[ستر الحقائق وعدم التحدث بها مع غير أهلها]

٤٥ ـ ومن أدب المريدين: المستشرفين الذين غلب عليهم تجلي الحقيقة، الواجب عليهم أن يستروها، ويتركوا الكلام فيها إلا مع خاصة أربابها لا عامة أربابها، الذين أعطوا العلم بها وهم مقصرون عن العمل بها. وهذا جل أهل حقيقة غربنا اليوم.

واعلم أن صاحب الحقائق عند الاستشراف عليها إذا كثر كلامه بها قلت سلامته من تصرفها فيه، لأن من كان تصرفه فيها بالقول كان تصرفها فيه بالفعل كالحلاج.

ومن كان تصرفه فيها بالفعل كالششتري وأضرابه كان تصرفها فيه بالقول وهي العلوم اللدنية ظاهراً كعلوم الششتري، وابن الفارض، وشيخ شيخنا سيدي علي العمراني الشريف الحسني. رقّت ـ والله ـ عبارتهم، عرفهم الخواص لدقة فعلهم، إذ بقدر ما يترقق العمل يترقق العلم. ولا يسلم بظهور علمها إلا من كان له قدم كبير في التجريد الظاهري، والاشتغال به أبداً، هذا يسلم من أهل الشريعة ومن أهل الحقيقة. فأهل الشريعة يحكمون عليه بالحمق، وأهل الحقيقة يحكمون عليه بالجذب، فيسلم لا محالة مَن هذا حاله.

وقلّ من سلك هذا المسلك من الكبار صاحياً ساكراً في دفعة واحدة، وهو يغلب السكر على الصحو اختياراً فيما يرىٰ وهو في نفسه في غاية الاعتدال، ولا يقدر على هذه الحالة إلا أهل الصدق الكبير ـ جعلنا الله منهم وإخواننا ـ، آمين.

ففات أهل الجذب والسلوك بهذه المزية كما فات سيدنا الخضر سيدنا موسىٰ ـ عليهما السلام ـ بمزية العلم اللدني.

وهؤلاء الكرام كاد تجلي الجمال، أو نقول: تجلي الصفات أن يتجلىٰ لهم ظاهراً بمحو الأثر، فافهم.

واعلم أن جمع الجمع هو حال أهل هذه الطريق الشاذلية في مرة واحدة، ولا يقدر عليها غيرهم، والله أعلم. تراهم فانين في الذات بنظرة الجمع، باقين بالصفات في الذات بنظرة جمع الجمع ولا يغلب هذا الشرب على هذا يشربون بكأس جمع الجمع، من بحر الفرق، كما يشربون بكأس فرق الفرق من بحر جمع الجمع.

واعلم أن الذات المقدسة مجموعة في فرقها لعظيم جمالها، مفروقة في جمعها لعظيم جلالها، فجمالها كاد أن يكون بلا جلال لشدة ظهور جمالها في عالم الجبروت، وجلالها كاد أن يكون بلا جمال لشدة ظهور جلالها في عالم الملكوت، سبحان من هو ظاهر في بطونه، باطن في ظهوره.

واعلم أن الله ـ جلّ جلاله ـ جعل الجمع في كل فرق، كما جعل الفرق في كل جمع، إذ لا يقوم الشيء إلا بضده. وهذه المعاني يعرفها من فني عن نفسه، وبقي بربه. ومَن هذا حاله يشهد في كل فرق جمعاً، باعتبار رؤية الذات في حال الفناء، وفي كل فرق جمع الجمع، باعتبار رؤية الصفات عين الذات في حال البقاء.

وهذا السر الذي تكلمنا عليه هو سر النفس، أخذه مولانا محمد ﷺ عن نفسه، ونفسه عن ربه، ولا واسطة فيه إلا لمن بعده، فلا يقدر أن يدركه أحد بلا واسطة سواه ﷺ. ولهذا الفن جعل الله الشيوخ لا لغيره من العلوم، وجعلهم خليفة في ملكه بسبب معرفة حقيقة هذا الوجود، ولولا معرفتهم بحقيقة هذا الوجود لما كانوا حاكمين عليه.

فضّل الله ـ تعالىٰ ـ هذا الآدمي بخاصية العلم المدركة لحقيقة الأشياء، ولأجل هذه الخاصية كان عاشقاً للأشياء لجهله بحقيقتها، وإذا كشف له عن حقيقتها صار معشوقاً لإدراكه حقيقة الأشياء، فقامت هي حينئذ لعشقه خادمة له وهو يتبختر عليها، كما كان يعشقها وهي تتبختر عليه، وتموت بعشقه كما مات هو بعشق سيده، ولا راحة له منه إلا راحة الزيادة، كذلك هي لا راحة لها منه إلا بالقرب له، فافهم!!.

واعلم أن النفس هي السر الكامل، وهي النور، وهي الجمال، وهي الكمال، وهذا السر يكشف لمن سكن بلاد الذلّ والفقر، ولا يرتحل منها أبداً. وأما الذي ارتحل عن الذل والفقر ارتحل هذا السر عنه، أحب أم كره، إلا إذا كان كامل الفناء.

والعز والفناء ينتج عنهما العلم والجهل حكمة وهمية وهي ضد العلم.

والعلم حكم صفة الذات، أعني: العلم بالله. وأما العلم بالمعاملات فهو حكمة أي من عالم الحكمة لا حكمة. وتنتج ثمرته الذي هو العمل العلم بالله إن صحبه الإخلاص. والعلم صفة العالم سبحانه وهي الدالة عليه في عالم الجهل. فالدلالة الأولىٰ دلالة خبر النهار على النهار في الليل. والدلالة الثانية دلالة العين الصافية على الشمس الساطعة، ولولا الجهل لبطلت الدلالة عليها، ولولا العلم بها لبقيت كنزاً مطلسماً في حال ظهورها.

انظر إلى حال أهل الجهل الجلي، كيف هي فيهم كنزٌ مطلسم من شدة ظهورها، فافهم.

واعلم أن لولا العلم ـ كما قلناه ـ لما عرفها أحد، ولذلك قيل لمولانا محمد ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]. وقال ﷺ: **«اطلبوا العلم ولو بالصين»**[1]. إلى ما لا نهاية لفضله على غيره.

وهذا العلم ينقسم إلى قسمين: **علم الدليل**، والمطلوب العمل، وإلا فلا علم. **وعلم الباطن**: والمطلوب العمل أيضاً في بدايته العمل أكثر وأكثر. وأما إذا وصل حقيقة صار علمه عمله، وذلك لفناء النفوس والاستغراق في عالم المعاني عن توهم عالم المحسوس، لأن نفوس أهله تروّضت، فما أدركت بالعلم صار حالاً وذوقاً، بخلاف غيرهم. وهذا العلم هو الذي قال فيه الشيخ الكامل سيدي أبو الحسن الشاذلي ـ رضي الله عنه ـ: **«ومن لم يتغلغل في علمنا هذا مات مصراً على الكبائر وهو لا يشعر»**. لأن هذا العلم بالله، لله، في الله، بخلاف غيره، إما أن يكون بنفسه لله، وإما أن يكون بنفسه لنفسه، فافهم.

واعلم أن الجهل صفة لازمة للنفس، كما أن العلم صفة لازمة للروح، وإليه الإشارة لسر قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝﴾ [التين: ٥]، بعد أن كان في أعلىٰ عليين، أعني في عالم العلم بالله، حيث كانت روحانية نورانية سالمة من الأغيار والأكدار، فلما تنزلت لعالم الجلال خفي عنها، حيث قابلها بما لا تفهمه، فسلط الحق ـ تعالىٰ ـ عليها الأوهام؛ فانحجبت، فصار علمها وعشقها وعقلها في غير محله، فسميت نفساً حيث سجنت في عالم الأغيار، وذلك بظنها أنه عالم الأغيار، حكم الحق تعالىٰ عليها بنظرتها، فصار عليها أغياراً وأكداراً، لا على من يعرّفه بالله، فإنه عليه أنوار وأسرار، كما هو، وهذا هو الفرق لا غير.

واعلم أن الجهل ثلاث:

جهل أهل الشريعة: فروا منه لعلم الظاهر والعمل به.

وجهل أهل الطريقة: فروا منه إلى علم الطريقة والعمل بها.

---

(١) رواه الربيع في مسنده عن أنس بن مالك، حديث رقم (١٨) [١/٢٩] والبزار في مسنده عن أنس بن مالك [١/١٧٣] ورواه غيرهما.

وجهل أهل الحقيقة: فروا منه إلى الله وإلى العلم به، فنجوا وانبسطوا، واستراحوا، وأراحوا من قرب منهم. وغيرهم كل من قرب منهم أتعبوه بالمشي في بلادهم في العقائب والمرائر قاصدين الوصول بالمشقة والمحنة، فافهم.

واعلم أن النفس لها ظاهر وباطن: ظاهرها جهل، وباطنها علم، ظاهرها فرق، وباطنها جمع، ظاهرها ظلمة، وباطنها نور، ظاهرها بعد، وباطنها قرب، ظاهرها ملك، وباطنها ملكوت. ولما اجتمع فيها الضدان صارت محل نزول الأسرار والأنوار، وإليه الإشارة بسر قوله تعالىٰ: ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطَّلَاق: ١٢]، يعني: بين عالم النفس وعالم الروح. ولا يمكن أن تقبل نفس مخلوق من الأسرار ما تقبله نفس الآدمي، لأن ظاهرها مجموع فيه عالم الحسّ كله، وباطنها مجموع فيه أيضاً عالم المعنىٰ كله، وكل شيء فيه الجمع بكماله، لكن خصّ الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ نفس هذا الآدمي بإدراك حقيقة الأشياء دون غيرها كما قلناه من قبل.

واعلم أن النفس إذا كانت في محل البعد كانت صفة الجهل لازمة لها، وإذا كانت في محل القرب كانت صفة العلم لازمة لها، ومن شرفها وكمالها أن حضرة الجمع دائماً تطلبها، وحضرة الفرق. ومن كمالها أنها عاشقة أبداً معشوقة أبداً، ومهما عشقت حضرة الفرق عشقتها حضرة الجمع لأنها عروسه، وهي لحضرة الجمع عروسة بالأصالة. وأما حضرة الفرق فإنها هي متعدية عليها لا غير، إلا حضرة علم الظاهر والعمل به فإنها حضرة فرق لا محالة، لكن هي المفتاح للجمع تحوشها إليه، ولا تتمكن منها كل التمكين إلا بأعمال البواطن، لأن أعمال البواطن حقائق عند أهل الظواهر، وشرائع عند أهل البواطن. وحيث كانت أعمال البواطن شرائع نتجت عنها الشرائع. وكل الشرائع عند أهل البواطن حقائق لأن أعمالهم بالله، ولذلك كانت نتائج أعمالهم كلها حقائق. وأهل الظواهر وإن كانت أيضاً شرائعهم حقائق، لكن لا تنتج عنها إلا الشرائع لظنهم أن الأعمال كلها شرائع، قال جلّ من قائل ـ فيما نرويه عن نبينا محمد ﷺ: **«أنا عند ظن عبدي بي، فليظن ما شاء»**[1].

ومن هذا المعنىٰ كان أهل الله يزيدون إليه سبحانه بكل عمل، وبكل حال، وبكل قول، يزيدون بالجهل كما يزيدون بالعلم. ويزيدون بالنوم كما يزيدون بالصلاة والتلاوة، ويزيدون بالأسباب كما يزيدون بالتجريد، ويزيدون بالفقد كما يزيدون بالوجد، ويزيدون

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه، ذكر الإخبار عما يجب على المرء. . ، حديث رقم (٦٣٣) [٢/٤٠١] والطبراني في الكبير عن واثلة، حديث رقم (٢٠٩) [٢٢/٨٧] ورواه غيرهما.

بالذل كما يزيدون بالعز، ويزيدون بالفقر كما يزيدون بالغنىٰ، إذ ليس عندهم إلا تجلي الحقيقة في كل شيء، وحتى في نفوسهم ما تجلىٰ فيها ظاهراً فعلياً، وما تجلىٰ فيها باطناً علمياً، كل ذلك يرونه بالعلم بالله أنه مظاهرُ الألوهية، ولا يرون سواه في المظاهر الجلالية ولا في الجمالية. فبنور الله شاهدوا مولاهم، والنور المراد بالله العلم بالله. وذلك كنور الشمس بنورها ظهرت حقيقتها فصارت هي التي أظهرت نفسها. كذلك نور الحكمة ظهرت به سر القدرة، فصار العارف بالله لا يرىٰ إلا الربوبية تتجلىٰ بجمالها وجلالها في ملكها وملكوتها بحسب أسبابها. ويرىٰ هذه الأسرار بنور الله ـ كما قلناه غير ما مرة ـ لا به، إذ محال أن يرىٰ العبد مولاه ما دام بنفسه، فصار هذا العارف بالله من جهة وجوده بنفسه لا شيء قط. لأن العلم بالله صفة تكشف عن سر الذات، كما أن علم الدليل دال على وجود الذات. فالعارفُ لا يرىٰ وجوده بنفسه كما قلناه، ولكن مع الصحو يراه بربه، فهو من جهة نفسه لا شيء، ومن جهة وجوده بربه شيء كبير لا يعلم قدره إلا مولاه ـ سبحانه ـ فكما أنه لا يرىٰ وجوده حقيقة كذلك لا إرادة له، و«لا حول ولا قوة إلا بالله» حقيقة من تصرُّفه في أموره بالله، إنما يرىٰ تصرُّفَ الحق بالحق، وتجلىٰ أسرار الحقيقة ظاهراً بحسب أسماء الحقيقة.

فالعارف إذا نظر إلى الأشياء بنفسه رآها لا وجود لها، لتحقيقه بحقيقتها، وإذا رآها بربه رآها موجودة بإيجاده. فأقامه وصف العبودية مع الله بالأدب، وأقامه وصف الربوبية مع الله بلا سبب، ممتد بوصف الربوبية، محكوم عليه بوصف الربوبية، سبحان من ستر سره في أفضل عبيده، سبحان الحكيم العليم.

فصل

في أدب السائر في سيره إلى حضرة ربه

اعلم أن السائر ما دام سائراً بنفسه، ونفسه موجودة حية، وحياتها هو ظهور أوصافها الخبيثة، تارة عند غلبة طبعها على طبع الروح، والناس فيه مراتب:

فمنهم: من يكون وصفها هو الغالب عليه، وهذه أدناهم منزلة في القرب.

ومنهم: من يكون في أوسط الأمور، تارة يغلبها، وتارة تغلبه.

ومنهم: من يكون غالباً عليها، وتسرقه تارة، فإذا أراد الرجوع إلى الحضرة اشتغل بفنائها بالعلم بالله حتى تضمحل وتزول ويرجع في الحال كأنه ما حضرت بباله، بخلاف الواصل لا تظهر له صورة نفسه قط في حال ظهور وصف البشرية فيه، لأن ذلك صفة وصف البشرية لا وصفها حقيقة، كما في غيره، بل هو منزه عن هذا لفنائه في محبوبه، وذهاب توهم الغيرية بالكلية، بخلاف غيره، فافهم.

والفرق بين السائر وغير السائر: أن السائر ربما يقع منه الزلات والهفوات التي تقع من عامة الناس، لكن لا يرضىٰ عن نفسه، ولا يحب ذلك بقلبه، وينكر عند ذلك حياء من ربه، وتصير نفسه عنده بمنزلة الكلب المهجور، أو أشرّ منه، لأن الكلبَ يعلمُ هذا العاصي أنه لا يدخل النار، وهو يرىٰ نفسه إذا لم يرحمه مولاه استحق النار بفعله، فإن حصلت منه التوبة النصوح، وصحبه الندم والحزن والخوف والحياء والهيبة، ولا يعود أبداً؛ فهذا دليل على أن رحمة الله قد نزلت به.

وهذا هو الرجوع إلى الله تعالىٰ، وصاحبه مقبول.

قال جلّ من قائل: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٣٥]. أي: رجعوا خائفين إلى الله، منكسرين، حقيرين، ذليلين، طالبين العفو والغفران، وهذا رجوع السائر.

ورجوع الواصل: هو غيبة في شهود عظمة محبوبه عن الالتفات، لأن العارف لا يمكن أن يخطر بباله سواه، وهذا هو الحفظ الكبير، ودونه هو انكساره وحياؤه، وخوفه، وندمه، وتوبته، إلى غير ذلك، وهو حفظ اللسان ولولا الحفظ من الله لقلوب أحبابه ما

اتصفوا بذلك. والقلب الذي ليس بمحفوظ خراب، وهو يفرح بالمعاصي والشهوات والعوائد.

فالحفظ الأول: حفظ الله لقلب أحبابه وأصفيائه ـ جعلنا الله تعالىٰ وإخواننا منهم ـ آمين.

والحفظ الثاني: حفظ موكل بقلوب المؤمنين. والقلب موكل به الشيطان والنفس والهوىٰ، فالشيطان يزين، والنفس تتبع، والقلب يعشق، فصار القلب خراباً، والنفس ظلمة، والسلام.

فصلٌ

في أدب الفقير الصادق الذي تعلق به بعض الإخوان بعد إذن الشيخ أن يذكّر

فمن آدابه: أن يذكر لله لا لشيء سواه، وأما إن قصد بتذكيره حظاً دنيوياً ـ ولو قلّ ـ فلا يجيء منه شيء لأن الطمع من رعونات النفوس. والذي لا يتخلص من الطمع في الوصل لا يطمع لا سيما في توصيل غيره.

وينبغي له أن يترك الطمع في كل ما عند من قَدِم عليه، لأن الأخذ من يده فساد لنا وله، أي: للقابض والدافع. ولا نأخذ منه سوىٰ نفسه. ولا نقبل منه شيئاً من الأشياء، فذلك يدل على زهدنا وعلو همتنا. وبذلك يزيد هذا الزائر إلى الله تعالىٰ. إذ الدنيا عنده حبيبته، وإذا رغبت في حبيبته زهد في حبيبك وسيدك ومولاك، وهو الله عزّ وجل.

فعل همتك أيها الأخ الناصح! إن أردت أن تأخذ الناس إلى الله تعالىٰ، ولا تأخذهم بالهمّة الدنية، وإن أخذوا لا يجيء منهم شيء، فافهم، فهذا حال العارفين.

وإن أعطي لنا شيء من غير نظر له ولا طمع فيه، أخذناه وجعلناه لله لا لنفوسنا. وإن رأيناه يريد المعرفة الكاملة بإعطاء الفلوس دون النفوس صرّحنا له بأن لا تنال شيئاً منها، لأن الظلمة ليست هي مهر النور، إنما مهرها النور، وهي النفوس، لأن النفس نور، وما تظلمت إلا بالنفس والجنس.

وليست الدنيا المنهي عن حبها هي الكائنات، إنما الدنيا حب النفس للكائنات، والله تعالىٰ خلقه لحبه، أي: لينال بها حبه. والمذموم هو حبها لغير الله. ولذلك كانت الأنبياء والأولياء تأخذ الدنيا وتنفقها في الله وذلك بعد أن أخذوها من الله وأعطوها لله. فصار السوى المنهي عن الالتفات إليه هو حبك لشيء مخصوص دون الله ورسوله ﷺ. ولو أحببت الله حق حبه لأحبك كل شيء يحبه سبحانه. فتأخذ ما أمرك، وتترك ما نهاك، امتثالاً لأمره، واجتناباً لنهيه، وذلك علامة المعرفة به.

ومثال ذلك: كأمير أحبك، وأمرك بأن تدخل بعض بساتينه، ونهاك عن دخول بعض ـ مع حبه فيك ـ فالذي أمرك بالدخول فيه هو محل الذكور من أهله، والذي نهاك

عنه هو للإناث من أهله. فإن تعديت قطع رأسك. كذلك الذي نهاك عنه ـ سبحانه ـ حقائق خفية لا يطلع عليها سواه.

وأعظم ما تشتهي النفس وتحبه ما نهاك عنه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ، ورسوله ﷺ، وأعظم ما تكره ويثقل عليها ما أمرها الله به ـ سبحانه وتعالىٰ ـ ورسوله ﷺ.

والحكمة في ذلك ـ والله أعلم ـ: أن الذي أمرها به عبوديته ظاهرة، وحريته باطنة، فمن تمسك به صار عبداً ظاهراً، حراً باطناً، بخلاف الذي نهاها عنه، فإن حريته ظاهرة وعبوديته باطنة. والعبودية في الظاهر صعبة، لا تقدر عليها النفس لأنها مطموسة البصيرة، لا ترىٰ جمالها الباطني، وإنما ترىٰ جلالها الظاهري. فلذلك أيّدها الله بالعقل، والعقل أيده الله بالعلم، والعلم صفة أزلية لازمة لذاته سبحانه.

فالعقل في بني آدم عام، والعلم خاص، فمن أيد الله عقله بالعلم فهو عقل كامل لا يقبل إلا الحق، ولا يتبع إلا إياه، ومن هو كذلك هو الذي ملك نفسه عن الهوىٰ، وملكيّتها عن الهوىٰ هو عين الدواء.

هذا العلم لا بد أن يكون مقروناً بالخشية، وإلا فليس عند صاحبه إلا الصورة، والصورة صفة العلم لا ذاته. والمراد من العلم ذاته وهو العمل به، لا صفته فهو الخبر به، لأن الخبر ظن، والظن لا يغني من الحق شيئاً. قال الله عزّ وجل: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [يونس: ٣٦]، والعمل به حق، والحق أحق أن يتبع.

ولنرجع إلى القصد الذي أردناه:

وإن أراد المعرفة الكاملة بإعطاء الفلوس دون النفوس قلنا له: هذا الذي تطلب ـ يا أخي! ـ بعد موت نفسك بالذل، والفقر، والفاقة، ولا تطلب على ذلك جزاء من ربك، ولا من شيخك.

فمن ربك: أن تقوم بحقه، وذلك أن تعبده خالصاً لوجهه لا لخوف ولا لرجاء.

ومن شيخك: أن لا تطلب منه كرامة ولا غير ذلك، وإنما تطلب منه أن يعرفك بنفسك ودسائسها، ومساويها الخفية والجلية.

فإن قبل ذلك قدمناه، وإلى الحق وجهناه. وإن لم يقبل تركناه، وإلى الله خليناه، فهو الهادي لمن يشاء كيف شاء، بما شاء، بواسطة أو بغيرها: ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشورى: ١٣].

فالاجتباء بلا سبب، والهداية بالسبب. الاجتباء جذب، والاهتداء سلوك. والكل فضل من الله تعالىٰ ومنّة. فمن أدخله من باب الهداية ابتدأ بالعبودية، ومن أدخله من باب العناية ـ وهي الجذب ـ انتهىٰ في العبودية.

فإن قال قائل: المجذوب لا عبودية له.

قلنا: في غاية العبودية! وكيف لا يكون في العبودية وظاهره مثل المزبلة لا يبالي بنفسه، ولا بأبناء جنسه، وهذا من شدة العبودية لله عزّ وجل؟ ولكن قل يا أخي!: لا شعور له بها من حيث غلبة الحال على عقله. ولا فرق بين المصطلم والسالك إلا الشعور. هذا شاعر بها وليس معها في دفعه، وهذا ليس هو شاعر بها ولا بنفسه، فافهم.

ولنرجع إلى الذي أردناه:

فإن قبل ذلك قدمناه، وإلى الحق وجهناه، وإن أبىٰ تركناه. وكيف ينال العبد هذه المرتبة الشريفة بإعطاء الفلوس؟ هذا من المحال!.

ولا شك أن الفلوس بعض من النفوس، والذي يعطي البعض لا ينال الكل. قال سبحانه في كتابه العزيز: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة: ١١١].

قلنا: «أنفسهم» من الأقوياء. و«أموالهم» من الضعفاء، والله أعلم.

أو نقول: «أنفسهم» من أهل الحال. و«أموالهم» من أهل العلم والعمل.

أو نقول: «أنفسهم» من أهل العبودية. و«أموالهم» من أهل العبادة، إلى ما لا نهاية له.

انظر ـ رحمك الله ـ كيف قدم الحق سبحانه بيع النفوس على الفلوس، لأن النفوس لا يخرج عنها إلا الصديقون. والفلوس تبذل للحظوظ لا محالة. إما الحظوظ الأخروية أو الدنيوية. فكما أن أهل الفلوس الدنيوية يملكون بها الأملاك الكثيرة في الدنيا، كذلك أهل الفلوس الأخروية حين يخرجون عنها لله، يملكون بها الأملاك الكثيرة في الآخرة من القصور والحور، ورفع الدرجات، وغير ذلك.

وأما من خرج عن نفسه لله خالصاً فجزاؤه النظر في وجهه سبحانه، وجمال الجنة بعض من جماله ـ سبحانه ـ وجمال الدنيا بعض من جمال الآخرة، فافهم.

[عدم الدخول على الشيخ في ثلاث مواضع]

٤٦ ـ ومن أدب المريد: أن لا يدخل على شيخه في ثلاث مواضع:

الأول: إذا كان يأكل طعاماً ربما يكون له فيه حاجة فيؤثرك على نفسه، وربما تكون أنت غير محتاج له، فإن حالتهم رضي الله عنهم الإيثار وطبعهم السخاء، ووصفهم الكرم. أو تكون أيضاً له فيه شهوة الروح، إذ هم يزيدون بكل شهوة إلى الله تعالىٰ. وغيرهم ينقصون بكل شهوة وعادة، وهم خلاف ذلك، فأحوالهم وأقوالهم، وأفعالهم، كلها عبودية، وقد دخلوا في ذلك كله بالله، ولله، وفي الله، لا تحكم عليهم بما تحكم على أهل النفوس حاشاهم من ذلك، وقد تقدم تبيين هذا المعنىٰ، فانظرها إن شئت.

الثاني: إذا كان في موضع وحده فلا تقدم عليه، بل اصبر حتى يخرج أو يأذن لك في القدوم، وإن دخلت بإذن نفسك هلكت لا محالة، إما في حسك، أو في معناك، أو فيهما معاً بسبب سوء أدبك.

والفقير الصادق هو الذي يكون بيد شيخه كالميت بين يدي غاسله، وهل يتحرك الميت بنفسه هذا لا يمكن، كذلك الصادق، ولا يتصنع له كما يتصنع أهل النفوس لبعضهم بعضاً، بل يكون باطنه مملوءاً بتعظيمه، وظاهره متأدباً بأدبه، لا يزيد ولا ينقص، إن أشار إليه بشيء فعله، وإلا فلا. وهنا الأدب كله في حقيقته مع الله ـ تعالىٰ ـ فإن زال الحجاب وكمل الأدب علم هذا الفقير أن أدبه كان مع الله لا مع الشيخ ولا مع الأشياء.

ولا يتحقق لأحد ما ذكرناه من أسرار القرب إلا بالأدب، وإلا فلا.

وليست هذه الطريق طريقة العمل، إنما هي طريقة الأدب. ولا يدل على الأدب سوىٰ من عرف ربه، وهي الدلالة على الله تعالىٰ.

ولذلك قال مولانا عبد السلام بن مشيش ـ نفعنا الله ببركاته ـ: «من دلّك على الأدب فقد نصحك، ومن دلّك على الدنيا فقد غشك».

واعلم أن الشيخ إذا كان وحده لا يكون إلا في أربع مسائل ـ هذا هو الغالب ـ: إما في علم، أو حال، أو نوم، أو مرض.

الثالث: إذا ذهب إلى الخلاء فلا تتبعه، ولا تتوجه إلى الموضع الذي توجه نحوه، ولو كنت في غاية الحاجة إليه، ولو عرفت أن قصده غير قضاء الحاجة.

واعلم أن الأدب أفضل من النسب، لأن صاحب الأدب أخذ بمعناه عليه الصلاة والسلام وصاحب النسب أخذ بحسبه.

وهذه الثلاث من أعظم أركان الأدب التي يجب على المريد حفظها في بدايته أكثر من نهايته، لأن وقت النهاية يكون الفقير عارفاً بأصول الأدب.

وينبغي لكل من له قدم في الطريق أن ينبه على هذه الثلاث كل داخل في حضرة الشيخ.

ولا ينبغي للمريد أن يكون طبعه طبع الكلاب، يدخل على سيده أينما وجده، ويسير وراءه أينما سار، فهذا حال من لا علم له، ولا تعظيم فيه. **فالعلم كله نتائج الأدب، والجهل كله نتائجه سوء الأدب.**

وإن أردت إخلاصها من هذه الأوصاف الذميمة، والأخلاق اللئيمة، فألزمها التذلل بين الأقران، والوقوف مع جدرات الفنادق والحوانيت، والحمامات، والمطاهر، والجلوس في المزابل بعد الحفظ من النجاسة، والجلوس أيضاً في الجزارين بعد الحفظ أيضاً من الدم، والجلوس في سائر الأماكن السفلة، حتى تصير عند الجنس بمنزلة الكلب، إذ لولا الجنس ما عظمت النفس، ولا سيما التواضع حقيقة. ولا يصدق عليه اسم المتواضع إلا إذا سقطت نفسه من عين أبناء جنسه، ولا يبالي، وإلا فلا يقال فيه متواضع. إذ لا تظهر صورتها إلا في أبناء جنسها، فالشيء الذي يأتيها من عند الله من غير واسطة الجنس تحمله وتصبر، والذي يأتيها من قبل الجنس لا تطيقه إلا بعد موتها، وذهابها، وزوالها. ولذلك كانت نورانية. المعتزل بنفسه في وسط أبناء جنسه أعظم وأقوىٰ وأرق من نورانية المعتزل بنفسه في غير أبناء جنسه، إذ النورانية التي تشتعل في الجنس لا يخاف عليها، بخلاف غيرها، قلّ أن تبقىٰ على حالها، إلا إذا تمكنت كل التمكين. فألزمها الذل بين الأقران، والجلوس في الأزقة والطرق، وتحت بساط الحوانيت، حتى تصير كالكلب المهجور الذي لا مولىٰ له. ثم ألزمها العزلة عنهم حتى تستوحش منهم، ثم ردّها لهم، ثم جوّعها كثيراً، ثم شبّعها كثيراً، ثم صمّتها كثيراً، ثم كلّمها كثيراً، ثم لبّسها كثيراً، ثم عرّها كثيراً، ثم يقّظها كثيراً، ثم نوّمها كثيراً، وهكذا إلى أن تصير طوع يدك. فإن علمت منها الإخلاص، غب عنها وعن إخلاصها، وكن بعد ذلك في الحال الذي يقيمك مولاك، لا تدبر ولا تختار. واعلم أن الذي وجهه إليك هو المختار، فافهم عن الله، فهذا مقام الفهم عنه.

فصلٌ

اعلم أن الأدب وصف الروح قديم، وسوء الأدب وصف النفس حادث، فإن ظهر فيك الأدب ظاهراً أو باطناً فاعلم أنك روحاني سماوي، وإن ظهر فيك سوء الأدب ظاهراً أو باطناً، فاعلم أنك نفساني أرضي.

ومن كمال ابن آدم أن يكون حسه أرضياً. ولما كان هذا حال أبينا آدم ـ عليه السلام ـ في الجنة، وكانت الأنوار حاكمة على الأغيار، لا يعرف الأغيار ما هي وهي كامنة فيه، إذ هي من الكمال الكبير، أراد الله ـ سبحانه ـ أن يظهر كماله فيه بفضله وإحسانه، ويظهر من كماله كمالاً كبيراً لا يعلم قدره سواه سبحانه، فسلّط عليه إبليس حتى استخرج منه وصف البشرية، أحب أم كره، فكان هو السبب في نزوله من عالم الأنوار إلى عالم الأغيار. فلما اعتدل الأمر وكان ملكياً ملكوتياً في دفعة واحدة. ولذلك كان خليفة الله لأجل جمعه بين الضدين، فكل من اعتدل من ذريته صار خليفة.

فإن قلت: لِمَ لم يكن الخليفة من الملائكة ولا من الجان؟

قلنا: لأجل حكم الروحانية على الجسمانية في غير آدمي، فالاعتدال خاص بالآدمي، ببركة مولانا وسيدنا محمد ﷺ.

واعلم أن ظهور البشرية ليست هي من النقص، إذ بها ترقى هذا الآدمي إلى مقام لا يدركه أحد سواه في القرب منه سبحانه. إنما نسبت إلى النقص من حيث الوقوف معها، والاشتغال بها عن الله تعالى، لأن هذا الآدمي أودع الله فيه من السر ما لم يودعه في غيره. أودع الله في نفسه الحب الكبير، والشوق الكبير، والعشق الكبير، والجمال الكبير الذي هو في سائر الأشياء. فإذا غفل عن كماله صار عاشقاً للأشياء لجهله بقدره، وإذا اشتغل بكماله صارت الأشياء عاشقة له، لا تشاهد فيه إلا جمال الله الكامل الذي أودعه فيه. ولهذا الجمال الكامل سجدت الملائكة ـ عليهم السلام ـ، لهذا كان الخليفة من بني آدم ـ والله أعلم وأحكم ـ ولم يكن من غيرهم.

والخليفة لا يكون من ابن آدم إلا بعد البلوغ، وقيل: بعد الأربعين سنة، لأنه يكمل العقل والحب فيه، ولا يكمل قبل ذلك إلا في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

والخليفة هو الذي لا تشغله الشرائع عن الحقائق، ولا الحقائق عن الشرائع في دفعة واحدة.

ولم تكن خلافة أبينا آدم ـ عليه السلام ـ حين أهبطه سبحانه إلى الأرض، بدليل قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البَقَرَة: ٣٠]، ولم يقل «في السماء» لأن السماء تجلي جماله ـ سبحانه ـ فيه غالب على تجلي جلاله، والأرض تجلي جلاله فيها غالب على تجلي جماله، والآدمي بين السماء والأرض، وذلك لزيادة كماله، وأنه ليس موضعه الأرض ولا السماء، وإنما موضعه عالم المعاني الذي أحاط بسائر الموجودات.

فاعرف قدرك أيها الإنسان! ولا تكن عندك نسيان، وقل: «الله، الله، الله» حتى تفنىٰ عن سائر العوالم وتتجلىٰ لك في نفسك أسرار العالم، فترىٰ سائر الموجودات سراً من أسراره، وذلك السر بعض من سرك، فافهم. ولا تصل هذا السر إلا بالأدب.

والنفس لقوتها وكمالها لا تتأدب لجهلها بخالقها، لأنها تشير لكمالها الأول، وأنها تحكم بالله ولا يُحكم عليها، ولم تدرِ أنها خارجة من عالم المعاني، محجوبة عن خالقها ـ سبحانه ـ بوصفها الأرض الحادث فيها بقدرته، وإرادته، لحكمة أرادها الحق سبحانه.

والحكمة التي أرادها منها ـ سبحانه ـ هي أن تشهد له بالوحدانية، وتتأدب بكمال الأدب مع الألوهية، ولا تنسب لنفسها حولاً ولا قوة، وذلك هو شرفها، وقد كانت قبل جهلها بالله في عالم المعاني متأدبة بكمال الأدب، ولكن ذلك موضع القرب لا يظهر أدبها. والأدب يظهر في موضع البعد، وهو عالم الحس، عالم الحجاب، عالم الفرق. وتجلى بها الحق تعالىٰ في صور كثيرة، وكل صورة منها قالت: أنا. فللّه الأمر من قبل ومن بعد، كيف يكون معرفتها إلا بفضله وإحسانه؟ ولذلك جعل الله الوسائط لها في سبب معرفته وعبادته:

فمن عرفه معرفة العيان، كان مقامه مقام الأدب.

ومن عرفه معرفة البرهان، كان مقامه مقام العبادة.

فصاحب العبادة أدبه ظاهر غير باطن. وصاحب العبودية أدبه ظاهر وباطن، لأنه عرف نفسه، ومن عرف نفسه عرف ربه، ومن عرف ربه فني في محبته، ومن فني في محبته زال عن حوله وقوته، وتأدب معه سبحانه بكمال الأدب. وهذه علامة النفس الروحانية التي تخلّصت من رؤية السوى ولذلك صار الأدب طبعها، لأن الأدب قديم وهو وصف الروح، وما خرجت هذه الروح من الأدب إلا بسبب بعدها كما قلنا، وبسبب سوء أدبها سميت نفساً، وإذا رجعت لأصلها: سميت روحاً. وهي السر المصون الذي لم يطلع عليه أحد سواه. وأهل العلم بالله يشيرون إلى سرها ولا يصرحون إلا عند غلبة الحال، وذلك حياء من الله تعالىٰ، إلا حيث قال جلّ جلاله: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسرَاء: ٨٥].

معناه ـ والله أعلم ـ لا يصرحون بحقيقتها لأنها من أسرار الألوهية، وكشف سر الألوهية كفر: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

معناه ـ والله أعلم ـ: ما علمتم من علمها إلا قليلاً بالنسبة لعلم الله بها، ورسوله ﷺ.

فصار الأدب قديماً، وسوء الأدب محدثاً ـ كما قلناه ـ، فالأدب قديم يتعلق بالروح، ويرجع إلى وصف الربوبية، وسوء الأدب حادث يتعلق بالنفس، ويرجع إلى وصف العبودية.

وإذا أراد الله أن ينصر عبده أمده بوصف الروح فيكون طبعه حسن الخلق مع كل مخلوق. وإذا أراد الله أن يخذل عبده أمده بوصف النفس، فيكون طبعه سوء الخلق مع كل مخلوق.

والأدب كله من مشاهدة الحبيب، وذلك كأصحاب الملك الدنياوي، تراهم إذا شاهدوه تأدبوا معه قدر استطاعتهم. فمنهم من يريد الجلوس معه، وذلك لشدة أدبه. ومنهم تارةً بتارة، بحسب قربهم منه.

وكذلك أهل حضرة الحق الذي هو مالك الملوك ـ سبحانه وتعالىٰ ـ فهم أيضاً بحسب قربهم منه.

وقرب أهل الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

قرب الأنبياء: كشهود الشمس بلا سحاب.

وقرب الأولياء: كشهود الشمس في السحاب اللطيف.

وقرب الصالحين: كشهود القمر في السحاب الكثيف.

وفوق كل ذي علم عليم، ومنتهىٰ العلم إلى الله العظيم.

[عدم الزواج قبل الرسوخ والتمكين]

٤٧ ـ ومن أدب المريد: أن لا يتزوج قبل الرسوخ والتمكين، لأن حب النساء من أعظم السموم، ومن أكبر الهموم، ولا يتزوج إلا إذا خاف على نفسه الفتنة، أو وقوعه في الحرام، وهذا واجب عليه. وربما إن كان بعيداً عن شيخه فلا يخبره لئلا تطول به الفتنة، فينقطع عن الله سبحانه. وإن كان معه حاضراً أو قريباً فليبح بما في قلبه، ولا يكتم عن شيخه شيئاً، **لأن الحياء في الحق بدعة عظيمة، ومن البدعة الكبيرة الحياء من الخلق، ولو كان الحياء من الخالق ـ سبحانه ـ لما ستر من عيوبه شيئاً، فكيف والشيخ طبيب، وهل يكتم علته عن الطبيب! هذا لا يناسب الصدّيق.**

ولا شك أن التزوج حصن ثقيل على السائر، والسائر كله ضعيف، لكونه مملوكاً في يد الأحوال.

وإن رأىٰ من نفسه صبراً فلا بأس بستر ذلك عن الشيخ، وإن أشار له الإشارة الخفيفة بقدر الحال الذي هو فيه فلا بأس.

واعلم أن المملوك في يد الأحوال لا ينبغي له إلا التخفيف من كل شهوة أباحها الحق ـ سبحانه ـ لعباده المؤمنين.

وإن كان قوي الإرادة ينبغي له أن يتزوج إذا أراد، ويتركه إذا أراد، لأنه لا يشغله عنه سبحانه شاغل، لصدقه في طلب مولاه، وتعلق همته به سبحانه.

وينبغي للسائر الضعيف مثلي أن يقطع كل علقة وشهوة، مباحة كانت أو غير مباحة، لأن طريق الشاذلية طريق البسط، فمن تمادىٰ إلى الشهوات خرج عن القصد لا محالة، لأن البسط مع جود الشهوات وحياة النفس تؤدي بصاحبها إلى المكروه والمحرم. ومن وقع في شيءٍ من ذلك مغلوباً بالسكر، فهو المطرود إلا إذا نزل عنه البسط، ووقع له الحزن والندم، والخوف، والحياء، ونوىٰ أن لا يعود، وإن قُدِرَ عليه عاد وأدركه هذا الحال فهو من الناجين. وإن عاد ولم يجد من الحزن والفقر والخوف والحياء والهيبة والتوبة شيئاً فهو من القاسية قلوبهم من ذكر الله، نسأل الله السلامة، يا مولانا! لنا ولإخواننا، ولسائر المؤمنين أجمعين، من قساوة القلوب وغشيان الذنوب، يا أرحم الراحمين، يا رب العالمين!.

واعلم أن سطوة الأنوار عند الاستشراف تغلب الرجال الصادقين، فضلاً عن غيرهم، إذ المغلوب للأنوار قهراً عليه معذور ـ كما قدمناه ـ ولا يعذر غير المصطلم وقت اصطلامه في سوء أدبه. وأما إن خرج عن الاصطلام وحمله البسط على سوء الأدب فإنه يؤدب بوضع الحجاب بينه وبين محبوبه، وهذا من العقوبة الكبيرة، وهي سلب البواطن من الأنوار، وتسليط النفس عليه في عالم الأغيار.

وأما إن عوقب الفقير ظاهراً بالأمراض، وإهانة الخلق، والفقر، وغير ذلك، فليحمد الله ويثني عليه بالشكر إذ ذاك، عناية منه سبحانه ولطفه بعبده.

وقد اشتهيت يوماً شهوة مباحة، وشرهت نفسي إليها، وفعلتها، وأنا أعلم أن نفسي شارهة لها، ومحبة فيها، فما بقيت إلا قليلاً حتى عوقبت بفعلها، وأدبني مولاي ظاهراً لا باطناً، والحمد لله على الرفق.

ولا ينبغي للمريد أن يتتبع الشهوات المباحة بنفسه، فكل ذلك بُعد عن ربه، لأنه طالب الخصوصية الكبرىٰ، وحب الشهوات مع ثبوت النفس حال الغافلين، لأنه من أحب شيئاً كان له مملوكاً أحب أم كره. والملكية لا تصح حقيقة إلا لله سبحانه، لأن النفس إذا غلبت بطبعها على الروح كانت كاشفة للجمال العاري، والجمال العاري مثله عند المحققين: ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ [النور: ٣٩]. كذلك النفس تحب الأشياء، فإذا ملكتها افتقرت منها وطلبت غيرها، ولم تزل هكذا تعشق الشيء فإذا ملكته زهدت فيه، لأن الغنىٰ لا يكون إلا بالله لا يكون بالمخلوق قط.

والروح إذا غلبت بطبعها عن النفس، تركت النفس وما أحبت، واشتغلت بطلب الجمال الحقيقي، فتراها تنظر لباطن الأشياء كما تنظر النفس لظاهر الأشياء، فلم تزل تنظر وتجدد النظر حتى تنصقل عين مرآة قلبها، فتنطبع سائر الموجودات في مرآتها الصافية، فلا تطلب بعد ذلك شيئاً إلا الثبات في النظر والبُعد عن الكدر، ولا يكون لها بعد ذلك سبب إلا مداومة الأدب.

ولنرجع للذي أردناه:

ولا ينبغي للفقير الصادق أن يتبع شهوة المباح ـ كما قلناه ـ حتى يتخلص من نفسه، فإذا تخلص يأكل من المباح ما شاء، ويلبس من المباح ما شاء، ويركب ما شاء، ويتزوج ما شاء، لأن النفس التي كانت تشتغل بذلك عن الله ماتت، وفنيت، وذهبت، ولم يبقَ منها شيء. ومعنىٰ موتها رجوعها روحاً بغلبة طبع الروح عليها، حتى أخذتها وملكتها، وطهرتها، وجعلتها أهلاً للحضرة.

والنفس في الحقيقة هي الروح، لكن تاهت عن سرها، وبعدت عن ربها، وحجبت عن قدرها وشرفها، فسميت نفساً ـ كما تقدم غير ما مرة ـ. ولا يشك في هذا الأمر إلا من لا معرفة به بعلم الذوق. ومن لا ذوق له لا يفرق بين النفس والروح والسر.

والنفس تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

إذا كانت في مقام الحجاب الكثيف سميت: «أمّارة».

وإذا تلطف الحجاب عنها سميت: «عقلاً» لأنها تعقل عن الله، والعقل موضع الطاعة لله عزّ وجل.

وإذا زاد في التلطيف سميت: «قلباً»، والقلب موضع الخشية، والزهد، والورع، والحلم، والصبر، وغير ذلك من سائر الأحوال والمقامات.

ثم الروح أيضاً تنقسم إلى ثلاثة:

فإذا استشرفت علم العلم بالله سميت: روحاً عالمة.

وإذا وصلت سميت: روحاً واصلة.

وإذا تمكنت، سميت: روحاً كاملة، وسراً من أسرار الله.

ولنرجع إلى القصد الذي أردناه:

واعلم أن شهوة المباح هي التي منعت الفقراء والعلماء والصالحين عن السير إلى حضرته سبحانه. والسير لا يكون إلا بعمل الأخلاق وإلا فلا سير.

ولا تنظر - أيها الأخ! - لشدة العلم، وانظر للإخلاص إن حضر، فأقل العلم وأقل العمل يكفي، وإن غاب فالله يعظم الأجر في صاحبه.

والإخلاص أمر قلبي لا قالبي، وصاحبه لا تجده إلا كالأرض، فإن وجدت فقيراً أو عالماً، أو عابداً منكسراً، حقيراً، ذليلاً، فقيراً، ضعيفاً، متحققاً بوصفه، فاعلم أنه نازل في مقام الإخلاص. وإن وجدته متكبراً غنياً بعلمه أو بعمله، أو بدنياه، أو بنفسه، فاعلم أنه من أهل الإفلاس، لا يعرف الإخلاص ما هو؟.

والإخلاص هو المأمور به في الكتاب والسنة. قال جلّ من قائل: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البيّنة: ٥]. والإخلاص قلّ من يتكلم عليه في زماننا هذا.

والواجب على علمائنا أن لا يتكلموا اليوم إلا على الإخلاص، لأن العلم كثير، والعمل كذلك، والإخلاص أقل القليل؛ وذلك لغلبة الباطل والهوى على الحق، والنفوس على الأرواح، والجهل على العلم، والدنيا على الآخرة، والظلمة على النور، وقد اتفق الناس كلهم على الدنيا، ولا ينهىٰ عنها عالم ولا صالح، وهذا من علامة تمام الدنيا.

وقد كانت العلماء والصالحون تموت على الدين ولا ترجع عنه، ولا يخافون في الله لومة لائم. واليوم أعطي لهم الدنيا، لا يتكلمون على الحق، وإن رأوه وعرفوه، وحققوه.

فمثل من هذا حاله كالكلب إن خفت منه أعطه ما يشغله عنك واذهب، ولا تخف، ومن كان عاقلاً فليتأمل فيما قلناه، هل هو حق أم باطل؟ فالله يمن علينا وعلى أمة رسول الله ﷺ بالقبول منه سبحانه بمحض كرمه، إنه جواد متفضل.

ولا ينقطع أهل الإخلاص ولا من يتكلم عليه إلى قيام الساعة، إذ لولا هو وأهله لذهب الله بالجميع.

ولنرجع للذي أردناه:

اعلم أن الحجب التي بيننا وبين ربنا هي شهوات نفوسنا لا غير، فمن رفض الشهوات وترك الدعوات، ورد نفسه عن الهفوات، ذاق الحلاوات.

واعلم أن النفس قبل طبعها بالشهوات نورٌ محض كالنهار الذي لا سحاب فيه، فإذا دخلها بعض الشهوات نقص من نورها بحسب ما ينقص السحاب من ظهور ضوء الشمس. فإذا تراكمت الشهوات لم يبقَ من نورها إلا أثره، فإذا زادت رجعت ليلاً مظلماً: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥].

وسبب ورود النار: البعد عن الجبار. وسبب ورود الجنان: القرب من المنان. فمن أحبه مولاه منعه من الشهوات والدعوات اختياراً أو قهراً. ومن أبغضه أعطاه الشهوات، وأطلق على لسانه الدعوات، هاتان الحالتان ـ أيها الإخوان! ـ من أعظم الآفات.

[عدم الاستعلاء على الشيخ]

٤٨ ـ ومن أدب المريد أيضاً: أن لا يستعمل داراً، ولا لباساً، ولا فراشاً، ولا بهيمة، ولا بلدة، ولا غير ذلك، أحسن من دار شيخه، أو لباسه، أو فراشه، أو بهيمته، أو بستانه مثلاً. فالمريد الحقيقي ينزل نفسه منزلة العبد الذليل، وينزل شيخه منزلة السيد الجليل.

ولا ينبغي أن يقتدي به في الأحوال العلويات، ولا في الأحوال السفليات، إلا بإذنه في شيء. نعم، تقتدي في أخلاقه في الأحوال، وفي الأقوال على ما يأمرك به وينهاك عنه، وإن زدت تقع في سوء الأدب لا محالة. إذ الشيخ غيور على مقامه، لا يحب من يدّعيه بنفسه، وإن ادعاه بربه فالواجب عليه ستره من شيخه أدباً معه، وخوفاً منه، فالمدعي له بنفسه مثله كمثل رجل أصبح يدّعي المملكة وليس له جيش ولا مال، فسمع به الملك، فقطع رأسه! كذلك الأمر وهذا أغير وأغير، لكونه ملكاً ربانياً.

وقد كنا مع شيخنا ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ بحضرة فاس ـ عمرها الله بأهل العلم والصلاح، وأخلاها من أهل الجهل والطلاح ـ وكان شيخنا رضي الله عنه يتزيا بزي علوي، فكان رجل من أصحاب شيخه ـ رضي الله عنه ونفعنا ببركاتهم أجمعين ـ ناقص التربية، ناقص الأدب، فتزيا بزي من غير إذنه، فدخل على الشيخ في محفل فانقبض الشيخ من ذلك، فأخذته الغيرة في نفسه على حاله، فهلك أخونا في الله في الحين، فمات ـ رحمه الله تعالى ـ.

وأما السفليات؛ فكان شيخنا رضي الله عنه ونفعنا به حلق لحيته بوارد قوي رباني، وجعل في ظاهره من الأحوال ما يناسب ذلك، فلما رآه بعض الإخوان، تزيا بزيه، فانقبض الشيخ، وكان يكرر ذلك مراراً على جهة الإنكار عليه، وسوء الأدب من ذلك الأخ على الشيخ.

وهذا ومثله ـ منا ومن إخواننا ـ، هو الذي حولنا على هذا الكتاب، وذلك كله قليل في حق الله، ومن يعرفك به، والله ما خلق الله الخلق إلا لأجل الأدب معه لا غير.

والواجب على المريد الذي يريد الدخول إلى حضرة الله تعالىٰ على يد شيخ عارف محقق، سالك، مجذوب، ألقاه الله به، وفتح له ـ سبحانه وتعالىٰ ـ به، أن يجعله قدوته، ولا يتحرك ولا يسكن إلا بإذنه، لا ظاهراً ولا باطناً.

فإذا كان المريد للشيخ مريداً على هذا الوصف، كان الشيخ للمريد شيخاً. ولا ينقطع وصف البشرية ـ الذي هو محل سوء الأدب ـ بالكلية عن الولي الكامل، وإذا ظهر شيء منه فحمله الجوارح، والقلب لا يصيبه ذلك، وإذا أصابه شيء ذهب في الحين، وذلك لسكون النور في القلب. لأن الولي برزخ بين الملك والملكوت، لكن الحكم للملكوت على الملك، لأن الملكوت يأخذ البواطن، ويرد الظواهر، والملك يأخذ شيئاً من الظواهر ولا سبيل له على البواطن، وإن هجمت عليه الظلمة على النور دفعها النور سريعاً، لأنه مالك لقرية القلب.

وقد يصدر عن الولي شيء تحسبه خارجاً عن الشرع، وهو في غاية الصواب لأن شريعة العارف هو ما يبرز من عنصر القدرة ـ لفهمه عن الله ـ، إلا أنك لا تعرف تأويل ذلك. والتسليم له فيما يبرز منه ـ إن كنت مقتدياً به ـ أولىٰ، وإن لم تكن مقتدياً به فلا بأس بسؤاله، وإن أشار عليك بحكم خفي فاقبله، ولا ترده إلا إذا تحقق لك أنه ليس بولي، فلا تقبل منه شيئاً إلا ما وافق الشرع، وإلا فلا، والسلام.

[عدم التنخم في حضرة الشيخ]

٤٩ ـ ومن أدب المريد أيضاً: أن لا يتنخم في حضرة الشيخ كما يفعله بعض من لا معرفة له بالآداب، إلا إذا كان به علة غالبة عليه، لا يقدر على ردها، فذلك معذور في سوء أدبه.

ويجب على الإخوان الصبر على من به شيء من ذلك، سواء كان في حضور الشيخ أو في غيبته، ولا يكلمونه على ذلك، ولا يشيرون إليه، ربما يكون كارهاً لذلك،

فيزيدونه على ما به. والمؤمن هو الذي يوسع على أخيه ولا يضيق عليه، ويستر عنه مساويه حتى يرىٰ فيه أهلية القبول فيشير له بذلك.

وقد يقع سوء الأدب مع الإخوان بعضهم مع بعض أكثر مما يقع منهم مع عامة الناس، والعلة في ذلك أن الفقير إذا خرج للعوام استعد للمعرفة فيهم والأدب معهم، فمثله كالمجاهد الذي يخرج لقتال العدو، يتقلد آلات حربه فيخرج، وإذا رجع إلى أصحابه أمن من العدو فينزع آلات الحرب عنه كذلك الفقير، وهذا مجرب صحيح.

ولا شك أن من أساء مع الإخوان فلا ينجح منه شيء، ولا يصفىٰ له الأدب مع العامة، ولا تصفىٰ له نظرتهم فيه، فإن الجنس واحد. وأصعب المعرفة في الإخوان، وكذلك الأدب أصعب ما يكون فيهم، لأن فيهم ـ أيضاً ـ من يحسدك ويبغضك ويحاربك، مع قلة الاستعداد لمعرفة الله فيهم كما قدمناه. وهذه الحالة صحيحة جربناها غير ما مرة؛ نعرف الحق في العموم، ونجهله في الخصوص، وهذه ليست بمعرفة. ونقول أيضاً: إخواننا عارفون، وكيف يسيئون الأدب علينا؟ هذا لا يناسبهم.

وهذه الحالة من أقبح ما يكون، رأينا سوء أدبهم، وهذا كله منا لا منهم، فمن الواجب علينا أن نعرف الله تعالىٰ فيهم قبل معرفته في غيرهم، ونحمل إذايتهم قبل حمل إذاية غيرهم، ولننظرهم بالتعظيم قبل أن ننظر غيرهم. ونكرمهم قبل أن نكرم غيرهم، إلى ما لا نهاية، لأنهم أهل القرب، فسوء الأدب معهم أقبح من غيرهم بكثير. ولا يصفىٰ للفقير نظراً، ولا يطمع فيه ولو عمل ما عمل حتى يصفىٰ نظره في إخوانه، الكبير منهم والصغير، والعالم والجاهل، والضعيف والقوي.

فإن قلت: قد رأيناه مثلاً تكبر، وتجبر، وبخل، وأساء الأدب على الشيخ مثلاً، أو على الإخوان، أو ما أشبه ذلك فكيف أن تصفىٰ النظرة فيه؟.

قلنا: لو كنت مشتغلاً بذكر الله تعالىٰ بقلبك وجوارحك لما رأيت منه شيئاً سوىٰ المحاسن، ولو كان غاية الإساءة. حاشا من هو صادق في طلب مولاه، تارك لهواه، ناظر لأوقاته، معتنٍ بصفاء قلبه، معتمد على فضل ربه، ناظر لأنوار قدسه، أن يرىٰ من أحد شيئاً أو يرىٰ أحداً هذا هو المحال.

انظر إلى الشيوخ العارفين ـ نفعنا الله ببركاتهم ـ تصحبهم الناس بسائر العلل والقبائح، ولا يشتغلون بأحد سوىٰ تصفيتهم منها، بالإشارة اللطيفة، ولا يزالون معهم بالحلم، والصبر، والحنانة، والشفقة، حتى يطهروهم من سائر العلل.

ومن هذا المعنىٰ كان الواجب على الداخل في زمرتهم أن ينظرهم بعين التعظيم والإجلال. ولا ينظرهم كعامة الناس، إذ بقدر التعظيم والإجلال يكون الأدب. وما أقبح حال الذي يكون كالبهيمة لا يبالي بكل ما يفعل في حضرة أهل الله تعالىٰ نفعنا الله ببركاتهم. ومن كان هذا حاله ينبغي له أن يدفع لسياسة البهائم حتى تطيب نفسه، وتخمد نار بشريته، ولا يرجع لحضرة الشيخ قبل إذنه، لأن رعاية الحمير والبغال وغير ذلك من أعظم العبودية، وهي تصلح لأهل النفوس الطيبة، سيما أهل النفوس الخبيثة من باب أولىٰ وأحرىٰ. من أذن له في رعايتها وأشنع فهو المتكبر لا يصلح لشيء، كيف وأهل الفضل هم يطلبونها، وأفضل الأوقات عندهم إذا وجدوا ذلك عند شيخهم.

فهذه الطريق ليست هي طريق القول، بل هي طريق الفعل. لو كانت الخصوصية بالقول لكان أهل البلاغة من أهل الظاهر أهل لها، والله لا يكون أهل لها إلا من باع نفسه لأهل الله، وكانت بمنزلة الكلب، لا يرفعها فوق قدرها، فموضعها المزابل، وأكلها العظم، ولباسها الخرق البالية، وكلامها الصمت، ونومها الفكرة، وضحكها الحزن، وصابونها الجوع، وطيبها الذكر، ومشيها الحضور، وجلوسها الرضا والتسليم، وشرابها العلم، وطعامها الحلم، ودارها الذل، ومالها الفقر، وحرثها التواضع، جعلنا الله وإخواننا والمسلمين ممن وفقهم الله توفيق العارفين به، آمين، إنه سميع مجيب.

[عدم التكبر على أحد من إخوانه]

٥٠ ـ **ومن أدب المريد:** أن لا يتكبر على أحد من الإخوان رآه أعلىٰ منه مرتبة، وأحب منه عند الشيخ، فإن الكبر هو أول ما عصي به الله. وأول ما عبد الله بالتواضع، بدليل قوله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وأما كون الكبر أول ما عصي به الله، بدليل قوله تعالىٰ: ﴿أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٣١]. فمن أحبه الله ألهمه التواضع والذلة والانكسار، والحزن. ومن أبغضه الله ألهمه الكبر، والكبر هو أول أصل الخبائث والرذائل كلها، وهو قلب حب الدنيا، وهو دابة إبليس، فمن كان عنده حبيباً أركبه على دابته، وسار به إلى أين يريد، ولا سبيل للمتكبر على فعل الخير قط.

ومن هذا المعنى سكن العارفون بالله تعالىٰ في بلاد التواضع، لأنه مطية الرحمٰن بها يبلغ أحباؤه وأصفياؤه إلى حضرته العالية، تراهم رضي الله عنهم أينما توهم لهم كبر في نفوسهم تركوه ومزقوا أعراضهم بين أقرانهم محبة في ربهم، وصدقاً في طلبه، حتى وصل بعضهم إلى المكروه.

قال بعضهم: وقد استعملوا أشياء منكرة في ظاهر الشرع، ورأوا ذلك جائزاً لهم أن يفعلوه ويأمروا به، وهذا ظاهرٌ لا يخفىٰ على أهل الصدق، فافهم.

ولا شيء أنفع من هدم الكبر وقلع عروقه من السؤال في الأسواق والحوانيت؛ فإنه يجهز على النفس، ويقطع أوداجها في ساعة واحدة، وإذا ماتت النفس حييت الروح فتتصف حينئذ بالأوصاف المحمودة كالتواضع والخشوع، والسهولة، والليونة، والذلة، والمسكنة.

وقد أخذ شيخنا رضي الله عنه السؤال عن شيخه، وأخذه شيخه عن شيخه، وهو ـ والله ـ من أجلِّ ما يكون أن يطوف الفقير نفسه بين الأزقة في وسط الأقران وبين الحوانيت، وغير ذلك.

لكن لا يصلح هذا السؤال إلا لأرباب الصدق الذين لا شهوة لهم في المال، ولا في غيره. وأما إذا استعمل لأجل الحظ فحرام بإجماع أهل المعرفة لأن مرادهم به قهر النفوس، والتذلل لأبناء الجنس التي لا تستطيع النفس النظر إليه بعين التواضع فضلاً أن تذلل له حساً، وهذا ـ والله ـ هو التواضع الحقيقي لمن عرفه. والله ما دخله أحد بهذه الحالة إلا وفتح عليه في العلوم اللدنية، والأخلاق المحمدية، في مدة قريبة، لكن تعلل في زماننا بعلل كثيرة، حتى استعملوه لجمع الفلوس لا لقتل النفوس، ولذلك قال صاحب المباحث:

وما على السائل من تأويل إلا لقهر النفس والتذليل

واعلم أن كل من تخلص من بواقي الكبر، فاضت عليه العلوم، وترادفت عليه الفهوم، وحيي قلبه بالأسرار، وظهرت على جوارحه السكينة والوقار، وخاف منه كل عنيد وجبار، والسلام.

[عدم الجلوس بين يدي الشيخ على غير طهارة]

٥١ ـ ومن أدب المريد: إذا أراد الجلوس بين يدي شيخه بنفسه، يتوضأ لجلوسه بين يدي محبوبه، لأن ذلك الجلوس هو مع الله لا مع الشيخ، فذلك المجلس هو من أعظم الذكر، والله عزّ وجل يقول: **«أنا جليس من ذكرني، وأنا معه حين يذكرني»**[١] الحديث.

---

(١) هذا الحديث سبق تخريجه.

وقد نهىٰ رسول الله ﷺ عن أكل ما فيه الرائحة الخبيثة كالثوم وما أشبه ذلك، ونهىٰ ﷺ عن خروج الريح في المسجد، لأن ذلك يؤذي الملائكة، لأنهم يحفونها بأجنحتهم ـ عليهم السلام ـ ويخرجونها من المسجد، تعظيماً لبيت الله سبحانه وتعالىٰ.

والمساجد عظمت من أجل المؤمن الذاكر، فهو في الحقيقة أعظم منها، وقد استشرف رسول الله ﷺ يوماً على مكة شرفها الله، وقال: **«لا إله إلا الله، ما أطيبك وما أطيب رائحتك، وما أعظمك، وما أعظم رائحتك، والمؤمن أعظم حرمة منك»**[1]، أو كما قال ﷺ.

فإذا كانت ملائكة الله عليهم السلام يحفون المساجد التي يذكر فيها الله، فما بالك بمجلس أولياء الله تعالىٰ الذين هم روح المساجد، وبيوتهم قلب الرب سبحانه وتعالىٰ كما في الحديث: **«لن يسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن»**[2]. أو كما قال سبحانه وتعالىٰ.

فافهم يا أخي! وعليك بالتعظيم لسائر **أهل الخير** أحياء كانوا أو أمواتاً، تنل حاجتك سريعاً.

وقد مَنَّ الله علينا في حال صغرنا بالتعظيم لأهل النسبة والنية الصالحة، ففتح الله علينا فتحاً كبيراً، لله الحمد، وله المنّة. ومن أعظم هذا الفتح أن ألقانا الحظ الأوفر والسر الأكبر.

واعلم أنه ينبغي للمريد أن يتحرز جهده من كل ما يستقذر، وليتصفَّ قبل دخوله لحضرة أهل الله كما يتصفىٰ لدخول المسجد، ومن كانت به وجعة أو مرض من أمراض البطن، أو غيره، فلا يرده ذلك عن الجلوس في حضرة أهل الله، إلا أنه ينبغي له أن يستفرغ منها جهده قبل الدخول عليهم. ومن هذا حاله فلا حرج عليه ولا عليهم في قيامه من مجلسهم إذا غلبه الحال.

والقيام من مجلسهم مذموم من غير عذر، كما رأيت بعض إخواننا يقومون من غير عذر، وذلك لقلة التربية، وقلة التعظيم.

---

(١) هذا الحديث سبق تخريجه.

(٢) رواه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب، حديث رقم (٤٤٦٦) [٣/ ١٧٤] والهروي في المصنوع [١/ ٢٩١] وأورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (٢٢٥٦) [٢٥٥].

ولا ينبغي أن يقوم إلا لضرورة أو لحاجة الشيخ والوالدين. ومن قام لعلة أو لضرورة وتخطى رقاب الإخوان، فالواجب عليهم أن يحملوا ضرورة غيره من سائر المسلمين، سيما في ذلك الوقت الذي هو محل الكلام على الأدب، إذا لم يكن الفقير على بصيرة في حضرة الشيخ، فذلك دليل على طمس بصيرته. واعلم أن افتضاح النفوس في دعاويها إنما هو عند التعرف.

وينبغي للفقير الصادق أن يكون فعله أكبر من قوله، وذلك لئلا يختبر فيما ادعاه فيفتضح.

ومن الواجب على المريد أن يحمل إذاية أخيه بقلبه وجوارحه أكبر من إذاية غيره. ولا بأس للأخ الناصح أن يظهر أثر الغضب باللسان دون القلب على من هو مسيء، إذ كثير من النفوس لا تتزيا بالإحسان إلا قليل من أهل النفوس الزكية، وأما أهل النفوس الخبيثة فلا يسيرون إلى الله إلا بما تكره نفوسهم ولكن الصادق في طلب مولاه، يتحمل عليها سواء أحبت أم كرهت، وشدة صعوبتها لذلك من غلظة الحجاب، وغلظة الحجاب من شدة حب الدنيا.

وقد يظهر لي ـ والله أعلم ـ أن بعض النفوس طبعها صعب بالأصالة، ويظهر ذلك في بعض الصبيان، فمنهم اللين، ومنهم خلاف ذلك، وكيف ما يكون حاله في البداية يكون في النهاية إلا إذا أيده الله، ورزقه مؤدباً يؤدبه في حال صغره، أو في حال كبره.

والأدب ينفع في النفوس كيفما كانت في حال صغرها أو في حال كبرها، لأن الأدب نور، كما أن سوء الأدب يؤثر فيها في حال صغرها، أو في حال كبرها إلا إذا سبقه الأدب. وإلا فالنفس على الفطرة، مثل الأرض تنبت كل ما زرعته فيها وإن زرعت في مرة واحدة أصنافاً عديدة، لكن الحكم للغالب، فازرع المليح ولا تزرع القبيح. «ثمار ما قد غرست تجني» وذلك لشرف هذه النفس تقبل كل شيء ولا ترد عليك شيئاً، إلا إذا استنارت بنور الروح الروحاني، فإنها لا تقبل منك إلا النور وهو الحق.

إن الله هــو الــحــق: ﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النور: ٣٥].

ولو كانت هذه النفس الشريفة باطلة لما قبلت من الحق شيئاً، وحيث كانت حقاً عادت تقبل الحق.

فإن قال قائل: كيف وهي تقبل الحق والباطل؟

قلنا: لتطبّعها بالشهواتِ والعوائد انطمسَ عينُ بصيرتها، فظنت ـ بجهلها ـ أن الباطل هو الحق. انظر إذا تنورت هل تقبل غير الحق؟ حاشاها؛ وهي من أمر الله سبحانه وتعالىٰ، كما قال جلّ جلاله: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ [الإسرَاء: ٨٥]، ثم قال: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسرَاء: ٨٥]. يعني: في معرفتها، لأنها من أمر الله، وأمر الله تعالىٰ الفهم يعطيه فيه لخواص عباده ما تطيقه عقولهم النورانية، وأسرارهم الربانية. لأن النفس من أشرف المخلوقات، والعلم الذي أعطاها أيضاً من أشرف الشرف، ولا يزال العلم يقودها في الطريق، والعقل سراجها، به تمشي حتى تبلغ حقيقتها، فتتحقق بحقيقة الحقيقة. فعلم حق اليقين لا وجود لها مع وجوده، ولا علم لها مع علمه، ولا نور لها مع نوره، فترجع خائفة سريعة إلى مقام العبودية، فيكون ظاهرها يشير نحو العبودية، وباطنها متعلق بوصف الربوبية، وما أشرفها حينئذ وما أعز قدرها في الوجود! فافهم.

ومن أدب الفقراء مع بعضهم بعضاً: الإحسان، والكلام اللين، والمودة، سيما عند زيارة بعضهم بعضاً، فإنها تتأكد عليهم شرعاً، **لأن زيارة أهل الفضل بعضهم بعضاً بنيةٍ سببٌ في فيض المدد الرباني، والمعنى متوقف على الحس لا محالة،** فلا بد من حمل شيء من الحس لتأخذ المعنىٰ، أعني: الزيارة، وذلك ما يسهل من غير حرج، في ذلك، ومن لم يجد فحزمة من الحطب.

ومن زار أخاه وهو قادر على أن يحمل له شيئاً ولم يحمله فلا خير فيه، ولا يرجىٰ سيره لحضرة الله، إذ البخل من أعظم سوء الخلق، والبخل أيضاً من أعظم حب الدنيا، ولا خير في نفس البخيل، وإن كانت عالمة، أو عابدة، أو فقيرة، أو غير ذلك. فأول ما يظهر في النفس من الخير الذي يعتمد عليه عند أهل الخير السخاء، وصدق الحديث، وستر عيوب الناس، والتجاوز عن المسيئين، والدعاء لهم بالخير، لأنه لا يعلم أنه كان مثلهم وعافاه الله مما ابتلاهم.

ومن رأيته يعجبه حاله، ويقبح حال غيره فاعلم أنه يزول حاله عنه سريعاً، ويرجع أقبح مما كان، وهذا ظاهر، فكم من واحد أعجبه حاله فسلب منه، نسأل الله السلامة والعافية من غفلتنا عنه سبحانه، لأن سبب القبائح الغفلة عن الله. وسبب الغفلة حب الدنيا، وهي رأس كل خطيئة وبلية، كما ورد عنه ﷺ، قال: **«رأس كل بلية وخطيئة حب الدنيا»**[1]. أو كما قال ﷺ.

---

(١) روى نحوه البيهقي في شعب الإيمان، حديث رقم (١٠٤٥٨) [٧/٣٢٣] وابن حنبل في الزهد [١/٩٢]، ولفظه: «حب الدنيا أصل كل خطيئة، والمال فيه داء كبير، قالوا وما داؤه، قال: لا يسلم من الفخر ولا الخيلاء، قالوا: فإن سلم يشغله إصلاحه عن ذكر الله عزّ وجل».

فمثل النفس كالمرأة، وحب الدنيا كالرجل، فإذا تزوج بها أول ما تلد له النفس الاهتمام، والاهتمام يلد له الشك، والشك يلد له البخل، والبخل يلد له الحرص، والحرص يلد له التدبير، والتدبير يلد له الاختيار، والاختيار يلد له الشرك، والشرك يلد له الفقر، وهو الشرك الأكبر.

ولنرجع لما بقي من هذا المعنىٰ:

اعلم أن حقوق الناس كبيرة؛ منها: أن تكرمهم إذا زرتهم، وأن تنظرهم بعين التعظيم، وأن تعظم حرمة أهلهم إذا غابوا، وأن تكرم أهلهم في غيبتهم، كما في حضورهم، وأن تستر عيوبهم إذا صدر منهم ذنب، وأن تدعو لهم قبل أن تدعو لنفسك، وأن تطعمهم قبل أن تطعم نفسك وأهلك، وأن تكسوهم كذلك، وأن تعلمهم إذا جهلوا، ولا ترىٰ لك عليهم فضلاً، وترىٰ نفسك آخرهم في المنزلة، وقِسْ على هذا.

هكذا كانت أحواله ﷺ مع أصحابه، فانظر إن كان هذا حالك فاعلم أنك قمت بحق الإخوان، وإلا فجدد السير، ولا ترضَ عن نفسك، وتحب تعظيم الإخوان لك ومودتهم لك، وقيامهم بحقك، فهذا كله من جهلك بربك، ولو عرفته لوجدته هو المتجلي في خلقه بقدرته وإرادته، وستر ذلك بحكمته، فسبحان الحكيم العليم.

وأجل الحقوق وأعظمها حقوق الشيخ، فلا يقدر عليها إلا الصديق، نسأل الله تعالىٰ أن لا يحرمنا من خيرهم وبركاتهم بسوء أدبنا.

واعلم يا أخي! أنه لا شيء أسهل في فتح باب الشيخ، وفيض مدده مثل سخاوتك عليه بالنفوس، ثم ما وجد من غيرها من الفلوس.

والناس على أقسام:

منهم: من يظهر عليه أولاً السخاء بالفلوس، ثم بالنفوس.

ومنهم: بالنفوس ثم بالفلوس، وهو أقوىٰ من الذي قبله، وقليل ما هم.

ومنهم: من يجلس في حضرته ولا يظهر عليه من هذا الذي ذكرناه إلا القليل.

ومنهم: من يدّعي صحبتهم، ومحبتهم، ولا يظهر عليه شيء من هذا ولا شيء من هذا، ولكن هذا قليل. لأن أهل الفضل قلّ من عرفهم ولم يأخذ النصيب منهم، وقد تقدم شيء من هذا المعنىٰ، فانظرها إن شئت.

[عدم إشراك رأيه مع رأي الشيخ]

٥٢ ـ **ومن أدب المريد**: أن لا يشترك في الرأي مع الشيخ قليلاً ولا كثيراً. وإن شاوره الشيخ فليرد له الأمر ولا يفتي بنفسه لمن يفتي بربه واعجباً من الأعمىٰ يقود بالذي هو بعينين!.

وقد يكون من الشيخ ذلك اختباراً لسلب إرادتك، وبيع نفسك له. فإن رأىٰ فيك أهلية القبول زادك بهمته وحاله، ورفعك من مقام إلى مقام، وأنت لا تشعر، وإن رأىٰ فيك غير ذلك سقطت من قلبه. لكن إن شعرت بالنقصان، فالزم باب حضرته، وتأدب بأدبه، لعله ينظر فيك، فتحمد عاقبتك.

نعم إذا وقع التفويضُ لبعضٍ والإذن له من شيخه بعد الرسوخ والتمكين في ذكر الله تعالىٰ، حتى أخذته المعاني أخذاً كلياً، ولم يبقَ فيه بقية لغيرها، وتهذبت نفسه بعلوم المشاهدة لا بعلوم المجاهدة، فلا بأس أن يشارك الشيخ في مشورته، وإن سلم الأمر له ـ مع هذا ـ فهو أولىٰ وأحسن.

وهذه حالة الصحابة مع مولانا رسول الله ﷺ. والتسليم للشيخ بعد الوصول أدب عظيم، ومقام كريم.

اللهم وفقنا وإخواننا وسائر أهل الفضل للأدب مع الأشياخ والإخوان، وسائر مظاهر الحق بما يناسب كل شيء كما وهبت ذلك لأنبيائك وأصفيائك، وخاصة الصديقين من خلقك، إنك سميع مجيب.

[عدم الإذن لأحد في حضرة الشيخ]

٥٣ ـ **ومن أدب المريد الصادق**: ـ فضلاً عن غيره ـ أن لا يأذن لأحد في حضرة الشيخ ولا في غيبته بشيء من الأوراد والأعمال، إلا إذا كانت على جهة النصيحة لله لا لغيرها، وهذا كله من عدم الأدب، وعدم الصدق في الله، وعدم اشتغال الفقير بقلبه، ودنو همته، وحب إقبال الخلق عليه بنفسه، وحبه للجاه والمدح، والثناء والرفعة، وهذه هي النفس الأمّارة المحضة، سواء شعر بها صاحبها أو لا.

ولا ينبغي للفقير الصادق أن يأمر أخاه في الله بشيء إلا بما قاله له شيخه موافقاً له، أعني لحال الشيخ.

ومن أراد نصيحة أخيه فلينصحه بالحال، وليترك المقال، لأن المقال للشيخ، والحال مشترك فيه مع الفقراء.

فصارت التربية بالحال جائزة على هذا الوجه من غير إذن لهم فيها، فافهم، والسلام.

[عدم إيصال الكلام القبيح للشيخ]

٥٤ ـ ومن أدب المريد: أن لا يوصل الكلام القبيح الذي يغير قلب الشيخ أو الإخوان، أو واحد من الناس، فضلاً عن الذاكرين الله من إخوانه، فضلاً عن شيخه، ولو رأىٰ في ذلك ضرورة معينة فليجتنب ذلك، وليرد الأمر إلى الله تعالىٰ، ويتيقن أن الشيخ قد أطلعه الله على ذلك قبل أن يبرز، ومن لم يعتقد في شيخه هذا أو أكثر فلا يفتح عليه في شيء من السر، وإن بقي مع أهل الله سنين عديدة، **لأن باب الفتح عظيم وعنه ينشأ الأدب.** والذي يرىٰ شيئاً من الإخوان ويوصله هو الغافل عن الله أقبَح من غيره، ولو كان مشغولاً بذكر الله تعالىٰ لعمي عن عيوبه، لا سيما عيوب غيره.

انظر إلى الشاب الذي دخل على السري السقطي ـ رضي الله عنه ـ وسأله الشاب عن حقيقة التوبة، فقال: هي أن لا تنسىٰ ذنبك. فقام الشاب فقال: هي بأن تنسىٰ ذنبك بربك. وكيف يشهد الفقير نفسه ويشهد ربه؟ هذا هو المحال.

مهما ذكرت نفسك نسيت ربك وبالعكس، قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤]. أي: إذا نسيت ما سواه، فحينئذ تكون ذاكراً لله.

وهذه الطائفة ليس عندهم الذنب الذي يصدر من الجوارح، وإنما الذنب عندهم الذي يصدر من القلب، وهو ثبوت الغير مع الله سبحانه.

ولنرجع لكمال المعنىٰ:

ولا بد للشيخ أن يتغير إذا سمع ذلك على أحدٍ من الفقراء، فضلاً عمن هو عنده متوهمٌ بالرجلة الكبيرة، والعبد محل الخطأ والنسيان، ولا بد من ظهور الوصف المذموم على السائر حتى يتخلص من نفسه.

ولا ينبغي أن يتناول الكلام في حضرة أهل الله إلا على الخير لا على الشر، فإن كلام الشر لا يقوله إلا أهل الشر.

وحال هؤلاء القوم ثلاث: إما الذكر، أو الفكر، أو المذاكرة لا غير. ومن زاد على ذلك فهو السلكوط الكبير.

قال عليه الصلاة والسلام: «طوبىٰ لمن كان قيله تذكراً، وصمته تفكراً، ونظره عبراً»[1] أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

ولا ينبغي للفقير أن يتكلم في شيء من غير ضرورة، وإن أتته الضرورة فليتكلم قليلاً لأن الكلام طبع النفس، وما دامت متكلمة فهي حاكمة على الروح، فإذا صمتت وصار عندها الصمت طبعاً علمنا أن الروح حاكمة على النفس، والروح متكلمة في ذلك الوقت، ومعنى كلامها: أن تأخذ العلم عن الله، ولا منعها قبل ذلك من العلوم إلا الطبع البشري مثل الكلام وغيره. فالروح محل العلوم الربانية، والنفس محل الجولان في الأكوان الخالية. فالناظر إلى الأكوان بغير اعتبار كالملقى في الفيافي والقفار. ولا ينبغي النظر إليها بغير أن يراها صنعته، واختراعات قدرته، وأسرار إرادته ـ سبحانه وتعالىٰ ـ، وأنه قال لها: «كن» فكانت، وإذا أراد زوالها أسرع من ذلك زالت، فيستدل بذلك على فقره وفاقته، واضطراره إليه ـ سبحانه ـ، وأنه إذا أعطاه قصد أن يهلكه أو يسلط عليه شيطاناً يطرده من رحمته، ويشغله بشهوات نفسه، وهذا نظر أهل الدليل والبرهان.

وأما نظر أهل العيان ـ نفعنا الله ببركاتهم ـ فقد دلهم العلم به ـ سبحانه ـ على رؤية المعاني الطيبة الصافية النورانية، الروحانية، الموصوفة بالقدرة، والإرادة، والعلم، والحياة، والسمع، والبصر، والكلام، وغير ذلك مما يناسب كلاً من الصفات العالية، والأسماء. فما زال بهم النظر المعنوي، والغيبة عن الأواني، حتى رقت بصيرتهم، وشهدت حقيقة سريرتهم، ففنوا عن توهم غيره، وبقوا به ـ سبحانه ـ لا بهم، فسبحان من خصهم بهذا المقام الشريف.

اللهم لا تحرمنا يا مولانا! ما أعطيتهم، إنك سميع مجيب.

ولنرجع لما بقي من هذا المعنىٰ:

وينبغي للفقير الصادق أن يشتغل بمراعاة قلبه مع الأنفاس واللحظات، حتى يذوق حلاوة محبة ربه. ولا ينبغي له أن يتكلم إلا على الله، ولا يسكت إلا على الله، حتى يصير كلامه بالله، وصمته بالله، فإذا تكلم بعد هذا قال صواباً.

---

(١) رواه أبو القاسم الشافعي في تاريخ مدينة دمشق، ذكر من اسمه أبو عبد الله برقم (٨٦٥٥) [٦٧/ ٤٢] وهو من كلام عيسى بن مريم عليه السلام وأورده ابن كثير في التفسير، قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ...﴾ [البقرة: ١٦٤] [١/ ٤٣٩].

[عدم مطالبة شيخه بنقله من حال إلى حال]

٥٥ ـ ومن أدب المريد: ألا يطلب من شيخه أن ينقله من حال إلى آخر إلا إن أمره به، فلا ينبغي له أن يتأخر عنه، فإذا تأخر حرم أيضاً.

وانظر إلى الذي تأخر عن ما أمره به الشيخ أبو يزيد ـ رضي الله عنه ـ كيف حرم، حيث قال له: احلق لحيتك ورأسك، وانزع ثيابك، وعلق في رأسك مخلاة معمورة بالجوز، وطف في الأسواق التي تعظم فيها نفسك، وناد بأعلىٰ صوتك على الصبيان، وقل لهم؛ من يصفعني أعطه جوزة!. والتقدم والتأخر لشيء من غير إذن الشيخ كله سوء أدب.

وبالجملة: من طلب الدخول في حال من الأحوال بغير إذن شيخه فلا يرىٰ في ذلك خيراً قط، ولا بد للنفس في سيرها أن تتعشق في أمور كثيرة، فتارة تتعشق للتجريد، وتارة للأسباب، وتارة لتلاوة القرآن، وتارة لتدريس العلم، وتارة للسياحة، وتارة للحج، وتارة للجهاد، ولا يناسب للمريد أن يتبعها إن قلد بها عالماً ربانياً، فانياً باقياً، إذ ليس له عليها حكم، ولا له تصرف فيها.

والمريد مع الشيخ كالميت مع الغاسل، وكذلك كان الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ مع النبي ﷺ: كان أهل التجريد منهم ـ رضي الله عنهم ـ لا يطلبون منه ﷺ الخروج منه والدخول في الأسباب، وكذلك أهل الأسباب لا يطلبون الخروج منه والدخول في التجريد. وهذا هو الغالب ـ والله أعلم ـ. ومن طلب منه شيئاً وأمره به كان لا يخرج عنه. إذ لا يأمر ﷺ إلا بالحق، والحق أحق أن يتبع. فكان أهل الأسباب مشتغلين بمسببها لا بها، وكان أهل التجريد أيضاً مشتغلين بالله عن التجريد، وعن كل ما سواه، وبهذا صاروا ـ والله ـ رجالاً. وكانت أسبابهم وتجريدهم، وأحوالهم، وأقوالهم، وأفعالهم، كلها عبادة. والمريد إذا أراد قضاء حوائجهم فليضمرها في قلبه، وينزل نفسه عند الشيخ منزلة العبد المملوك المطيع لسيده، فلا يرجو من سيده شيئاً سوى خدمته، ولا يلتفت لشيء آخر، فمن هذا حاله وصل إلى الله بنفس ما تحصل هذه الحالة، وتقوم حوائجه بالله، ولا منع الناس من الوصول إلا عدم صدقهم في عبوديتهم لله لا غير.

والتردد يقطع الطريق بصاحبه، وقد سألني بعض الإخوان رضي الله عنهم ذات يوم، قال لي: ما حقيقة الخصوصية؟

قلت له ـ بتوفيق من الله ـ: حقيقة الخصوصية الصدق في العبودية من غير تردد. وهذا ظاهر، إذ كل من صدق في عبوديته كان عبداً لربه، ومن كان عبداً كان حراً.

قلت: والصدق في العبودية أن يكون عبداً بلا علة.

واعلم أن الشيخ يوصل إلى الله في الأسباب، ويوصل إلى الله في التجريد، ويوصل إلى الله تارة بمحض كرم الله، بلا واسطة الأسباب، وهذا بحسب صدق المريد.

فمن جاء صادقاً رجع في الحين مرشداً. لأن الصدق سيف الله، ما وضع على شيء إلا قطعه.

والفتح بحسب الصدق، وهو في الحقيقة من الله، والشيخ واسطة بينه وبين الله، ولا يصير واسطة حتى يكون ظاهرُه عبوديةً محضة، وباطنه حريةً، يقابل العبيد بظاهره، ويمدهم بباطنه، فيأخذهم، ولولا ظاهره ما عرف باطنه، ولولا باطنه ما عرف ظاهره، ولكان مثل عامة الناس، فافهم.

[الاكتفاء بعلم الله تعالى فيما ينفق]

٥٦ ـ ومن أدب المريد مع الله تعالىٰ: الاكتفاء بعلمه ـ سبحانه ـ في كل ما ينفق على شيخه وإخوانه، أو غير ذلك. ولا يقصد بذلك شهرة، ولا ثناء من الخلق، ولا غير ذلك ولا من شيخه أيضاً ـ إن كان كامل الصدق ـ، والصادق الضعيف مثلي يحب مدح الشيخ له، ويبغض ذمه له، ولذلك يفرح عند إظهار المودة له، ويحزن عند فقدها، وهذا حال محمود، لكن فوق هذا مقام أعلىٰ منه وأحلىٰ، وهو إذا أنفق الدنيا بحذافيرها لا يرىٰ لذلك مزية. وإن قدم على الشيخ بلا شيء أيضاً ينفق حاله لأنه ينظر لله، ولصفاء سريرته. وهذا ليس ببخيل إنما هو مع مراد مولاه، إن وجد الدنيا بحذافيرها أنفقها ولا يبالي وإن لم يجد ما ينفق فلا يبالي.

وقد زلّت أقدام الكثير في هذا الباب: إن وجد ما ينفق فرح، وقدم على الشيخ، وإن لم يجد حزن، وانقطع عن الشيخ.

وقد قال شيخنا مولانا العربي الدرقاوي الشريف الحسني ـ رضي الله عنه ـ يوماً لبعض إخواننا أهل غمارة ـ بارك الله فيهم وفي غيرهم من الإخوان ـ حيث علم منهم هذه العلة، قال لهم: أنتم ائتونا لله، ونحن نقبلكم لله، ليحصل الذكر الخالص من الجهتين.

فليحذر المريد الصادق من هذا الباب جهده، وليراعِ قلبه، فإن أحس من نفسه شيئاً من هذا فلينفق خفية حتى لا يعلم أحد من ذلك سوىٰ شيخه، إذ لا ينبغي له أن يخفيها عنه، وإن رأىٰ منها وقوفاً مع ذلك فلينفق على الشيخ خفية، لأجل إخلاص نفسه من هذه العلة، وإن أراد ذلك فلينظر أخاً له صادقاً في محبته، فقيراً، حقيراً، ذليلاً، ليس عنده ما ينفق، ويدفع له ذلك ويأمره بوصولها إلى الشيخ، ولا يخبر بها أحداً، ولا يطلع أخاه على إخلاصه فيها، بل يقطع البواقي، ولا يقول للشيخ: هذه كرامة فلان الفلاني،

إلا إذا قالها له أخوه، وينبغي له أن لا يأمره بإعلام الشيخ أنها له إن كان طالباً الإخلاص، فإن دام على هذا وسكنت نفسه للإخلاص فليتخلص من إخلاصه لله، إذ ما من مقام إلا ويحتاج للتبري من الحول والقوة، وإلا فهو حجاب على صاحبه.

وإذا علم من نفسه الإخلاص أظهر الإنفاق ظاهراً بالفقراء، لأن الفقراء الغالب عليهم الاقتداء بأحوال بعضهم بعضاً، لا سيما هذه الأحوال الحميدة، التي هي السخاء، إذ هي من أثقل ما يكون على النفوس، فكثير من الناس يموت ولا يعطي شيئاً من الدنيا، وكثير يموت ولا يعطي شيئاً من نفسه لتنزل بين الأقران ولو ساعة في العمر، أو تفتقر، أو تجهل، أو غير ذلك، ويسخىٰ بالدنيا إن كانت عنده. وهذا الواجب على الشيخ من طريق التربية أن لا يقبل منه الدنيا سوىٰ نفسه. كما أن الذي يسهل عليه ذل النفس ولم يستطع أن يعطي الفلس، فالواجب على الشيخ أن لا يقبل من ذله إلا فلسه. إلا إن علم منه المنع في نفسه أو فلسه، فليأخذ منه ما سهل.

قالت الناس: «انتف من الكلب ولا يغدي سالم»، أي: لا يرجع سالماً، وربما إذا دام حاله على هذا زاد له الله.

ولنرجع للذي أردناه:

وينبغي للصادق السخي الذي صار طبعه السخاء، إن علم من نفسه الركون للسخاء لا غير أن يظهر البخل، ليتخلص من العلل الخفية ـ كما قلنا قبل ـ حتى يتخلص من كل حظ نفساني ظاهراً كان أو باطناً. والعلل الباطنية هي أصعب ما يكون، ولذلك قيل:

ومداواة ما يخفىٰ صعب علاجه

وإذا انتهىٰ الفقر في الإخلاص يكون كما كان، ولا يعرف أحوال المخلص إلا المخلص مثله.

واعلم أن أحوال المخلصين كأحوال الصبيان، لا يرجون على فعلهم المليح مدحاً، ولا على فعلهم القبيح ذماً، بل أهل الإخلاص أكرم من ذلك، فعبادتهم كلها موافقة لما تجري فيه رياح الأقدار، فهم كالغصن الرطب الذي يميل مع الأرياح السبعة كيفما تحركت، ولا يرده إلا الريح الغالب على الآخر. وهذه هي الفطرة الحقيقية التي هي عن علم. بخلاف فطرة الصبيان، لأنها لا علم لهم بها، وذلك لغلبة وصف الروح على النفس، فالعلم يحمله العقل، والعقل ليس عندهم منه شيء، أعني عقل التمييز، وهذا هو العقل لا غيره، فعقل الصبيان غالب عليه وصف الروح، وعقل الشبان غالب عليه وصف النفس، حتى يرد نفسه عن هواها، فحينئذ يصير عقلاً كاملاً، وأما إن لم يرد نفسه

عن هواها فهو ناقص، وهو المسمىٰ بعقل التمييز في الجملة. وعلى هذا العقل يكون الحساب، ويجب التكليف، ولا يزال صاحبه يرد نفسه عن هواها بالعلم ونور العقل حتى تصير النفس كاملة العلم والعقل؛ فحينئذ تقبل الحقائق الربانية، والأسرار القدسية، وذلك بعد رجوع على الفطرة المحضة الأصلية، وهي الفطرة التي فطر الأرواح عليها من العلم بأسرار الربوبية، والقيام بأدب العبودية، فافهم.

والفطرة تنقسم على ثلاث:

فطرة مجازية: وهي فطرة عامة الناس، في حال خروجهم من الأرحام إلى البلوغ.

وفطرة وهبية: وهي المجاذيب، وهي التي تنزل بهم بعد خروجهم من الفطرة المجازية. ومنهم لا تفارقهم من أول قدم، وهي من فطرة إلى فطرة.

وفطرة اكتسابية: وهي فطرة الكمل من أولياء الله تعالىٰ ـ نفعنا الله ببركاتهم أجمعين ـ يخرجون منها ثم يرجعون إليها على يد شيخ عارف، ولا يقدر أحد أن يرجع إليها من غير شيخ قط، إلا نادراً.

واعلم أن الخروج من الفطرة الأصلية له شيوخ ـ أي: أسباب عديدة ـ وهم الوجود وما فيه، إلا أقل القليل منه. وأما الرجوع إليها فشيوخه من أقل القليل. وذلك القليل هم أهل الله المخلصون نفعنا الله ببركاتهم. وأما غير المخلصين وإن كانوا علماء وصالحين؛ غايتهم يحوشون الناس إليها، ولا يمكنهم فيها كل التمكين، لأن التمكين في الفطرة مقام لا يمكن التعبير عنه باللسان، ولا الجولان فيه بالفهم والعقل، وتصاوير الظنون، وتخييل الأفكار، وهذا كله منزّه عنه.

ومن زعم أنها تدرك شيئاً من أوصاف العقل أو الخلق فهو جاهل بها على التحقيق. إذ لا تعرف الفطرة إلا بها ـ أي: نفسها ـ ولا توصف إلا بها، لأنها من أسرار الله تعالىٰ، قال جلّ من قائل: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠]. معناها ـ والله أعلم ـ: لا تتبدل هذه الفطرة الشريفة، ولا تتغير بما يحدث فيها من أوصاف النفوس، بل هي في حفظ الله تعالىٰ. وإن تاهت النفوس عن حقيقتها، فلها نفوس مخصوصة بحملها، ولولاهم لذهب الله بسائر الوجود: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩]. وهم أهل الفناء في الذات، أهل الفطرة المحضة، الذين تخلّصوا من بواقي السوىٰ ومن أسرارهم، وعلومهم، وأخلاقهم، وأحوالهم يمتد أهل الظواهر جميعاً منهم. وهم الخلفاء المحمديون، شربوا من عين النبوة، من سر مولانا محمد ﷺ. وهو المنبع الخارج من حضرة الله ـ جلّ جلاله ـ

فكلهم من سر هذا النبي الكريم شربت بواطنهم، ومنه تأدبت ظواهرهم، ومن سره ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ وجدت أجسامهم وأرواحهم، وكذلك سائر الموجودات، الملكية والملكوتية، فكل من تحقق بسره وغاية قدره، رأى صورته الشريفة في نفسه، وفي سائر الكائنات، وهذا هو القرب التام.

ومن هذا المعنىٰ قال بعضهم ـ رضي الله عنهم ـ: من زعم أن محمداً ﷺ قد مات فقد كفر.

وقال آخر: والله لو حجب عني رسول الله ﷺ طرفة عين أو أقل من ذلك ما عددت نفسي من المسلمين.

وقال آخر: «يزعم أصحاب مولانا محمد ﷺ أنهم خصوا به دوننا، والله لنزاحمنهم فيه حتى يعلموا أنهم خلفوا رجالاً بعدهم» أو كما قال.

وهذا القرب قرب المعاني، وهو القرب الحقيقي، ولا فرق بين الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ومن هذا حاله سوىٰ رؤية جسده الشريف، كرجلٍ لا حد لجماله، وأظهر للناس من حسنه طرفاً وستر الباقي، هذا مثال خرجناه لأهل الذوق، والأمر أعظم من ذلك فافهم، وعليك بالأدب تنل من سره العجب.

[عدم اعتماد المريد على شيء دون فضل الله ورحمته]

٥٧ ـ ومن أدب المريد: أن لا يعتمد على شيءٍ دون فضل الله ورحمته، وإن كانت له علوم وأحوال، ومقامات، وكرامات، وأسرار لا تعد ولا تحصىٰ. إذا وقف مع شيء من ذلك، حجبه عن الله سبحانه وتعالىٰ، أحب أم كره.

وينبغي أن لا يرىٰ نفسه مع الله في حال من الأحوال، سواء وافق الشرع، أو لا. إذ لا بد من تجلي الظلمة، وتجلي النور، وليتميز سير السائرين.

فالصادق العالم لا وقوفَ له مع شيءٍ سوىٰ مولاه. والصادق الجاهل يفرح بحال النور، ويحزن (بحال) الظلمة، وذلك لجهله بالمتجلي سبحانه، والتجليات هي التعرفات.

فالحق تعالىٰ أبداً يتعرف لعباده:

فمنهم: من يعرفه في الشرائع، وينكره في الحقائق.

ومنهم: من يعرفه في الحقائق والشرائع، وهو الذي لا يشغله عن الله شاغل.

ومنهم: من يجهله في الحقائق والشرائع، ولا يشغله عن نفسه شاغل.

والعارف الكامل محزوم مع الشرائع ظاهراً، عارف بالله في الحقائق والشرائع.

فإذا وردت الحقائق قال: هذا تجلي اسمه «القاهر، العدل»، وإذا وردت الشرائع، قال: هذا تجلي اسمه: «الكريم، اللطيف». وهو مع المتجلي لا مع التجليات.

ومرادنا بالحقائق: التعرفات الجلالية.

ومرادنا بالشرائع: التعرفات الجمالية، لأن التعرفات الجمالية فرق، والنفس فرق تحب ذلك. والتعرفات الجلالية جمع، والروح جمع تحب ذلك. لأن النفس والروح مثل زوجتين عند الرجل، وهو [الرجل] القلب، فإذا مال للواحدة منهما هجر الأخرىٰ، وإذا هجرها كرهته، فإذا هجر النفس لا يعمل لها إلا ما تكره حتى تموت أو تنطلق منه، وموتها أحسن، تقول الناس: جز على قبرها ولا تجز على دارها.

والحقائق هي الثقيلة على النفس، وفي الظاهر تنقسم الحقائق على قسمين:

حقائق مباحة: وهي مرادنا.

وحقائق مكروهة محرمة لا يقع فيها إلا أهل النفوس الأمّارة. وإن وقع الصديق في شيء من ذلك تولاه مولاه إما بتوبة ظاهرة، وهو أن لا يعود أبداً إن كان من أهل الخدمة، وإما بتوبة باطنة، وهو أن لا يعود لرؤية سواه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ أبداً، إن كان من أهل النظرة، وهذا مرادنا بهذا حيث قلنا.

ولنرجع إلى ما كنا بصدده الاعتماد على الله دون شيء سواه، فنقول:

لا يصح الاعتماد على الله وحده إلا بعد القيام بالشرائع، والقيام بالحقائق والشرائع لأهل الحقائق، وإلا فلا. فالاعتماد على غير هذا الوجه كمن يبني على الماء.

وإذا حصل الاعتماد على الله بالقلب، لا بد أن يظهر أثره في الجوارح، وهو الأعمال الصالحات. وبقدر الاعتماد تتنوع الأعمال في الظواهر. فإذا حصل الخوف من الله انقهرت النفس عن المعاصي، وإذا حصل الرجاء قامت للطاعة، وإذا حصل التوكل قامت للزهد، وإذا حصل الحب قامت للورع، وإذا حصل الرضا قامت للحلم، وإذا حصل الحياء قامت للتواضع، وإذا حصل اليقين قامت للسخاء، وإذا حصل العلم قامت للأدب، وهو أفضل سائر المقامات.

فعليك بالعلم والأدب، فإن سائر المقامات تطلبك وتعشقك، ولا ترتاح إلا إذا وصلتك، والسلام.

[كيفية إنفاق المريد للرزق من مال وغيره]

٥٨ ـ ومن أدب المريد الكامل إن كان له فتوح ـ أي: إتيان رزق في داره إن كان له دار ـ وإلا ففتوحه وقت اضطراره لا غير، فإن كان ممن له دار وأهل وإخوان مثلاً، وكان عنده قوت ثلاث، أو شهر، جاءه في دفعة واحدة، فليجعله لله، وليطعم به كل من جاء محتاجاً. وإن قالت له نفسه: احتل على هذا، فلا يسمعها، وليزد على يديه.

ولا ينبغي له أن يزيد الفتوح على الفتوح، بل الواجب عليه إخراجه قبل دخوله إليه. فإذا تغافل حتى دخل فلا بد من ركون النفس إليه، وإن ركنت إلى الشيء فلا بد من طلبها لشيء آخر، وإن لم يبقَ الفقير حتى أعطاها ما طلبت قامت للتدبير، وإذا قامت للتدبير فتنته. والفتنة أشد من القتل. إلا إن كان هذا الفقير غائباً عن الداخل والخارج والزائد، وإنما يتولى ذلك من يقوم بأمر داره أو زاويته. فمثل هذا لا يضره الادخار لأنه مأمون من فتنة التدبير والاختيار الناشئة من كثرة الادخار:

فـمـا مـنـع الـنـاس مـن الأسـرار سـوى الـتـدبـيـر والاخـتـيـار

وسببه طلب الزيادة، ولو حصلت القناعة لسقط التدبير، ولو سقط التدبير لجاءت الفكرة بالعلوم. والفكرة واحدة إن اشتغلت بها النفس أخذتها وتاهت بها في شهواتها. وإن أخذتها الروح ملكتها وتاهت في شهواتها وهي الوصول. والفكرة هي السر المخصوص به العقل، لا يعطيه الله إلا لمن أحبه. وبها يكمل العقل، ويصير عقلاً، وبها تعرف النفس قدرها، وبها ينكشف للروح أمرها، وهي من سر الإدراك.

ولنرجع للذي أردناه:

واعلم أنه لا ينبغي للمريد الصادق أن يدخل الفتوح على الآخر كما قلناه. ولا ينبغي له أن يزيد على الكفاية في الوقت، وقدر الاحتياج للصادق أولى له من كماله إذ فيه من الأسرار ما لا يعبر عنه، لأن الحس ضد المعنى.

ما يزداد للصادق في الظاهر ينقص له من الباطن ولو كان في غاية الوصول. ولا يصلح هذا ـ أي الزيادة على الكفاية ـ في الوقت، إلا لشيخ عارف، يأخذ من يد الله، ويعطي لله، ومع هذا إذا كان مشهوراً بالزيادة للعام والخاص. وأما إذا كان لا يعرفه إلا الخاصة، فالواجب عليه التمسك بالفاقة أبداً سرمداً، لأنها حال مولانا رسول الله ﷺ، وهو أولى بحالة كل أحد إذ هو الخليفة. وقد كان مولانا رسول الله ﷺ يعرفه الخاص والعام، وكان لا يدخر شيئاً لغد، وحاله مشهور ومعلوم، لا يخفى عن العامة فضلاً عن الخاصة.

العجب ممن يدعي التمسك بالسنة المحمدية وهو يهتم من الرزق، ويخاف من الفقر!

وقد قلت لبعض الإخوان: الفقير الذي يخاف من الموت والفقر فليس بفقير.

وينبغي للفقير الصادق أن يفتح على نفسه كل يوم وليلة خمسة أبواب:

الأول: القناعة بما هو أسهل.

الثاني: التوكل على الله.

الثالث: الإيثار بالقليل وبالكثير.

الرابع: السخاء بما عنده.

الخامس: ترك الطمع لما في أيدي الناس.

واعلم أن من سدّ باب الفقر على نفسه فقد سدّ باب الذل. ومن سدّ باب الذل فقد سدّ باب العز. ومن سدّ باب الضيق فقد سدّ باب التوسيع، ومن سدّ باب الوحشة من الخلق فقد سدّ باب الأنس بالله. ومن سدّ باب الجوع فقد سدّ باب الشبع، ومن سدّ باب الصمت فقد سدّ باب الكلام.

والأشياء كامنة بأضدادها، ولا يعرف هذا إلا أهل العلم بالله.

وأما ساداتنا أهل الظاهر ـ نفعنا الله ببركاتهم ـ لا يعرفون إلا الصلاة والصوم، والتلاوة، والحج، والذكر اللساني، وغير ذلك مما هو ظاهر. وأما تصفية النفوس من الأدناس لمعرفة مالك الناس ـ سبحانه وتعالىٰ ـ فلا يعرفونها ولذلك صاروا جهالاً بحقيقة المعرفة. **لأن حقيقة المعرفة موت النفوس وذهاب عالم المحسوس. وهذا لا يكون إلا على يد عارف بالله حق المعرفة، وإلا فلا سبيل له، وإن حضر شيخ التعليم**؛ لأن شيخ التعليم يوقفك على الحدود، وشيخ التربية يدخلك حضرة الشهود، وشتان ما بينهما، فافهم.

[لزوم المريد لبابين من أبواب اليقين]

٥٩ ـ ومن أدب المريد الصادق: أن يلزم بابين من أبواب الله العظيم، الذي كل من قصدهما دخل في ساعة واحدة، وهي: الثقة بالله، والاكتفاء بعلمه سبحانه وتعالىٰ. فمن وجد في نفسه هاتين المزيتين، فليعلم أنه من أكابر أهل الله ـ نفعنا الله ببركاتهم ـ.

وينبغي لطالب الإخلاص أن يريض نفسه عليها أكثر مما يريضها على كثير من أنواع العبادات.

وقد يظهر لي ـ والله أعلم ـ أن كل عبادة خالصة راجعة إلى هذين الأمرين. فإن كانت العبادة نازلة عليهما فهي لله خالصة، وإن كانت خلاف ذلك فالإخلاص بعيد، فمن وثق بربه لا يلتفت للرزق، ومن اكتفىٰ بعلمه لا يلتفت للخلق. فإن كان هذا في الفقير فهو محبوب عند الأمير وهو الملك القدير.

والله ما قطع كثيراً من السالكين عن سيرهم سوىٰ هم الرزق، وعدم الاكتفاء بعلم الحق. فكل من اكتفىٰ بعلمه وثق بربه، من الفقراء الطالبين للغنىٰ في الذات حصلوا على مقصودهم في الحين، وتفيض عليهم العلوم حتى تكل عنها الفهوم، كما كلت فهوم موسىٰ عليه السلام ـ عن علم الخضر ـ عليه السلام، وذلك دليل خصوصية الخضر عليه السلام لقول مولانا مخبراً عن حاله: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥]، ومن أجل ذلك تواضع له نبي الله سيدنا موسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام مع جلالة قدره، وارتفاع أمره عند ربه، حتى قال له: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦].

وهذه مزية عظيمة لا يشك فيها إلا جاهل بها، ولكنها لا تقتضي التفضيل على الرسالة والنبوة.

وأما على أهل الولاية، فإنها تقتضي التفضيل لا محالة، لأنها خصوصية زيادة على مطلق الخصوصية، إذ كثير من الأكابر لم يعطوا هذا العلم تفصيلاً، وإن كان سائر أهل الفناء أعطوه إجمالاً. لكن التفضيل إنما هو لمن أعطيه تفصيلاً، وهو من طريق الأحوال أعني من طريق الجذب، لا من طريق السلوك، فهو في الشريعة الظاهرة التي حدها العقول المعقولة منكور. وفي الشريعة الباطنة التي خرجت عن طور العقول مقرور، لأن شريعة أهل الفناء في الذات حقيقة لغنائهم عنهم، وعن توهم ما سوىٰ الله تعالىٰ، وهي في الحقيقة على وفق الشريعة الظاهرة، فالإنكار الذي وقع على فاعلها من جهة الظاهر، والحكم للظاهر على الباطن، قال عليه الصلاة والسلام: «**أمرت أن أحكم بالظاهر والله يتولىٰ السرائر**»[1].

---

(١) أورده العجلوني في كشف الخفاء، الهمزة مع الميم، حديث رقم (٥٨٥) [١/ ٢٢١] والهروي في المصنوع [١/ ٣٨].

فافهم قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«والله يتولىٰ السرائر»** لا سبيل للتسبب فيها لأنها وراء العقول، وهو أمر خارج عن العبودية، وإلى ذلك أشار الخضر عليه السلام بقوله: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧].

أي لأن هذا الذي طلبته وراء الفهوم والعقول، التي هي من صفة العبد. فالشرائع أمر ظاهر، والحقائق أمر باطن. والباطن لا سبيل للعبد عليه إلا بمحض الكرم، وإن كان للحقيقة شرائع ظاهرة، لكنها منكورة عند أهل الظاهر، وفاعلها في الحقيقة مأخوذ عنه، لكونه محكم عليه بحال أهل الحقيقة وهو لا يشعر. ولا يزال هكذا حتى يفتح الله عليه بالعلم به. فيرجع عليه عقله ونفسه؛ فيصير حاكماً عليهما بالعلم بالله، فتراه عاقلاً ولا عقل، ونفساً ولا نفس، فإذا رأيته في الشرائع قلت: عبداً، وإذا رأيته في الحقائق قلت: حراً، فافهم.

[عدم خلط التجريد بالأسباب]

٦٠ ـ ومن أدب **المريد الصادق**: ـ الذي هو صاحب التجريد ـ أن لا يخلط تجريده بالأسباب قبل الرسوخ والتمكين في الفناء، فإن فعل ذلك فقد انحط من رتبة القرب إلى رتبة البعد، لأن التجريد مقام أهل المحبة، والأسباب مقام أهل الخدمة، وكل من رجع للأسباب قبل فنائه ما رجع إلا بإذن نفسه، ولا يجيء منه شيء لأنه ظهر كذبه، تقدم للجهاد وهرب من العدو حيث رآه، والتجريد مرّ على النفس ثقيل عليها، لا تستطيع أن تراه في غيرها، لا سيما تفعله في نفسها، والله إذا لم تكن الرجلة الكبيرة ما حصلت منه قليلاً ولا كثيراً.

والتجريد لا يصدق على المرقعة فقط، بل التجريد كل ما هو ثقيل عليها فيما هو مباح، إذ كل ما يثقل عليها هو صلاح للقلوب، وبصلاح القلب يكون القرب، وهذه الطائفة المدار عندها على صفاء القلوب لا على صفاء الجوارح، لأن القلب إذا صفا من الدنس صفت الجوارح، قال ﷺ: **«إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»**. فافهم.

ولا ينبغي للفقير أن يرجع عن التجريد قبل صفاء قلبه، وصفاء قلبه هو تمكنه من الفناء، ورجوعه للبقاء بشهادة شيخه، أو أهل الفن له، إذ في الرجوع عنه قبل الصفاء مذلةٌ كبيرة بين أهل التجريد وأهل الأسباب. فلا يقبل أسبابه أهل الأسباب لأن الله عالمٌ بأحوال عباده، والله تعالىٰ هو المتجلي في كل شيء، وكذلك أهل التجريد إذا رجع إليهم بغير صدق أنكروا حاله كما قلناه في أهل الأسباب، ولا يقبلونه ويقرونه إلا إذا رجع بصدق الإخلاص لله.

وأما المتجرد الذي ينزل للأسباب بعد إخلاصه وصفاء قلبه لتستر تجريده، واتساع نظره في معرفة ربه، فهو الذي يقره هؤلاء وهؤلاء، لأنه بالله في هؤلاء وهؤلاء، ولي هو بنفسه.

واعلم أن الولي الكامل إذا رأيته في التجريد فهو في الأسباب، فلا أسباب له ولا تجريد، فتجريده: مطالعة المعاني، وأسبابه: الأدب مع المعاني في الأواني.

هذا هو تجريده، وهذا هو أسبابه، ولا تظن خلاف ذلك، ولا تكن جاهلاً بأحوال الكاملين.

واعلم أن من الواجب على السائر لحضرة الله تركه السبب إن أراد الدخول من باب التجريد، وإن أراد الدخول من باب الأسباب فليأخذ من الدنيا ما لا بد منه، ولا يكن كعامة الناس، ولا يقرب من حالهم، فسببهم خارجٌ على الكتاب والسنة، وذلك لشدة حرصهم، والحرص على الشيء من الاعتماد عليه، ومن اعتمد على غير الله تعالىٰ في شيء دنياوي أو أخراوي فهو مشرك. والأسباب الموافقة للكتاب والسنة يكون بها الزيادة لله لا محالة، لأنها من العبادة.

وأسباب أهل زماننا لا يقرب بها أحدٌ إلى الله إلا قليل، وذلك لخروجها عن الكتاب والسنة كما ذكرنا.

وبالجملة: رفض الدنيا من القلوب وترك التسبب فيها بالجوارح فرض عين على طالب الوصل، سواءٌ دخل من باب التجريد أو من باب الأسباب. أما التجرد فهو أولىٰ وأحرىٰ، فإذا تسبب ولو قليلاً قدح في مقامه لأنه مقام تجريده، والتجريد حال أهل الصفة من أصحاب مولانا رسول الله ﷺ، ومقام أهل الصفة أعلىٰ سائر المقامات - رضي الله عنهم -.

واعلم أن ترك التسبب مع تعلق القلب بالله تعالىٰ عبادة كبيرة من غير عبادة، وإن كان صاحبه لا يقوم إلا بالفرض، لأن الأسباب تشغل القلب عن الله لا محالة وإن قلت. وشغل القلب بالقليل هو الكثير، لأن القلب واحد لا يقبل إلا الواحد. فإن شغلته بما هو أهل له وهو الله عزّ وجل، فذلك قدره وشرفه، وإن شغلته بشيء آخر فقد جهلت قدره وقدر خالقه - سبحانه وتعالىٰ -، والقلب هو الفكرة النورانية، العلامة، الدرّاكة، وهي سر العقل، والعقل سر النفس، والنفس سر الروح، والروح سر الله.

واعلم أن الفكرة من أشرف ما يكون، ومن ألطف ما يكون، ومن أرق ما يكون، وهي أصفىٰ ما يكون فصاحبها الذي عرفها أو طلب معرفتها مهما التفت إلى شيء ما

طارت من يديه، أحب أم كره. ولذلك قلت: لا ينالها إلا من لا شغل له ظاهراً ولا باطناً. فإذا وجد الصادق من يعرفه بها فليسمع له بقلبه وجوارحه، وليتهيأ لها كل التهيؤ، وليترك أسباب الدنيا كل الترك.

وإلى هذا الإشارة بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ﴾ [الجُمُعَة: ٩]. فافهم.

لأن طالب هذا السر الذي ذكرناه كمن وجبت عليه الجمعة، وأتى إلى المسجد بعد أن توضأ، وتطيب، ودخل المسجد، هل يحل له الخروج منه للبيع والشراء؟ حرامٌ عليه؛ بالكتاب والسنة، وإن خرج سمي منافقاً، أو فاسقاً. وصاحب التجريد أعظم منه بكثير، لأن هذه الصلاة متصلة، وصلاة الجمعة منفصلة ساعة واحدة. **وصلاة القلوب واجبة على المؤمنين كلهم من غير عذر لهم فيها، وهي مع الأنفاس واللحظات.**

ومن اشتغل بها لا يشتغل بشيء سواها، ولذلك تكفل الله لأهلها بالأرزاق تكفلاً خاصاً لأجل هذا المعنى. ولولا اشتغالهم بها على الدوام لما تكفل الله لهم بشيء، كيف لا يتكفل لهم بالرزق وهم يطلبونه بالليل والنهار؟. والله ما تكفل لأحد حقيقة إلا لمن هيأه سبحانه لهذه الحالة الشريفة، والعطية النفيسة.

انظر قوله جلّ جلاله: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ [طه: ١٣٢]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٦ ـ ٥٨]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ [الطّلَاق: ٣].

وأسباب مَن هذا حاله وإن وجدت فهي عبودية مستترة بالسبب، كما تسترت حرية مريم ـ عليها السلام ـ بالهز، فافهم.

واعلم أن منادي الصلاة ينقسم على قسمين: منادي الصلاة الحسية، ومنادي الصلاة المعنوية، وهي صلاة القلوب.

فمنادي الصلاة الحسية: معلوم، رخص الله في الآية يوم الجمعة لما فيه من الشرف، وفيه إشارة الجمع.

ومنادي الصلاة المعنوية: هو الشيخ، فلا يزال ينادي على الفقراء ويعشقهم في مولاهم ويحببهم له ويحببه لهم، حتى ينسوا نفوسهم وأهوالها، وحمولهم وأثقالها. ولذلك قال سيدي أبو مدين الغوث ـ رضي الله عنه ـ:

فيا حادي العشاق قم وَأَحْدُ قائماً   وزمزم لنا باسم الحبيب وروِّحنا

ولا يزال هذا الشيخ يلاحظهم بهمَّته، ويهذبهم بأخلاقه، وينور قلوبهم بإشراقه، ولا يزال يخلصهم عن طبع البشرية، ويحليهم بصفة الروحانية، حتى يتقوىٰ حالهم، ويرق قلبهم، ويفيض وجدهم، ويكمل حبهم، ويعلو أدبهم، فيتركهم ومولاهم، فافهم.

وينبغي للفقير الصادق أن يسمع شيخه بقلبه وجوارحه، ليقرب عليه الفتح، ولا ينبغي له أن يكون كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون.

وما طال الفتح على المريدين إلا لقلة الاستماع، لا غير. ولو سمعوا لفتح عليهم بنفس ملاقاتهم مع الشيخ من غير شك.

واعلم أن أساس كل وصف مذموم ـ بعد ملاقاة الشيخ ـ عدم الاستماع، ونرىٰ الكثير يجتمعون بالشيوخ ولا يفتح عليهم، ويقولون: أين السر الذي كان عند الشيوخ، لا نرىٰ اليوم إلا أقل القليل؟ وما علم هذا المسكين ـ مثلي ـ أن السر اليوم أقوىٰ من الزمان السابق بكثير ـ والحمد لله على فضله وإحسانه ـ، ولكن غطاه قلة الاستماع. ولو حضر السماع لهذا المسكين لحضر الاتباع، ولو حضر الاتباع لحضر الانتفاع، والسمع هو المقرون بالامتثال، وإلا فلا. وعند الفقراء اليوم السمع هو سمع العلم وحفظه بالألسن. وأما شروطه وأحكامه فلا شيء، إلا أقل القليل. ولهذا لم تظهر الأسرار لكثير من أهل النسبة، جعلوا السمع عندما تشتهيه نفوسهم، وأما ما تكرهه فلا يلتفتون إليه ولا لمن يقوله لهم.

والصادق في طلب الله تعالىٰ هو الذي يكون عند أمر شيخه، ونهيه، وعند سائر الخلق، وأهل الحق، ولا يرده على أحد ولا يتكبر عليه، ولا على أهله، لا سيما شيخه الذي أخرجه من الظلمات إلى النور.

وينبغي أن لا يتعدىٰ نظره، إن شاء أقامه في التجريد، وإن شاء أقامه في الأسباب، وإن شاء سيّره بينهما، وهو أعلم بما يليق بكل من جاء لحضرته الشريفة، إذ كل من جاءه علم بأنه جاءه بإذن من الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ ورسوله ﷺ كما له الإذن من الله ورسوله. ولا يأتيه غالباً إلا من كان يقبل الخصوصية الكبرىٰ ـ والله أعلم ـ وأما الخصوصية الصغرىٰ مثل علم الظاهر، ومثل تربية أهل الظاهر ـ نفعنا الله ببركاتهم ـ ومثل أوراد أهل الظاهر وغيرهم، فهذا كله لا يحتاج لإذن خاص، ولذلك أكدنا على هذا المريد الذي هو طالب الخصوصية غاية التأكيد، إذ هي شيء كبير. من لم يصدق البيع لا ينال منها شيئاً.

ولذلك قلنا غير ما مرة: لا ينبغي للفقير الصادق أن يزيد أو ينقص أو يفعل شيئاً بلا إذنه حتى يأذن له أو يحصل له الإخلاص، ولا شك أنه إذا حصل له، إذن لشيخه فيه، ولا يطمئن قلب المخلص بعد إخلاصه بشيء مثل إذن الشيخ. إذ هم إبراهيميون، وإبراهيم ـ عليه السلام ـ طلب الشاهد من الحس على المعنىٰ ليطمئن قلبه. ولذلك قال: ﴿بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البَقَرَة: ٢٦٠].

ولا ينبغي للفقير الصادق أن يطلب الإذن من شيخه في التربية، والزيارة، والزاوية، وغير ذلك، كل ذلك سوء أدب على الله، وعلى الشيخ.

ولا ينبغي له أن يطلب منه سوىٰ معرفة نفسه، فإذا عرف نفسه فقد عرف ربه، كما في الحديث الشريف. ومعرفتها هو أن تعرف وصف الروح من وصف النفس، ووصف الروح هو المحمود، ووصف النفس هو المذموم، أو تقول: وصف النفس هو العوائد والشهوات، ووصف الروح ترك الشهوات والعوائد. فإذا زالت الشهوات والعوائد انحاشت النفس لحضرة الروح، وصارت على طبعها.

ولا منع النفس من سرها على سر الروح إلا العوائد والشهوات. وبهذه العوائد والشهوات سميت النفس نفساً، بعد أن كانت روحاً روحانية، ربانية ملكوتية، عادت بهذا الطبع نفسانية أرضية ملكية. ومن أراد أن يفك سجنها ويطلق قيدها مهما ظهرت له صورتها تخلىٰ عنها، ولا يقنع بالعلم لأن العلم صيد والعمل قيده، ولا يحسب للصياد سوىٰ ما أخذ من الصيد. وأما الذي يراه في السماء وفي الأرض فلا يحسب عليه. وكذلك إن ظهرت له صورة روحه زاد إليها ولا يقنع بالعلم، وصورة الروح المحمود، وصورة النفس المذموم، وهذا هو معرفة النفس، ومعرفة الروح.

وأما الأعمال الظاهرة مثل الصلاة والصوم وغير ذلك فقد يقدر عليها الفقير بنفسه وغيره. وأعمال القلوب لا يقدر عليها بنفسه، وإنما يقدر عليها بربه، فإن كانت النفس حية يكون ثقيلاً عليها حاملة له رغماً على أنفها. وإن كانت ميتة كانت راضية بمحبة الله، راضية بوصف العبودية، مرضية بوصف الحرية، فافهم.

[عدم التعرض لملاقاة الجبابرة]

٦١ ـ **ومن أدب المريد الصادق:** أن لا يتعرض لملاقاة الجبابرة، وإن تعرضوا له، وقصدوا إلى داره، فالواجب عليه أن يفر منهم فرار الشاة من الأسد، وإن ألحوا عليه فليخرج من طاعتهم إلى طاعة الله ورسوله ﷺ، إذ كل من تعرض لهم فتنوه عن دينه، أو سرقوه، وسلبوه. ولا ينجو من ميل قلبه بجاههم ومالهم إلا الرجل القوي.

كيف يغتر الصادق بجاههم العاري ومالهم الفاني؟! فما الفقير الصادقُ الفقر، [إلا] وجاهُهُ الذل. وإذا دخل وصف الربوبية الذي بأيديهم على وصف العبودية الذي بيده أفسدوا له عبوديته، أحب أم كره، وإلى ذلك الإشارة بسر قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هُود: ١١٣].

ومعنى «ظلموا»: بأخذهم وصف الرب وتركهم لوصفهم، وهذا والله من أعظم الظلم.

ومعنى «فتمسكم النار»: هو أن يسترق قلب الفقير بجاههم ومالهم، فيفسدوا قلبه بحب ما سوى الله بعد أن كان هذا القلب مشغولاً بحب الله تعالى ورسوله ﷺ.

وأي نارٍ أعظم من سلب القلوب من محبة المحبوب بعد اشتغاله فيها؟ لأنه لا يعرف العذاب إلا من ذاق الرحمة. فالفقير الجاهل يريد أن يستعز بعزهم لجهله بعز الله. ولو علم ما في الذل من العز لما طلب سواه، ولو علم ما في الفقر لله من الغنى لما طلب سوى الفقر.

وهذا معنى قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ [هُود: ١١٣]. يعني ما لكم من طريق إلا من العبودية. وأما إن جئتم من جهة الحرية فليس لكم إلا الذل في الدنيا والآخرة.

وهذا معنى قوله سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هُود: ١١٣]. يعني: بوصف الربوبية. وانظر كل من هو عزيزٌ بنفسه تجده ذليلاً في عزه أبداً أحب أم كره. ومن هو ذليلٌ لربه فهو عزيز في ذله أبداً، أحب أم كره، فافهم.

واعلم أنه ما سكن إليهم أحد بجوارحه إلا وافتتن قلبه أحب أم كره، كيف؟ وهم عين الفتنة!. وكل من افتتن قلبه تشتتت فكرته، وتخبل عقله، وكل من تخبل عقله نسي دينه، ومن نسي دينه سكنه النفاق، والمداهنة، والرياء، والطمع، والحسد، والبغض لأهل الله.

واعلم أن كل من رأيته يريد معرفتهم من المريدين لا غيرهم فاعلم أنه غاشٌ لنفسه. لأن أهل الرياسة نزلوا وصف الربوبية، والمريدين نزلوا وصف العبودية، ومن نزل وصف الربوبية هو المالك لمن نزل وصف العبودية أحب أم كره. لأن الربوبية قاهرة للعبودية على كل حال. وهؤلاء نزلوا منازل الرب، والفقراء نزلوا منازل العبد كما قلناه.

فافهم يا أخي! وفر منهم جهدك، قبل إخلاصك، وبعد إخلاصك، ولا تشهر نفسك، والزم الخمول، ولا تنظر لمن تلقاهم من أهل الكمال؛ فإن الكاملين تجلّى

عليهم الحق سبحانه باسمه «العزيز» ظاهراً وباطناً، ولذلك يغلبون من نزل عندها ظاهراً فقط، لأن هؤلاء الكرام نزلوا فيها بالله، وغيرهم نزلوا فيها بنفوسهم. ولا يقهر صاحب القوة الحسية سوىٰ صاحب القوة المعنوية ظاهراً وباطناً ـ كما ذكرنا ـ، فالقوة الحسية قوة مجازية، والقوة المعنوية قوة حقيقية، والحكم لصاحب الأصل على صاحب الفرع، لكن بشرط أن يكون صاحب الأصل مالكاً للأحوال، وإلا فيغلب لا محالة.

واعلم أنه لا يصحبهم إلا فقير جاهل، أو فقيه محب للدنيا والجاه، أو صالح لا شيء عنده من الاكتفاء بعلمه، أو عارف بالله مالك لسائر الأحوال، قاهر لهم، أحبوا أم كرهوا، وهذا والله قلَّ أن يوجد في زماننا.

فاحذر يا أخي من صحبتهم وصحبة المتصوفين الجاهلين، وهي أقبح منهم بكثير، وهم يخرجون من حضرة المشايخ وغيرهم يأخذون الكلام، ويمنعون نفوسهم من العمل، فتنطمس بصيرتهم، ويظهرون بالمشيخة وهم ليسوا من أهلها.

وسبب ذلك: حب الجاه والرياسة، والمال، وهذا من أعظم الهوىٰ. فالله يعصمنا من الزلل، ويحفظنا من العلل، آمين.

فالجبابرة الغافلون، والمتصوفة الجاهلون هم الأموات المشار إليهم بقوله ﷺ: «لا تجالسوا الأموات فتموت قلوبكم» قيل: من الموتىٰ يا رسول الله! قال: «المحبون للدنيا الراغبون فيها»[1]، فكل من صحبهم مات قلبه.

ويليهم في طمس بصائر الناس القراء المداهنون، فصاحبهم لا يخرج من عندهم إلا معموراً بسوء الظن بعباد الله، والتكبر على الضعفاء المساكين، وترك «لا أدري» التي هي نهاية العلم.

وصاحب المتصوفة الجاهلين لا يخرج من عندهم إلا مملوءاً بالدعوىٰ، والرضا عن النفس، والبدعة في الدين.

وأما الجبابرة الغافلون: فلا يخرج صاحبهم من حضرتهم حتى يكون متكبراً متجبراً على عباد الله، قاسي القلب غليظ الطبع، رافعاً لنفسه فوق رأسه، واضعاً لروحه تحت قدميه، معموراً بالطمع كل ما يرىٰ يريد أن يأخذه لصاحبه.

ولما لقيت شيخنا الهمام، العارف بالملك العلام، سيدنا ومولانا العربي بن أحمد ـ الشريف المنيف ـ الدرقاوي، الحسني ـ رضي الله عنه ـ، ونفعنا ببركاته آمين ـ بحضرة

---

(١) هذا الحديث لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

فاس ـ حرسها الله من كل بأس ـ عام ستة وتسعين ومائة وألف، وقد أخبرني بفضل الله قبل قدومي عليه ـ رضي الله عنه ـ والسبب في ذلك أنه كان هناك مع إخوانٍ له في شيخه، فانحرفوا عنه بعد موت الشيخ، وادعى كل واحد منهم بالدعاوي الكثيرة، ومن جملة الدعاوي أن جعلوا الشيخ منهم على وفق نفوسهم، وكان شيخنا ـ رضي الله عنه ـ ينصحهم، ويذكرهم، ويجلس لهم مع الباب الذي ينزل فيها البلاغي.

وكانوا ـ لطف الله بنا وبهم ـ لا يقبلون منه المشيخة، إلا أن كلامه كانوا يقرونه كثيراً لأن الحق لا يرده أحد. ولكن لما غلب الحسد على قلوبهم كانوا لا يسمعون منه شيئاً بقلوبهم، ولو سمعوا بالقلوب لانقادوا لحضرة علام الغيوب. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦]. فلما أيس من هدايتهم خرج يوماً بنية أن لا يعود إليهم، فبينما هو مارٌ في بعض أزقة المدينة المذكورة وهو يقول في نفسه: هذا المريض الذي بين يدي عالجته بكل العلاج، إن كان للموت يموت، وإن كان للحياة يحيا، وقد تعذر من يصحبني في هذا الفن، يا رب.

قال ـ رضي الله عنه ـ: فإذا النداء من قبل الله تعالى يقول: «سيأتونك أهل هذا الطريق من البحار، ويخلقون لك من الحجار» فما بقي بعد هذا إلا أياماً قلائل وأنا عبد الله قدمت عليه بإذن ولي من أولياء الله تعالى، وذلك بعد أن تعلق قلبي بملاقاة القطب الكبير، وكنت أطلبه في كل سجدة، إلا نادراً. وكنت ـ والحمد لله ـ مشتغلاً بذكر الله، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ تالياً لكتاب الله عزّ وجل، معتزلاً بنفسي في الخلاء، مصلياً، قائماً، وصائماً. وكان ذلك الولي يحبني غاية المحبة، وكنت لا أرضاه شيخاً، فلما رآني تعلقت همتي بغيره. وأردت المسير إلى مكة لكون الناس يقولون: القطب الكبير هو بها، أبداً.

فلما علم مني هذا الولي ذلك، قال: يا أخي! هو بفاس، عليك به، وهو فلان الفلاني، فقصدته في الحين مسرعاً، فوصلت لفاس، وسألت عنه، فلم أجد له خبراً، فلم أزل أفتش وأسأل حتى وصلت إلى باب داره، ونقرت الباب. وخرج إليّ ـ رضي الله عنه ـ مسرعاً، فقبّلت يده الكريمة، وطرفه الشريف.

فقال لي: من أين جئت؟

قلت له: يا سيدي! من البحر.

فقال: من أين البحر؟

فقلت: من جبل أشقر.

فقال: ما تريد عندنا؟

فقلت: أردت أن أكون ببركاتك سلطان الآخرة.

فقال: أعطيناك سلطنة الدنيا والآخرة، فدخل مسرعاً لداره. وقال لي: ادخل، فإن مثلك لا يترك خارج الدار، فأدخلني ورحب بي، وأجلسني على سجادته التي كان يقعد عليها في خلوته، وأطعمني، وسقاني، وجعل يحدثني ويوصيني.

فمن جملة ما أوصاني به ـ رضي الله عنه ـ أن قال لي: **«يا ولدي! احذر من صحبة ثلاثة من الناس: المتصوفة الجاهلين، والقراء المداهنين، والجبابرة الغافلين»**. فما صحبت أحداً من هذه الثلاث إلى الآن، والحمد لله رب العالمين.

وكان عليه ـ رضي الله عنه ـ ذلك الوقت مرقعة ما رأيت أهون منها في المرقعات، وكان يظهر منها الكثير من جسده الأعلىٰ رضي الله عنه. وما رأيت في داره ما يساوي درهماً سوىٰ سجادة بسطها لي، وزلافة، وإبريق لا غير. وكان مع هذا إذا فتح الله عليه بشيء تصدّق به، ويدخل على أهله بلا شيء!. ففي مثل هؤلاء ـ رضي الله عنهم ـ قال رسول الله ﷺ: **«ما تركت لعيالك يا أبا بكر؟!»** قال: تركت لهم الله ورسوله[1].

وكان لا يعرفنا أحدٌ في ذلك الوقت غير بعض إخواننا قليلين من أهل فاس، كانوا يعرفون شيخه. وكانوا يجتمعون معنا بالنهار، وبالليل يذهبون إلى ديارهم، وكنت في الزاوية وحدي أياماً عديدة، ففتح الله بعد ذلك في الإخوان والأحبة.

وكنا في ذلك متصلين الذكر والمذاكرة. وكنا لا نعرف الليل من النهار بعض الأيام إلا بالأذان في الصومعات.

ومن شدة بقائه ـ رضي الله عنه ـ كان يلقاني بقرب المغرب برحبة قيس، وكان حالنا من بعد صلاة العصر نخرج لخدمة نفوسنا للتذلُّل بين أقراننا، نسأل الفلوس من الحوانيت، فإذا التقينا عند المغرب برحبة قيس نشتري ما نتقوت به في الوقت، فيأتي إلى صاحب الخبز أو البصل، أو غيره، فيشتري منه بأربعة فلوس، أو بستة فلوس، أو ما أشبه ذلك، فيزيده قدر ذلك على القيمة، وهكذا كنا أياماً عديدة، وكان يدلني على السخاء وحسن الخلق، والزهد، أكثر من كل شيء.

وكان يقول لي ـ رضي الله عنه ـ: يا ولدي! الرجل هو الذي يشتمه الناس كلهم اختياراً عن طيب نفس، وهو يفرح لذلك، والشماتة هو الذي يحب أن يشمت الناس كلهم، لأن الرجال عملهم مع الله تعالىٰ، والشمايت عملهم مع نفوسهم.

---

(١) رواه أبو القاسم الشافعي في تاريخ مدينة دمشق، حرف العين [٣٠/٣ ـ ٦٤].

وكان ـ رضي الله عنه ـ يحبني أشد من حبه لأهله وأولاده.

وكان ـ رضي الله عنه ـ يقول: والله واحد! ما شدّ لنا أكتافنا في الله مثل محمد بن أحمد البوزيدي.

وبالجملة: مدحه لنا بقدر ذمنا وقبحنا وأكثر، وأكثر، والسلام.

[عدم مجاورة الشيخ إلا للخدمة]

٦٢ ـ ومن أدب المريد الصادق: أن لا يجاور شيخه إلا إذا كان خادماً له قائماً بكل ما يحتاج إليه الشيخ من رعاية المواشي، والحرث، والحطب، وسقي الماء، وطحن الرحا، وكنس الزاوية، وحق الدار، والإرواء، وسائر ما يخدمه المماليك وأكثر، لأن هذا طالب رضا الحق، والمملوك طالب رضاء الخلق، قلّ من المماليك من هو طالب رضاء الحق في الخلق. أدب المملوك بالقهر على نفسه، وأدب الفقير اختياراً عن طيب نفسه، وشتان ما بينهما.

هذا خادم أهل الأرواح بالأرواح، وهذا خادم أهل النفوس بالنفوس.

هذا خادم عالم الصفات بنفسه، وهذا خادم عالم الصفات بربه.

هذا خادم عالم المعنىٰ بالمعنىٰ والحس، حتى يتحقق له أن المعنىٰ عين الحس.

وهذا خادم عالم الحس بالحس، حتى يتحقق له أن الحس عين الحس ولا معنىٰ.

هذا فانٍ في الخالق بالخالق، وهذا فان في الخلق بالخلق.

هذا فانٍ في العلم بالعلم، وهذا فانٍ في الجهل بالجهل.

هذا فانٍ في القرب بالقرب، وهذا فانٍ في البعد بالبعد.

هذا فانٍ في النور بالنور، وهذا فانٍ في الظلمة بالظلمة.

هذا فانٍ في الجمع بالفرق، وهذا فانٍ في الفرق بالجمع.

هذا فانٍ بالفعل في الفاعل، وهذا فانٍ بالفاعل في الفعل.

هذا مملوك لله، وهذا مملوك لنفسه.

هذا مملوك للمعاني، وهذا مملوك للمحسوسات.

هذا مملوك للجمال والجمال مملوك له، وهذا مملوك للجمال والجمال مالك له.

هذا مملوك للذات في الصفات، والصفة مملوكة له بإذن الذات، وهذا مملوك للذات في الصفات والصفة مالكة له بإذن الذات، أحب أم كره.

هذا فانٍ بعلم المعنىٰ في المعنىٰ، ولا يزال حتى يرجع عين المعنىٰ، وهذا فانٍ بعلم الحس في الحس، ولا يزال حتى يرجع عين الحس.

هذا فانٍ في البقاء بالبقاء، ولا يزال حتى يرجع عين البقاء، وهذا فانٍ بعلم الفناء في الفناء، ولا يزال حتى يرجع عين الفناء.

هذا فانٍ بعلم الكمال في الكمال، ولا يزال حتى يرجع عين الكمال، وهذا فانٍ بعلم النقص في النقص، ولا يزال حتى يرجع عين النقص.

هذا فانٍ بعلم التحقيق في التحقيق، ولا يزال حتى يصير عين التحقيق، وهذا فانٍ بعلم الظن في الظن، ولا يزال حتى يرجع عين الظن. إلى ما لا نهاية له.

واعلم أنه بقدر ما يقول الفقير لنفسه: «كن» فتكون، يكون بقدر ما يقول لربه «كن» فيستجيب له بفضله.

ومن فضله على عبده أن ملك له نفسه، ومن عدله ـ سبحانه ـ في عبده أن جعل نفسه قاهرة له، مالكة عليه سلطانه.

والناس مقامات في ملكيتهم وملكية نفوسهم لهم.

فمنهم: من تملكه بالكلية، ولا يتحرك معها قليلاً ولا كثيراً، وهم أهل الشر.

ومنهم: تارة بتارة، وهم أهل الخير.

ومنهم: من قلّ أن تغلبه، وهم أهل الصدق.

ومنهم: من لا يعرفها كيف هي؟ وهم أهل الوصول نفعنا الله ببركاتهم، وجعلنا من أهل حزبهم وودهم، آمين، بجاه مولانا محمد ﷺ، الذي هو سيد الأولين والآخرين.

واعلم أن أهل العلم بالله الراسخين فيه لا يشهدون نفوسهم لفنائهم في ذات الله تعالىٰ، ومن دونهم في الرسوخ كل واحد بحسب مقامه، كما أن أهل المراقبة يشهدون وجودهم بوجوده، لكن وجودهم ثابت بالثبات لنفوسهم، وهم في ذلك مقامات:

فأهل العلم بالله تعالىٰ لا يثبتون إلا ما هو ثابت، وهي الذات الشريفة، العالية، المنزّهة عن أوصاف الحدث. والذات إن ثبتت لا يمكن أن يثبت معها شيء قط. بخلاف إثبات الصفات عند ساداتنا أهل الظاهر؛ فإن الأشياء ثابتة عندهم، موجودةٌ في نظرهم، قائمةٌ بقدر الله تعالىٰ، وثبوتهم لها بسبب ظهور فعلها لا غير، ولولا ظهور فعلها ما عرفوها.

فمنهم: من يرىٰ الفعل عين الصفة، فيفنىٰ في الفعل لعلمه بأن ذلك هو الصفة.

ومنهم: من يرىٰ الفعل أثر الصفات، فيفنىٰ في الصفات حقيقة، فيكون باطنه فانياً في الله بلا علم، وظاهره باقياً بنفسه، وببقائها ثبتت الأكوان، لكن تظهر أخلاقاً حميدة، وكرائم، وأحوالاً إثر فناء باطنه في الله. كما أن صاحب الفناء في الفعل يقرب مقامه من هذا، وله أخلاق أيضاً، وأحوال وكرامات، لكن لا تلحق الذي فوقه، وعند نفسه أنه في الغاية، كذلك الذي فوقه، وهكذا حتى أن المستشرف على الذات الذي هو أعلاهم يزعم أنه في الغاية، ولذلك تراه ينكر الوسائط والأسباب التي بها دخل وإليها يخرج إذا انتهىٰ أمره واستقر حاله.

وذلك الإنكار إنما هو البقية التي تحجبه عن الكمال، إذا وصل واستقر في العلم بالله رأىٰ الوسائط والأسباب بهم عرفت المعاني الشريفة، وهم أنوارها، وأدلتها عليها بها لا معها، فيتحقق ويتيقن أن لولا ظهور أثرها منها عليها لا معها لما عرف قدرها، ولبقيت كنزاً مطلسماً.

فأول ما يظهر له وجوده، ثم سائر الموجودات بالله تعالىٰ لا بها، فيتأدب مع وجوده، ومع وجود الكائنات، ولا يرىٰ أدبه معها بنفسه، بل ذلك الأدب بربه، إذ لا نفس له من حيث لا وجود له.

وهذه العبارات لأرباب الأذواق لا غير، إذ لا يفهم ذلك سواهم، ولا يعرفهم غيرهم، فافهم.

[عدم قطع المريد زيارة إخوانه في ربه]

٦٣ ـ **ومن أدب المريد أيضاً**: أن لا يقطع زيارة إخوانه في ربه، ولا يحقر صغيرهم، ولا يترفع فوق جاهلهم، وليسر بسيرهم.

وينبغي للزائر أن يترك الطمع من حيث هو، ويقصد بزيارته وجه الله تعالىٰ، إذ بذاك ينشرح قلب الزائر والمزار.

واعلم أنه ما طمع عبد في مثله إلا فسدت الصحبة، وانقطعت المودة، ووقع الاغتياب في بعضهم بعضاً، وانتشار الحسد، والبغض والتكبر على بعضهم بعضاً. وهذا كله سببه الطمع، والطمع من أعظم حب الدنيا، والطمع هو المفرق بين الأحبة. فمثل المحبة كالنار الحامية، والطمع كالماء البارد، والماء والنار لا يجتمعان قط.

ونقول: مثل المحبة كالبارود الرفيع، والطمع كالنار، مهما التقىٰ هذا مع هذا ـ أعني النار مع البارود ـ ذهب البارود وبقيت النار، إلى غير ذلك.

وبالجملة: صاحب الطمع لا ينتفع به أحدٌ، وإن علمه للغير، ولا ينتفع بعلمه، ولا بحاله، لأنه على حرف، إن أخذ به حاجته فرح، وإن لم يأخذ به حاجته ذهب مذموماً محسوراً. وكيف يكون النفع بعلم من هذه حالته أو بعلمه أو حاله؟! إنما النفع بمن يقصد به وجه الله، سواء علمه للناس، أو عمل هو به، وسواء ذموه، أو مدحوه، سواء عملوا به أم لا.

والفقير الصادق المتجرد المنقطع عن الأسباب إن كان به حاجة فليصبر حتى يفتح الله بها عليه. وإن كان ولا بد، وضاقت عليه نفسه، فليشاهد الحق في الخلق، ويمد يده للسؤال افتقاراً لله، واحتقاراً لنفسه. فإن أعطي شيئاً أخذه من يد الله، والخلق حكمة مستور بها سره سبحانه. وإن منع رأى أن الله منعه من قوت الأشباح ليزداد له ذلك في قوت الأرواح، وهو أحسن وأحسن.

ولا يحرم من العطاء في حالة المنع إلا الجاهل الذي يرى العطاء من الخلق. وأما الذي يراه من الحق ـ سبحانه ـ فلا يراه إلا عطاء له في كل حال. كيف والحق ـ سبحانه ـ سمى نفسه: «الكريم» وحاشا من هو وصفه هذا على الدوام أن يحرم عبده! وهذا لا يكون قط.

واعلم أن العبد إذا حرم فليعلم أنه من نفسه، وأنه لا يعرف إلا العطاء الحسي الذي هو من الخلق ـ كما قلناه ـ وإن كان يقول: المعطي هو الله.

فلو علم هذا المسكين ـ مثلي ـ أنه ـ سبحانه وتعالى ـ هو المعطي، لرآه المعطي في منعه ـ سبحانه ـ، ولكن إذا أعطاه شهوة نفسه، قال: هو المعطي. وإذا منعه وأعطاه في المعنى، قال في حق نفسه: هو المحروم!. فيرفع الله عنه نعمته الباطنة، لجهله، فيبيت ويمسي في الهم والغم، فافهم عنه يا مسكين!.

واعلم أنه إذا منعك أعطاك، وإذا أعطاك ربما أعطاك وربما منعك. ولا يعطي الله ظاهراً وباطناً إلا لعبد محبوب، كما أخبر عن نبيه سليمان ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ، بقوله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾﴾ [ص: ٣٩].

وقد أعطي لنبينا وسيدنا محمد ﷺ أكثر من هذا فقال: «**أكون عبداً أجوع يوماً وأشبع يوماً**»[1]. أو كما قال ﷺ.

---

(١) رواه الترمذي في صحيحه، باب ما جاء في الكفاف والصبر، حديث رقم (٢٣٤٧) [٤/ ٥٧٥] والطبراني في الكبير، عن أبي أمامة، حديث رقم (٧٨٣٥) [٨/ ٢٠٧] ورواه غيرهما ونصه: عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «**عرض عليّ ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً فقلت لا يا رب ولكن أشبع يوماً وأجوع ثلاثاً، وإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك**».

وانظر ـ رحمك الله ـ إمام العارفين، وسلطان الواصلين، ورحمة العالمين، كيف اختار العطاء في المنع بعد أن قال له مولانا جلّ جلاله: «لا أنقص لك شيئاً مما أعطيتك»، أو قال له ـ سبحانه ـ لهذا النبي الكريم العظيم القدر والجاه عند مولاه: إختر. «فاختار العبودية» إذ هي عين الشرف، وهي المقام الأعلىٰ الذي خصه الله بتمام كماله.

فكل الأولياء ـ وقبلهم الأنبياء ـ أخذوا النصيب من المقام، وبه صاروا أنبياء كراماً، وأولياء عظاماً.

هذا النبي الكريم ﷺ أخذه بتمامه. وكل الأنبياء والأولياء بقي فيهم وصف الحرية إلا نبينا ﷺ، لم يبقَ فيه منها قليلٌ ولا كثير!. وهذه الحالة لا يطيقها أحدٌ سواه ﷺ ولذلك كان هو سلطان العارفين، والأولين، والآخرين.

فكيف بك أنت يا مسكين! أعطاك الله العبودية قهراً على نفسك، محبة فيك، وردتها على مولاك! حيث جهلت قدرها!.

والله لو علمت ـ يا مسكين! ـ ما في الفقر من الخير لقاتلت عليه مع أهله. ولو علمت ما في الذل من الخير لقاتلت عليه مع أهله، وهكذا سائر أوصافك، إذ لولا أوصافك ما كنت أهلاً للإيجاد. ولولا أن قام بها رجالٌ كرام ـ رضي الله عنهم ـ لبقيت حتماً في العدم.

فافهم ـ يا أخي! ـ واترك الطمع ـ كما قلنا ـ، وإن زرت أخاك في الله فزره لله، وقد تقدم على هذا المعنىٰ كلام قبل هذا ـ والله أعلم ـ أو ما يناسبه.

وقد ورد في فضل الزيارة أحاديث:

منها: «أن غبار أقدام الزائرين لله خالصاً ترفعه الملائكة وتضعها على رؤوس الأسارىٰ، فتحن عليهم قلوب الكافرين ببركتها»[1].

ومنها: «أن الله تعالىٰ جلّ جلاله أوحىٰ إلى نبيه داود ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ: يا داود! اجعل عصا من حديد ونعلين من حديد وطف على الفقراء»[2].

وعنه ﷺ أنه قال: «زر غباً تزدد حباً»[3].

---

(١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

(٢) رواه الدارمي في سننه، باب الرحلة في طلب العلم. . ، حديث رقم (٥٦٥) [١/١٤٩].

(٣) رواه الحاكم في المستدرك، ذكر مناقب حبيب بن مسلمة الفهري. . ، حديث رقم (٥٤٧٦) [٣/٣٩٠] وابن حبان في صحيحه، ذكر البيان بأن المرء عليه. . ، حديث رقم (٦٢٠) [٢/٣٨٦].

إلى غير ذلك ممّا ورد في فضل الزيارة، فعليك بها بعد ترك الطمع فيما بأيدي المزار، ولا بأس بالمزار، إن كان عنده شيء أن يكرم به أخاه، فهو من أحسن ما يكون.

والبخل من أقبح ما يكون في الصوفي، ولا يكون صوفي بخيلاً قط، لأن البخل وصف النفس، والنفس لا تكون عند الصوفي إن كان صوفياً، وإن كان متصوفاً ـ أعني: سائراً ـ تارة بتارة.

واعلم أن ترك الطمع من الهمة العالية، التي هي من شأن أهل الله رضي الله عنهم، والطمع من شأن أهل الهمة الدنية التي هي من شأن الغافلين. وعندي أن الهلوع من صاحب الطمع، وأنه يمسك ولا يعطي، ولو كان يعطي لما طمع في أحد، والغالب على الطامع كله البخل، وإذا رأيت الطامع يعطي فاعلم أنه لحظ، وهذا ما ظهر، فقلّ أن يعطي صاحب الطمع لغير حظ. قال جلّ من قائل: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النّساء: ١٤٢]. يعني: قلّ أن يعطي لله، والعطاء لله ذكر لا محالة.

ولا يزول الطمع من صاحبه إلا بالقناعة والثقة بالله، والإياس مما في أيدي الناس، فافهم!.

واعلم أن من أعطي له شيء من أخيه أو من غيره بلا استشراف له، ولا طمع، ولا التفات من النفس قليلاً ولا كثيراً فليأخذه ولا يرده، فإنه كرامة من الله تعالىٰ، لا سيما إن سبق نظر الله إليه قبل نظر النفس لها، فهذا أحل الحلال.

وإن سبق نظر الخلق وليس للنفس استشراف ولا طمع في ذلك، ولا التفات، فالنظر لصاحبه إن شاء رده لأجل رؤية الخلق، وإن شاء أخذه لأجل الإياس مما في أيدي الناس.

والظاهر لي ـ والله أعلم ـ إن كان فقيراً أخذه، وإن كان له شيء غيره تركه. وإن رده لأخ له في الله فليخبره لئلا يتألم، وإن كان عارفاً بسياسة النفوس فلا يخبره، لأنه يعرف علة الرد، ويرد ما أعطى الأخ للأخ، أو غيره من علة أخرىٰ إذا كان المعطي فقيراً أو حالته الإيثار، فإنه يرده له ويجعله صدقة على صاحبه الذي أعطاه. وإذا كانوا فقراء أو أهل إيثار فليقسموا ذلك بينهم أنصافاً. وإن حضر في ذلك الوقت من هو أحوج منهم سواء كان من أهل الطريقة أم لا فليدفعوها إليه.

فمن عرف هذه السياسة نال كمال المعرفة بالله تعالىٰ. اللهم اجعلنا من أهلها، ولا تحرمنا من سرها، بجاه سيدنا ومولانا محمد ﷺ.

واعلم أن الزهد في الدنيا هو أساس الزهد في النفس، والزهد في النفس هو أساس الزهد فيما سوى الله تعالى. ومن لا زهد له في الدنيا لا يطمع أن يزهد في نفسه، ومن لا زهد له في نفسه لا يطمع أن يرتفع عنه الحجاب.

فافهم يا أخي! وأيس نفسك من الدنيا كل اليأس، ثم أيس نفسك من الجاه عند الخلق، تنل بالفقر والذل أعلى المراتب. فإن لم تقدر عليها فعليك بالقناعة والمسكنة، وحب المساكين، والدنو منهم، والجلوس معهم، فإنك تنال التواضع بتواضعهم، وتنال الزهد بزهدهم.

وأما إذا جالست الأغنياء وأهل الجاه والرياسة فلا تطمع في خير من خير القلوب، واحمد الله إذا قمت بالأوامر الظاهرة.

فاترك ـ يا أخي! ـ علل نفسك، واعتمد على فضل الله، وعلّق همتك بربك، واشتغل بمراعاة قلبك، وقل: «الله، الله، الله» ودم على ذلك فإنك ترى سر ربك.

[لا يشتري المريد من شيخه ولا يبيع له]

٦٤ ـ **ومن أدب المريد الصادق:** أن لا يشتري من شيخه شيئاً، ولا يبيع له شيئاً، وإنما يشتري منه العلم بالله تعالى، ويبيع له نفسه لا غير. وكيف تبيع له وهو الغني بالله، وأنت الفقير لله، وكيف تشتري منه الحس، وأنت قصدته بنية شرائه منك، ليدفع لك في ثمنه المعنى؟ فإن فعلت ذلك بطل قصدك، وطاح تعظيمك واحترامك لشيخك، ورجع ذلك دنيا وأنت لا تشعر، فافهم!.

واستحِ من الله أن تتكلم أمامه على الدنيا وأنت تريد الآخرة، فالدنيا لا يعطيها للشيخ دون النفس إلا دني الهمة عن الوصول. وأما من علت همته إلى مولاه يستحي أن يدفع فلسه ويترك نفسه، إلا إن كان من عامة الناس، فهذا لا بأس به.

تقول الناس حكمة جليلة: «نتف من الكلب ولا يغدي سالم» أي: ولا يرجع سالماً.

والمال إنما يؤخذ من عامة الناس، وذلك لضعف حالهم، ودنو همتهم، وعظم نفسهم. لأنهم يرون إعطاء المال شيئاً كبيراً، وهو ـ والله ـ شيء صغير النسبة لمن أعطى نفسه، هذا مقامهم في الصدق مع الله، ولو كمل صدقهم لرأوا إعطاء النفوس شيئاً صغيراً، لأن من باع نفسه أعطاه الله سبحانه نفسه فيها، وذلك أن يمده سبحانه بوصفه، فيقول للشيء: «كن يكون».

ولهذا المعنى قال مولانا رسول الله ﷺ حاكياً عن الله عزّ وجل: «**لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه وإن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن؛ يكره الموت، وأنا أكره مساءته**»[1].

والنافلة التي ليس فوقها نافلة هي بيع النفوس، وهي ـ والله ـ أمرٌ عظيم قلّ من يطيقه، إذ كثير من الناس يزعمون أنهم باعوا نفوسهم، وهم ـ والله ـ ما باعوا منها إلا أقل القليل.

الذي باع نفسه ساكنٌ في الفقر على الدوام، ساكنٌ في الذل على الدوام، ساكنٌ في الضعف على الدوام، ساكنٌ في الجهل على الدوام، مع علمه، إذ العلم لله لا له، ومن ادعاه لنفسه فهو مشرك. والعلم إنما هو دلالة على أن يحققك بوصف نفسك، ومن وصف نفسك الجهل لا العلم، فافهم! واكتفِ بعلم الله فيك، وكن حقيراً ذليلاً فقيراً، جاهلاً، عاجزاً كالكلب الذي لا مولى له بين الكلاب والناس، فهذا حال من باع نفسه، ومن كان هذا حاله كان الله وليه ونصيره، وهذا هو الوراث للنبي ﷺ في الأحوال، لا في الأقوال والأعمال. وهذا هو المشار إليه بقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾ [التوبة: ١١١].

انظر كيف قدّم الله المؤمنين، وقدّم النفس، فهذا دليلٌ على أن النفس شيء، والمال شيء آخر. وأن النفس لا يبيعها إلا الصديقون، وأنها معنوية، ولا تموت أبداً، فكلما قتلتها حييت، وكلما حييت وقتلتها زدت في القرب، حتى تنتهي في القرب، ولا نهاية له. فإذا حصل القرب التام حييت النفس حياةً لا موت بعدها أبداً، وكل واحد يصل إلى ما سبق له منه.

وبقدر سير الفقير في هذه الدار يكون ترقيه في تلك الدار، والله أعلم. إن كانت معانيه قهرية هنا، تكون هناك كذلك، وأكثر، وإن كانت ضعيفة تكون هناك كذلك، ولكن لا بد من الزيادة في الجهتين، والله أعلم.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، باب من جاهد نفسه في طاعة الله، حديث رقم (٦١٣٧) [٥/ ٢٣٨٤] وروى نحوه الطبراني في المعجم الأوسط، من اسمه هارون، حديث رقم (٩٣٥٢) [٩/ ١٣٩] ورواه غيرهما.

قال مولانا ـ جلّ جلاله ـ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]. وهذا ظاهر، والله أعلم.

ولنرجع لما أردناه:

ولا ينبغي للفقير أن يبيع شيخه ويشتري منه، وهذا هو الحق، ولكن إن أعطاه الشيخ شيئاً أخذه على وجه التبرك لا غير، وإن أخذه على غير هذا فليس بمريد صادق، وإن أخذه فليتب، وإن أعطىٰ الدنيا بحذافيرها للشيخ لا يرىٰ فيها مزية حتى يعطي نفسه.

وإن صحّ إعطاؤها فليغب عن إعطائها وعنها. وكيف يعطي ما ليس له؟ والنفس هي لله، أعطاها الحق لنا لنردها إليه، ونتأدب بها بين يديه، ونعرفه بها، ونحبه بها، ونذكره بها، ونتقرب إليه بها. وهذا كله من كرمه سبحانه، هي له، وأعطاها لنا لنكون بها له لا لنا، ونبيعها لله، لتصح العبودية التي أراد الحق منا. وبأخذها لنا تصح الحرية التي نهانا الله عنها، وبسببها هلك من هلك. وبسبب العبودية نجا من نجا.

ولنرجع للذي أردناه:

قلنا: ولا ينبغي للفقير الصادق أن يبيع لشيخه ويشتري منه فإن كان له شيء فليكرم به شيخه لله، ولا يرىٰ له مزية كما قلناه.

وإن أخذ شيئاً من الشيخ بعد إعطائه له من غير قصد ولا سؤال ولا غير ذلك فيأخذه على وجه التبرك كما قلناه، لأن عطية الشيخ لا ترد. لكن إن علم أنها منه بلا سبب، وأما إن تعرض له بشيء من الشكوىٰ في حاجة حتى أتاه بها فليعلم أنه أعطاها له على غير وجه التبرك. فإن كان صادقاً تصدق بها قهراً لنفسه. وإن كان فقيراً فلا بأس بأكلها، وليتب، ولا يعد.

ولا يشتكي للشيخ بالفقر ولا بالفاقة ولا بالحيرة، لأن ذلك الذي يشتكي له به عليه دله هذا الشيخ، إذ النفس لا تموت ما دامت تفر من الضيق، لأن الضيق مفتاحٌ للتوسع، والتوسع مفتاحٌ للضيق، والأشياء كامنةٌ في أضدادها، ككمون النار في الحجر، ولا يخرجها إلا إذا قرنت بالهند[1]، وبعد ذلك بالضرب في بعضها بعضاً، عند ذلك تخرج. كذلك النفس هي بمنزلة النار، والآدمي بمنزلة الحجار، والعمل بمنزلة الثقيل الهند، والهمة هي التي تجمع هذا مع هذا، فإذا قرن العلم بالعمل وتلاطم هذا مع هذا تلاطماً

---

(١) الهند: كلمة دارجة مغربية معناها المغناطيس، وتطلق في جنوب المغرب على الحديد (معجم شمال المغرب تطوان وما حولها).

شديداً ظهر بينهما سر النفس الذي هو مخبأ، فافهم يا أخي والله يوفقنا وإخواننا والمسلمين أجمعين للإخلاص من نفوسنا، آمين.

وكذلك أيضاً: لا ينبغي للفقير أن يبيع لأخيه ويشتري منه، فإنهم أحباء في الله تعالى، وعليه اصطحبوا، وفيه تحابوا، وتوادوا، وإذا دخلت الدنيا بينهم فسدت تلك المودة، وزالت تلك المحبة، ورجعت النفوس كما كانت أول مرة، فتراهم بعد هذه الحالة يتهارشون على الدنيا كما يتهارش الكلاب على الجيفة، وأكثر وأكثر. إلا أن الكلاب فيهم خصلة كونهم بعد المهارشة لا يبقى في قلوبهم غلٌ لبعدهم عن وصف البشرية التي خص بها الآدمي. ولا تزول هذه العلة من الآدمي إلا إذا ذكر الله بقلبه لا بجوارحه فقط، فإذا حصل هذا تطهر من وصف نفسه.

واحذر من الدنيا جهدك، واعلم أنها هي أصل كل عداوة بين بني آدم وغيره، ولولا هي لكان الناس كأهل الجنة. وسبب بُعدهم عن هذا: الغفلة عن الله، ولو زالت الغفلة لزال الجهل، ولو زال الجهل لجاء العلم بالله، وإذا حضر العلم بالله كان الناس كأهل الجنة، وإلى ذلك الإشارة بقوله سبحانه: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [الزخرف: ٦٧]. وهم المحبون في الدنيا، المصطحبون عليها، إذ لا بد لهم من العداوة أحبوا أم كرهوا. وكيف لا تكون بينهم العداوة والدنيا عدوة لله ولرسوله ﷺ.

واعلم أن كل عداوةٍ نشأت إنما هي بسببها، فافهم.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧] يعني: الذين اصطحبوا على الله، وتزاوروا في الله، وتذاكروا في الله، وتحابوا في الله، وتناصحوا في الله، وفنوا في الله، وبقوا بالله. جعلنا الله منهم وإخواننا وكافة الأمة الأحمدية بمحض كرم الله، بجاه مولانا محمد ﷺ عند الله، آمين.

ولنرجع لما أردنا:

اعلم أن لا شيء أنفع لفيض المدد الإلهي من مودة الأخ للأخ في الله، لا سيما الشيخ أكثر وأكثر، إذ بنفس ما تتودد في الله تمتد من الله. وهذا يدل على أن الله واحد لا مودود في الحقيقة سواه.

انظر - أخي! - مهما وددت فيه مدك في الحين بسره سبحانه. ومهما وددت الغير بالغير انقطع المدد وبطل السير.

وانظر - رحمك الله - إن لم تعرف المدد المعنوي فهو ظاهر في الحس، إذا وددت أخاً أحبك وودك، وإذا أمدك أحببته، وودته. وإذا أبغضته أبغضك، وإذا أبغضك أيضاً أبغضته ما لم تحصل على العلم بالله.

فمن كانت مودته بالله كانت على الحقيقة لله بالله. ومن كانت مودته لأجل الخلق كانت على الحقيقة للخلق بالخلق، وهذا ظاهر.

وإذا حصل العلم بالله تحسن لمن أساء إليك وتحب من أبغضك، وتكرم من بخل عليك إلى غير ذلك، لأنك تكون غنياً بالله، غائباً عن توهم ما سواه.

واعلم أنك إذا وددت في الله بأعز ما عندك فإنه يحصل في القلب سره قبل فعله، وقد جربت هذا مراراً؛ أهتم بشيء أفعله لله وهو ثقيل على نفسي فأجد سره في قلبي قبل فعله، وأشاهد ظلمة النفس ذهبت من قلبي عند الاهتمام به، وهذا ظاهر لأهل البصائر.

واعلم أن الشيء الذي يصعب على النفس هو النفس، فاخرج عنها، ولا تجنح إلى الخفيف وتترك الثقيل، ذلك كله من عدم صدقك في عبوديتك لربك. والنفس متلونة، وتلونها بحسب حبها للشهوات، ورأس ذلك كله حب الدنيا، ورأس الشهوات والعوائد حب المال والجاه، فمن خرج عنها خرج عن كثير من الأوصاف الذميمة. والمبتلىٰ بحب المال والجاه لا تجده إلا كثير الغضب، وصاحب الغضب فاسد القلب والجوارح لا محالة، ومن تطهر من هذا الوصف الذميم تطهر من كثير من العلل وهو أساس الأعمال الصالحة كما قلناه. ولذلك قال رسول الله ﷺ للسائل: «لا تغضب» قال: زدني يا رسول الله! قال: «لا تغضب»[1] ولم يزده شيئاً على ترك الغضب، والحلم.

فالغضب في الظاهر واحد، وأسبابه في الباطن متلونة، ينشأ عن فقد حظ النفس، وأسباب فقد الحظ كثيرة، وكيفما تكون، وتلون سببه في البواطن ظهر في الظواهر. ولو علم المؤمن ما في رده من الخير لكانت أعمال المؤمنين كلها في تصفية هذا الوصف، ولما أخذوا من الأعمال سوىٰ ما لا بد منه. كيف؟ وقد مدح الله عزّ وجل أهله بأجل المدح في كتابه العزيز، فقال: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٤].

وقال أيضاً: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البَقَرَة: ١٥٦، ١٥٧].

ومعنىٰ: «قالوا إنا لله»: هو رد الغضب من الظواهر رغماً على أنف النفس حتى يكونوا لله لا لنفوسهم. وقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٥٦] يعني: رجوعهم

(١) رواه البخاري في صحيحه، باب الحياء، حديث رقم (٥٧٦٥) [٥/٢٢٦٧] ورواه الحاكم في المستدرك، ذكر جارية بن قدامة التميمي، حديث رقم (٦٥٧٨) [٣/٧١٣] ورواه غيرهما.

إليه سبحانه وقت قيام نفوسهم عليهم، فإذا رجعوا لله سبحانه كفاهم أمرها، وكفّ عنهم غيظها حتى لا يكون في القلب شيء سوى الحلم، وكيف لا يصلي الحق سبحانه على من هذا وصفه؟ وكيف لا يكون مهتدياً وهو مخالفٌ لنفسه، والمخالف لنفسه هو الطائع لربه، فافهم.

[عدم تزوج مطلقة الشيخ أو أرملته]

٦٥ ـ **ومن أدب المريد الصادق أيضاً**: أن لا يتزوج امرأة شيخه ـ المطلقة مثلاً ـ ولا غيرها، وإنما الشيخ عند الفقراء الصادقين مثل وجود مولانا محمد ﷺ، وعلمه، وعمله، وحاله. كذلك الشيخ، لأنه يأخذ العلم عن الله، كما يأخذه الأنبياء، لأن ذلك مقام الرسالة، وهذا مقام الولاية. وقد وقعت المشاركة في العلم بالله لا غيره.

فالأنبياء يأخذونه بإلهام تارة، وبواسطة الملك تارة. والأولياء يأخذونه بإلهام فقط، ومن فني عن نفسه، وبقي بربه مع وجود الصحو فهو الكامل، ومن هذا حاله هو الذي يأخذ العلم عن الله بالله لا به.

وهذا هو الشيخ في الحقيقة، بخلاف شيوخ التعليم ـ نفعنا الله ببركاتهم أجمعين ـ إذ هم يأخذون العلم عن الوسائط، إلى مولانا محمد ﷺ، وكذلك العلماء العاملون، ولا بد لهم من الفهم في العلم واقتباس بعض معانيه، لكن مع الحذر من الجهل والغلط، لثبوت نفوسهم.

والعارف يأخذ المعاني ولا يبالي، لفنائه عن نفسه، وبقائه بربه، ولذلك تراهم تجري على ألسنتهم العبارة أبداً، ولا يسكتون، وإن جهلوا، وذلك من حيث فقد النفوس، وذهاب عالم المحسوس.

وأما من هو بنفسه إن صادف زاد وإلا تقهقر. وإلى ذلك أشار تاج العارفين ابن عطاء الله رضي الله عنه بقوله: «من عبر من بساط إحسانه أصمتته الإساءة، ومن عبر من بساط إحسان الله إليه لم يصمت إذا أساء».

فعبارة العارفين: بالله. وعبارة غيرهم: بنفوسهم. وشتان بين من هو بنفسه مع من هو بربه.

ولنرجع لما أردناه:

قلنا: ولا ينبغي للفقير الصادق أن يتزوج امرأة شيخه، إذ لا تحل له في مذهب أهل الصدق والتعظيم، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وقد قلنا إن المريدين الصادقين بمنزلة الصحابة مع مولانا محمد ﷺ. وهذه الآية في أزواج مولانا محمد ﷺ عامة وفي أزواج الشيوخ خاصة بالفقراء، فافهم!.

وأما ابنة الشيخ فلا بأس للفقير الصادق أن يتزوجها إن علم أنه يقوم بالأدب معها كما يقوم مع أبيها، وذلك قلّ أن يوجد، لأن النساء أضعف العقول. وهذا إن أذن له شيخه فيها. وإلا فحرامٌ عليه أن يطلب ذلك منه، أو يعلق قلبه بذلك، فكل هذا من أعظم سوء الأدب، فافهم!.

وقد تزوج ابنة مولانا محمد ﷺ التي هي سيدة نساء العالمين، صاحبه وأحب الناس إليه ﷺ وأقرب الناس إليه حساً ومعنىً: وارث مولانا محمد ﷺ في العلوم اللدنية وهو إمام الصوفية: مولانا علي كرّم الله وجهه، تزوج مولاتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنها وأرضاها وعنا بها، وجعلنا من ذريتها الحسية والمعنوية، آمين بجاهها وبجاه أبيها عند الله ـ مولانا رسول الله ﷺ، خاتم النبيين والمرسلين، وسيد الأولين والآخرين.

وقد تزوج أيضاً ابنتين من بنات المصطفىٰ ﷺ صاحبه مولانا عثمان بن عفان رضي الله عنه وهذا ظاهر.

والشيخ لا حرج عليه أن يتزوج ابنة المريد وزوجته ـ إن أراد ذلك ـ كما تزوج مولانا رسول الله ﷺ زوجة زيد. وتزوج ابنة مولانا أبي بكر الصديق رضي الله عنه مولاتنا عائشة رضي الله عنها. وابنة مولانا عمر بن الخطاب رضي الله عنه مولاتنا حفصة رضي الله عنها. وغيرهم رضي الله عنهم، وأرضاهم.

وزوجة الأخ للأخ فلا بأس بها، وكذلك بنت الأخ للأخ، أي أخوة في الله لا في النسب، كذلك أيضاً.

ومن المشهور في طريق الوصول إلى الله تعالىٰ أن الفقير الصادق لا ينبغي له أن يعلق قلبه بالتزوج، ولا يجول فيه، ولا يلتفت إليه، ولا لمن يذكره له. فإن القلب إذا تعلق به فسد. والنفس إذا اشتاقت إليه تاهت عن الله تعالىٰ. والعقل إذا جال فيه لا يقبل العلم، ولا تصفىٰ له فكرة، ولا تثبت له نظرة.

ولا ينبغي له أن يتزوج إلا إذا علم أنه يفتتن بشهوة الحرام، وهذا واجب عليه على أي حالة كان سواء كان في البداية أو في النهاية، أو غير ذلك، وأنه في حق هذا من أعظم الواجبات.

وأما الذي لا فتنة له بقلبه بشهوة نفسه، فالواجب عليه تركه بالكلية، حتى يتمكن من الحضرة الإلٰهية، عند ذلك يفعل ما شاء. ولا ينبغي للفقير الصادق أن يشغل قلبه به، فإنه من أعظم الفتن في طريق الله، وأنه من أعظم حب الدنيا.

انظر كيف قدم الله شهوة النساء على كل شهوة، لأنها تسلب صاحبها من سائر الأسائر الأسرار أحب أم كره. لأن هذه الحالة هي ضد الفناء في الله. فكما أن حب الله يسلب العقول إذا نزل بصاحبه حتى لا يلتفت لشيء من الدنيا، ولا لشيء من الآخرة. كذلك هو الأمر، يسلب العقول المعقولة عن عقلها، حتى لا يبقىٰ لها التفات لشيء آخر.

أو نقول: كما أن الروح تجذبها المعاني المعنوية لحضرتها حتى لا يبقىٰ فيها قليلٌ ولا كثير كذلك النفس تجذبها المعاني الحسية لحضرتها حتى لا يبقىٰ لها قليلٌ ولا كثير، وأرىٰ المعاني الحسية هذا الأمر ـ يعني أمر النساء ـ فاحذروه جهدكم يا إخواني! وأنا لكم من الناصحين.

ولنرجع لما أردناه من تبيين الآية قبل:

قال مولانا جلّ جلاله: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [آل عِمرَان: ١٤].

انظر: كيف قدّم الله شهوة النساء على سائر الشهوات، لأنها هي رأس الشهوات، ولبها، وروحها، ولا تزول هذه الحالة إلا باشتعال نار المحبة في القلب، أعني: محبة الله ورسوله ﷺ. ومحبة الله ورسوله ﷺ ينشأ عنها الشوق، والقلق، والخوف المزعج، وهو الذي يخرج هذه الشهوة المتمكنة من القلب، وإلا فلا.

فعليك يا أخي! بدوام حب الله ورسوله ﷺ حتى يعظم في قلبك وتشتعل ناره في جسدك فيطهرك ظاهراً وباطناً من سائر العلل، لا سيما هذه العلة التي تمنع صاحبها سائر الفكرة التي هي مفتاح للحضرة، أحب أم كره. ولذلك قال شيخ شيخنا مولانا علي العمراني ـ نفعنا الله ببركاته آمين ـ: سمعت ذلك من شيخنا مولاي العربي الدرقاوي الشريف الحسني رضي الله عنه ونفعنا ببركاته آمين قال: كان يقول: «الكلام عندنا ممنوع في ثلاثة مسائل: ـ زاد بعضهم الرابعة ـ، قال: كنه الربوبية، والسلطنة، والرسالة، والنساء».

وهذه المسائل الأربع لا يتكلم فيها إلا الجاهل لا محالة، وأما العالم فلا مدخل له فيها، لاشتغاله بالله، والذي لا يشتغل بالله يشتغل بالفضول.

وقد جعل الله الأسباب الدنياوية لحكمة، شغل الله سبحانه كثيراً من الناس لئلا يزيغ قلبهم بالجولان فيما لا يعني فتفسد عقيدتهم، ـ والله أعلم ـ بما يصلح به عبيده سبحانه. لأن التفريغ ـ غالباً ـ لا يصلح إلا بأهل العلم بالله الذين هم أهل الفكرة النورانية السالمة من الشك والظن والوهم، والخيالات والوساوس النفسانية والشيطانية، ولذلك لا يصلح

التجريد إلا لأربابه الذين علت همتهم عن عالم الشهوة. ولا يصلح بغيرهم ولا يفسده التفريغ، وذلك لعدم اشتغالهم بالله فتسلط عليهم نفوسهم، فتأخذهم إليها، وتملكهم ملكاً كلياً. فلا هم في الأسباب بقوا لتوصلوا إلى معاشهم، ولا هم على سر التجريد حصلوا، فافهم!.

واشتغل بالله على أي حالة كنت، فإن كبر ذكر الله في قلبك ونسيت به الأسباب فهو المطلوب. وإلا فقم في الأسباب واجتهد في ذكر الله ربما يعظم الذكر في حالة الأسباب مثل ما يعظم في التجريد حتى مع وجود الأسباب، والتجريد إنما هو لتفريغ النفس من الحس لترجع قوتها الظاهرة في الباطن لا غير، فافهم! والسلام.

[الفقير ابن وقته]

٦٦ ـ **ومن أدب المريد المتجرد** ـ خصوصاً صاحب الفكرة ـ أن لا يكون له وقتٌ ثانٍ ينتظر ما يفعل به، فإن ذلك يشوش فكرته عليه، ويفوت همته، ولذلك قالوا: «الفقير ابن وقته».

فالواجب على صاحب الفكرة أن يكون كل ساعة ينظر ما يبرز من عنصر القدرة فيتلقاه بالمعرفة، وكل ساعة يرى أنها آخر عمره، فبهذا تشعل الفكرة وتصفو النظرة، ومن لم تصف له الفكرة والنظرة فالبطالة لازمة له، فالفقير بلا فكرة كالخياط بلا إبرة، والسلام.

إلهي! عظمت الدعاوي مع وجود المساوي، وعبدك الضعيف لغير بابك لا يأوي.

إلهي! كيف يعتمد العبد الجاهل على عمله وهو من بحر فضلك أبرزته؟ أم كيف يعتمد على عمله وأنت الذي إليه وفقته؟ أم كيف يستند على حاله وأنت من السكون لغير الفضل حذرته؟.

إلهي! وقف عبدك على باب فضلك بمحض كرمك بلا علة، فلا تحمّله اللهم! ـ بجودك ورحمتك ـ حمول المشقة والمذلة.

إلهي! من استعزّ بسواك ذليل، ومن استشفىٰ بغير حبك عليل.

إلهي! كيف يستعز الذليل وأنت العزيز الجليل؟.

إلهي! تجليت بجمالك للنفوس فدهشت، فمنها بسبب السعادة انقادت، ومنها بسبب الشقاوة أبقت. فأنت الحكيم العليم، لا تسأل عما تفعل.

إلهي! أنت العليم بمخلوقاتك، ولا علم لغيرك إلا ما علمته، وأنت الحكيم بحكمتك، خلقت أسباب الهداية ويسرتها لمن أحببته، وخلقت أسباب الضلالة ويسرتها لمن أبغضته.

إلهي! من سبقت له عنايتك في الأزل بفضلك رحمته، وبسر لطفك هديته، وإلى كمال الإخلاص وفقته. ومن حكمت عليه بالشقاء بعدلك جهلته بعدما علمته، وخذلته بعدما وفقته، وسلبته بعدما أعطيته، وأبعدته بعدما قربته.

إلهي! لا تسلبنا بعد العطا، ولا تحرمنا بسبب الغفلة والغطا. واجعل فضلك - اللهم! - لمساوينا غطا، يا رباه! يا مولاه!.

إلهي! أعوذ بك من الجهل بعد العلم السابق، وأعوذ بك من الغضب اللاحق، وأعوذ بك من حجاب الحجاب الذي لا معرفة فيه ولا أدب.

إلهي! إن لم تستر عن عبدك المساوي، وتمح عنه الدعاوي، إلى أين ياوي؟.

إلهي! من عرف فضلك وعظيم قدرك لا يحزنه الفزع الأكبر مع كثرة جرمه، ومن جهل فضلك وعظيم قدرك أقل شيءٍ من الهم يرديه.

إلهي! من تكرمت عليه في سابق الأزل فهو الكريم، ومن منعته من كرمك فهو المسيء اللئيم، لولا فضلك، ما كنا أهلاً للإيمان بك، ولولا لطفك بنا ما انقادت نفوسنا لعبوديتك، فأنت اللطيف الحليم، الجواد الكريم.

إلهي! وقفت الكاملون والواصلون عند المشيئة لشدة القرب منك، وغابت الغافلون عن ذلك لشدة البُعد عنك.

إلهي! ما أقربنا لك بك! وأنت القريب منا. وما أبعدنا عنك! لوجود نفوسنا. فاستر اللهم! بفضلك قبحنا، لنكون أهلاً لغاية القصد والمنى.

إلهي! عجزت العارفون بك عن كمال معرفتك لكمال معرفتهم بك، فما بالجاهل مثلي العاجز عن عبوديتك.

إلهي! لولا أثر صفاتك العالية لما عرفت، ولولا العقل المخصص به عبادك الصالحين لما عبدت.

إلهي! لولا ظهورك بتجلي جمالك ما عرفت باطناً، ولولا حجاب لطفك على عظمة ذاتك لما كان سرك كامناً.

إلهي! لو ظهرت أنوارك الخفية لتلاشت الأكوان، ولولا تلك الأنوار التي ظهرت في رداء حكمتك لما عرفك أهل العيان.

إلهي! ظهرت عظمتك ظاهراً ولا حجاب عليها، واختفت من شدة ظهورها غيرة على كشف أسرارها.

إلهي! الغير بالنظر إلى وحدانيتك مفقود على التحقيق، لكن نبعت تجليات ظهورك المشير إلى التفريق.

إلهي! لا يراك غيرك، وكيف يراك والغير مفقود؟ أين يكون الغير معك؟ لولا العقل بحكمتك محدود.

إلهي! كل الخلق تحت أسرار أسمائك مقهورون، وكلهم بسلاسل قدرتك مجرورون، فلا حكم لهم مع حكمك، ولا وجود لهم مع وجودك.

إلهي! اكشف لنا بفضلك عن حقيقة الحقائق، وأفض علينا من لدنك علوم الرقائق، وحققنا اللهم! بسرك الموضوع في الخلائق، وزج بنا في عين بحر جبروتك، وأخرجنا منها بها عن ساحل بحار ملكوتك، وعرفنا بك معرفة أنبيائك وأصفيائك.

إلهي! أدّبنا بأدب أهل ملكوتك، وأفض علينا من سنا جبروتك ما يغنينا عن رؤية ملكك وملكوتك، وأجلسنا اللهم! على كرسي القرب، وأشعل في قلوبنا بفضلك نار الشوق والحب.

إلهي! أبرزتنا لهذا الوجود بعدما سبق إلينا منك العهود، فثبتنا اللهم بمحض كرمك بالقول الثابت، ولا تجعلنا من أهل العناد والجحود، يا حي! يا قيوم! يا موجود! لا إله إلا أنت، بك آمنت، وعليك توكلت، وبك من سواك استعذت.

وصلِّ اللهمَّ على سيدنا مولانا محمد وعلى آله وصحبه، عدد خلقك، ورضا نفسك، وزنة عرشك، ومداد كلماتك، في كل لحظة مائة ألف مرة، من يوم خلقت الدنيا إلى يوم الآخرة، آمين، آمين، آمين، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

كمل بحمد الله، وحسن عونه هذا التأليف المبارك، حققنا الله بما فيه، وأتحفنا بما اتحف به أولياءه، وجعلنا من خواص أحبابه، آمين.

وصلىٰ الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين
والحمد لله رب العالمين

لـي سـادةٌ مـن عِـزِّهـم أقـدامُـهـم فـوقَ الـجِـبـاهْ
إن لـم أكـن مـنـهـم فـلـي فـي حُـبِّـهـم عِـزٌّ وجَـاهْ

http://albordj.blogspot.com

ديوان

العارف بالله تعالى

سيدي محمد البوزيدي المستغانمي

ضبطه وصححه وعلق عليه
الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي
الحسيني الشاذلي الدرقاوي



قال رضي الله عنه:

أَيَا رَوْضَةَ الْعُشَّاقْ قَدْ هَيَّجْتِي مُهْجَتِي
أَيَا خَضْرَةَ الْإِطْلاَقْ فَيَّضْتِ صَبَابَتِي

سَقَتْنِي كَاسَ الْهَوَى مِنْ طَيِّبِ الْخُمَيْرَةْ
جلوت بها السوى عن نور البصيرة

سَقَتْنِي كُؤُوسَ الْحُبّْ مَحَقَتْ أَنِيَّتِي
صِرْتُ فَرِحْ وَنَطْرَبْ تَائِهاً بِسَكْرَتِي

مَلَكَتْنِي فِي الْآفَاقْ وَرَضَتْ بِزَوْرَتِي
رَفَعَتْ عَنِّي الرِّوَاقْ تَعْظِيماً لِسَطْوَتِي

غَرَسَتْ غُصْنَ الْهَوَى فِي قَلْبِي وَمُهْجَتِي
وَعِنْدِي مِنْهَا نَشْوَهْ كَانَتْ قَبْلَ نَشْأَتِي

شَرِبْتُ مِنَ الْمَعْنَى كُؤُوساً صَافِيَّةْ
فَإِذَا قُلْتُ أَنَا أَنَا وَلاَ فَخْرَةْ

كُلُّ عَابِدٍ يَهْوَى طَالِبِ الْآخِرَةْ
وَأَنَا كُلُّ السِّوَى طَوَيْتُ بِلَمْحَةٍ

كُلُّ فَقِيهِ عَلِيمْ بِالْفَرْضِ وَالسُّنَّةِ
وَأَنَا عِلْمِي عَظِيمْ مَا لَهُ نِهَايَةٍ

أَنَا سَاقِيِ الشَّرَابْ وَالْخَمْرَه خُمَيْرَتِي
أَنَا رَافِعُ الْحِجَابْ وَالْحَضْرَه حُضَيْرَتِي

كَمْ مِنْ جَاهِلٍ أَتَى وَدَخَلْ طَرِيقَتِي
صَارَ مِنْ أَهْلِ الْمَعْنَى مُلُوكِ الْعِنَايَةِ

اخْلَعْ نَعْلَيْكَ وَافْنَ إِنْ شِئْتَ مُلاَقَتِي
إِنْ أَرَدْتَ تَعْرِفُنَا أَنَا عَيْنُ الْحَيَاةِ

أَنَا عَيْنٌ لِلتَّحْقِيقْ يَا مَنْ تَطْلُبْ رُؤْيَتِي
أَنَا مَنْهَجُ الطَّرِيقْ وَالْكَوْنُ فِي قَبْضَتِي

أَلْكَوْنُ كَسَرَابْ   كَمَا جَا فِي الْآيَةِ

هَبَاءٌ فِي هَوَاءٍ   عِنْدَ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ

مِنْ بِحَارِ الْجَبَرُوتْ   قَدْ ظَهَرَتْ نُقْطَتِي

تَلَوَّنَتْ بِالنَّاسُوتْ   وَسِرُّ الْمَلَكُوتِ

مُرِيدِي لَكَ الْبُشْرَى   احْفَظْ لِي وَصِيَّتِي

تَأَدَّبْ مَعَ الْفُقَرَا   لِتُسْقَى مِنْ خَمْرَتِي

مُرِيدِي كُونَنْ حَفِيظْ   حُدُودَ الشَّرِيعَةِ

تَمَسَّكْ بِهَا تُفِيدْ   كَمَالَ الْحَقِيقَةِ

يَا خَلِيلِي قُلِ اللَّهْ   وَحِّدْهُ فِي الْكَثْرَةِ

لاَ تَرَ مَا سِوَى اللَّهْ   فِي كُلِّ كَائِنَةِ

أَنَا لِخِلِّي حَفِيظْ   مِنْ كُلِّ بَلِيَّةِ

وَفِي أَبْحُرِ التَّوْحِيدْ   أَغْرَقَتْهُ هِمَّتِي

هَذَا إِسْمِي يَا لَبِيبْ   قَيْدُ الْعُبُودِيَّةِ

مُحَمَّدُ بْنُ الْحَبِيبْ   الْبُوزِيدِي نِسْبَتِي

وَجَدِّي رَسُولُ اللَّهْ   مَقْصُودِي وَبُغْيَتِي

عَلَيْهِ صَلاَةُ اللَّهْ   صَاحِبُ الْمُعْجِزَةِ

تَمَّيْتُ بِحَمْدِ اللَّهْ   عَلَى كُلِّ حَالَةِ

لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهْ   أَفْضَلُ الْكَلِمَةِ

وله أيضاً رضي الله عنه:

وَقَفْتُ بِالْبَابْ   وَرَفَعْتُ الْحِجَابْ

فَقَالَ الْبَوَّابْ   أَهْلاً وَسَهْلاً

أُدْنُ يَا عَاشِقْ   إِنْ كُنْتَ صَادِقْ

لِلسِّوَى فَارِقْ   تَغْنَمِ الْوَصْلاَ

آزْدَادَ حُبِّي   بِنَسِيمِ الْقُرْبِ

وَتَلاَشَى كَرْبِي   لَمَّا تَجَلَّى

تَجَلَّى مَا كَانْ … فِي الأَزَلْ وَبَانْ
تَرَاهُ عَيَانْ … يَسْقِي وَيَمْلاَ

يَسْقِيكَ حَقًّا … ظَاهِرْ وَبَاطِنْ
تَرَاهُ جَهْراً … وَإِلاَّ فَلاَ

مَنْ أَرَادَ الشَّرَابْ … وَرَفْعَ الحِجَابْ
فَلْيَاتِ لِلْبَابْ … قَبْلَ أَنْ يَغْلَى

يَاتِي مُقَيَّدْ … فَانِي مُجَرَّدْ
مَنْ طَالَبْ يُورَدْ … يَرْضَى بِالقَتْلاَ

بِقَتْلِ النُّفُوسْ … وَفَنَا المَحْسُوسْ
حَضْرَةُ القُدُّوسْ … فِيهَا يَتْوَلَّى

تَجَلَّسْ يَا مُرِيدْ … بِسَاطَ التَّوْحِيدْ
مَقَامَ التَّفْرِيدْ … لَكَ أَنْتَ الأَعْلَى

تَصِيرْ أَنْتَ الكُلْ … عَنْهُ لاَ تَغْفَلْ
الفَوْقُ وَالأَسْفَلْ … مِنْكَ تَجَلَّى

هَذَا هُو قَصْدِي … وَلَهُ نَهْدِي
مَنْ أَتَى عِنْدِي … يَرَى الجَمَالاَ

أَنَا هُو الخَمَّارْ … سَاقِيُّ الأَبْرَارْ
كُؤُوس الأَسْرَارْ … نُور الجَلاَلاَ

أَبِي وَجَدِّي … ابْنُ البُوزَيْدِي
مِنْ فَرْعِ الهَادِي … ابْنِ عَبْدِ اللَّهْ

وله أيضاً رضي الله عنه:

أَيَا مُرِيدَ اللَّهْ … نُعِيدْ لَكْ قَوْلْ اصْغَهْ
إِذَا تَلاَحَظْ قَوْلِي … نُوصِيكْ لِوَجْهِ اللَّهْ

كُنْ وَالَهْ تَايَهْ … مَسْرُوزْ بِذِكْرِ اللَّهْ
فِي الإِسْمْ إِذَا تَفْنَى … تَصِلْ لِمُسَمَّاهْ

إِذَا ذَكَرْتَهُ بَادِرْ بِالْجِدِّ وَالْحَزْمِ مَعَهْ
كُنْ لِلَّهْ بِاللَّهْ فِي اللَّهْ وَالْغَيْرَ انْسَهْ

إِذَا ذَكَرْتَ الْمَوْلَى فَاهْتَزْ بِذِكْرِ اللَّهْ
جُلْ فِي مَعْنَى الْهَا وَجِزْ فِي مُسَمَّاهْ

غُصْ فِيمَنْ تَهْوَى بِالْقَلْبِ وَالرُّوحِ مَعَهْ
غِبْ فِي غَيْبِ الْغَيْبْ تَغِيبْ عَمَّا سِوَاهْ

إِذَا ذَكَرْتَهُ بِالْجِدّْ تَرَى مَا لاَ تَرَاهْ
كُلّْ مَا تَهْوَاهْ مَوْجُودْ فِي ذَاتِ اللَّهْ

كُنْ فَانِي عَنْكْ مَوْجُودْ بِهِ وَلَهْ
تَصِيرْ بَاقِي بِهِ مَحْفُوفْ بِلُطْفِ اللَّهْ

زُلْ مِنْكْ عَنْكْ لِتَبْقَى بِبَقَاهْ
إِذَا تَجِدْ نَفْسَكْ مَا تَجِدْ إِلاَّ اللَّهْ

إِذَا قِيلْ لَكْ مَنْ تَهْوَى قُلِ اللَّهْ
أَنَا بِهِ وَالَهْ مَشْغُوفْ بِحُبّْ اللَّهْ

مَنْ هُو قَرِيبْ لِذَاتِي مُحَالْ قَلْبِي يَنْسَاهْ
قَرِيبْ مِنِّي لِيَّ وَالْقُرْبْ خَافِي مَعْنَاهْ

إِذَا عَرَفْتْ الْمَعْنَى فِي الْحِسّْ لاَحَظْ سَنَاهْ
فَالْكُلّْ قَايَمْ بِهْ مَوْجُودْ بِمَنْ تَهْوَاهْ

إِذَا عَرَفْتْ الْخَالَقْ تَرْتَاحْ عَمَّا سِوَاهْ
وَإِذَا جْهَلْتَهْ فِينَا مُحَالْ عَيْنَكْ تَرَاهْ

نَحْنُ احْبَابْ رَبِّي وَالْحُبّْ فِينَا مَنْشَاهْ
فَلُذْ بِنَا تَحْظَى وَشَمّْ فِينَا شَذَاهْ

إِسْمِي ابْنُ الْبُوزَيْدِي مُقِيمْ فِي بَابِ اللَّهْ
بَوَّابْ حَضْرَةْ رَبِّي مَنْسُوبْ لِذِكْرِ اللَّهْ

مَنْ لاَ عْرَفْ مَا بِنَا مَعْذُورْ وَالْحَقّْ مَعَهْ
مَنْ لاَقْرَبْ مَا جَرَّبْ مَا شَافْ مَنْ شَافْ اللَّهْ

مَـنْ لاَعْـرَفْ مَـقْـصُـوده مَـسْـكِـيـنْ جَاهـلْ مَـوْلاَهْ
مَـنْ لاَ يْـشَـاهَـدْ مَـوْلاَهْ بْـعِـيـدْ مَـنْ لاَ يَـرَاهْ

ولـه أيضاً رضي الله عنه:

قُـلْ لِـلَّـذِي لاَمَـنِـي فِـيـهَـا وَعَـنَّـفَـنِـي
حَيْثُ لَمْ يَعْرِفْ شَانِي لِـذَاكْ هُـوَ الْـمَـعْـذُورْ
لَـوْ عَـرَفُـوا عُـذَّالِـي حَـقِـيـقَـةَ الْـوِصَـالِ
لَـصَـارُوا مِـثْـلَ حَـالِـي وَلَـكِـنْ جَرَى الْـمَـقْـدُورْ
فَـإِذَا الـسِّـرُّ بَـدَا مِنَ الْـغَـيْبْ لِـلشَّـهَادَةْ
اخْـتَـرَقَ الْـفُـؤَادُ وَامْـتَـحَـقَ جَـبَـلُ الـطُّـورْ
هَـذِي لَـيْـلَـى قَـدْ بَـدَتْ بِـالْـحُـسْـنِ تَـلَـوَّنَـتْ
لِـبَـعْـضِـهَـا ظَـهَـرَتْ وَبَـطَـنَـتْ فِي الـظُّـهُـورْ
ظَـهَـرَتْ لِـبَـعْـضِـهَـا وَغَـابَـتْ عَـنْ كُـلِّـهَـا
فَـلَـوْ كُـنْـتَ تَـدْرِيـهَـا لَـصِـرْتَ بِـهَـا مَـسْـرُورْ
جَـلَـسْـنَـا عَـلَـى حَـضْـرَه مَـعَ مُـلُـوكِ الْـخَـمْـرَه
مِـنْ عَـجَـائِـبِ الْـقُـدْرَه كَـأْسُـهَـا عَـنْـهَـا يَـدُورْ
سَـقَـتْـنِـي كَـاسَ الـتَّـحْـقِـيقْ وَهَـدَتْـنِـي لِـلـطَّـرِيـقْ
اغْـرَقَـتْـنِـي فِـي الْـعَـمِـيـقْ بَـحْـرُهَـا فَـاقَ الْـبُـحُـورْ
سَـقَـتْـنِـي كَـاساً يُـحْـلَـى نُـورُهَـا عَـنِّـي يُـجْـلَـى
خَـرَجْـتُ مِـنَ الْـغَـفْـلَـه غَـيْـبَـتِـي هِـيَ الْـحُـضُـورْ
فَـيَـا طَـالِـبَ الْـهَـوَى وَالْـغَـيْـبَـه عَـنِ الـسِّـوَى
أَنَـا صَـاحِـبُ الـدَّوَا أَنَـا الـطَّـبِـيـبُ الْـمَـشْـهُـورْ
أَنَـا صَـاحِـبُ الـطَّـرِيـقْ وَأَنْـتَ مَـظْـهَـرْ لِـلـتَّـحْـقِـيقْ
اشْـرَبْ خَـمْـرَتِـي تَـفِـيـقْ وَالـسِّـرُّ مِـنْـكَ يَـفُـورْ
فَـوَالـلَّـهِ مَـنْ دَنَـى وَذَاقَ سِـرَّ الْـفَـنَـا
لَـبَـاحَ بِـمَـا بُـحْـنَـا قَـهْـراً وَهُـوَ الْـمَـعْـذُورْ

فَــوَا الــلَّــهِ لَــوْ قُــلْــنَــا إِلَــيْــهِــمْ مَــا عَــلِــمْــنَــا
قَــلِــيــلاً مَــنْ صَــدَّقَــنَــا إِلاَّ الْــخَــوَاصُ أَهْــلُ الــنُّــورْ
أَيَــا خَــلِــيــلِــي ائْــتِ مُــسْــرِعــاً لِــحَــضْــرَتِــي
لاَ تَــخْــشَ مِــنْ آفَــاتٍ ضَــرِيــحِــي بَــيْــتُ الْــمَــعْــمُــورْ
إِسْــمِــي سَــاقِــيُّ الْــمُــرِيــدْ مُــحَــمَّــدُ بْــنُ الْــبُــوزِيــدْ
نَغْرَفُ مِنْ بَحْرِ التَّوْحِيدْ وَبِــيَــدِي الْــمَــنْــشُــورْ
ثُــمَّ صَــلاَةُ الــلَّــهِ عَــلَــى صَــاحِــبِ الْــجَــاهِ
هُــوَ نُــورُ الإِلَــهِ هُــوَ مِــفْــتَــاحُ الــظُّــهُــورْ

وله أيضاً رضي الله عنه:

لاَ إِلَــهَ إِلاَّ الــلَّــهُ وَحْــدَهُ مُــحَــمَّــدٌ سَــقِــي كَــأْسَ الْــمُــدَامْ
هَــذَا الْــخَــمْــرُ يَــا سَــيِّــدِي مَــا احْــلاَهْ مَــنْ ذَاقَــهُ مُــبْــلِــيءٌ بِــالْــغَــرَامْ
خَــمْــرُ الْــمَــغْــنَــى يَــا حَــافِــظْ مَــغْــنَــاهُ مِــنْــهُ شَــرِبُــوا سَــادَةُ الْــكِــرَامْ
حَــتَّــى سَــكْــرُوا بِــهِ وَتَــاهُــوا وَغَــابُــوا عَــنْ جَــمِــيــعِ الأَنَــامْ
يَــا مُــرِيــدَ الــدُّخُــول حَــضْــرَةَ مَــوْلاَهُ وَيَــحْــيَــى دَائِــمــاً عَــلَــى الــدَّوَامْ
فَــلْــيَــخْــضَــعْ فِــي الْــقَــوْلِ وَافْــعَــالُــهُ يَــنَــالْ بِــرِضَــاهُ أَعْــلَــى الْــمَــقَــامْ
حَــتَّــى لاَ يَــرَى فِــي الْــكَــوْنِ سِــوَاهُ سُــبْــحَــانَــهُ ذُو الْــجَــلاَلِ وَالإِكْــرَامْ
وَيَــفْــنَــى حَــقًّــا فِــي ذَاتِ مَــوْلاَهُ فَــنَــاءً صَــرْفــاً يَــا حَــافِــظَ الــنِّــظَــامْ
وَيَــبْــقَــى بِــالْــحَــقِّ لاَ بِــهَــوَاهُ يَــصِــيــرُ بَــرْزَخــاً بَــيْــنَ أَبْــحُــرٍ عِــظَــامْ
وَيَــنْــظُــرُ لِــلْــعَــرْشِ وَمَــا فَــوْقَــاهُ وَمَــا تَــحْــتَ الــثَّــرَى بِــلاَ أَوْهَــامْ
هَــذَا بَــحْــرٌ عَــمِــيــقٌ فِــيــهِ تَــاهُــوا رِجَــالُ الــطَّــرِيــق وَاقْــطَــابُ الإِسْــلاَمْ
شَــرِبْــنَــا مِــنْــهُ وَمِــنْ عَــذْبَــاهُ حَــتَّــى صَــارَتِ الأَوَانِــي مُــدَامْ
بِــأَرْوَاحِــنَــا تِــهْــنَــا فِــي فَــضَــاهُ وَجِــزْنَــا فــي الــعَــظَــمَــه بِــلاَ اجْــسَــامْ
الْــكَــاسُ وَالْــخَــمْــرُ يَــا فَــاهِــمْ مَــغْــنَــاهُ امْــتَــزَجَــتْ صَــارَتْ أَصْــلَ الأَنَــامْ
هَــذَا سِــرِّي بِــهْ إِخْــوَانِــي فَــاهُ مِــنَ الْــوَجْــدِ وَشِــدَّةِ الْــغَــرَامْ
جَــدِّي الْــبُــوزَيْــدِي ظَــاهِــرْ إِسْــمُــهُ مِــنْ نَــسْــلِ الْــهَــادِي شَــفِــيــعِ الأُمَــمْ
صَــلَّــى عَــلَــيْــهِ فــي الأَزَلِ مَــوْلاَهُ وَكُــلُّ الْــمَــلاَئِــكَــةِ الْــكِــرَامْ

وَالآلُ وَالصَّحْبِ وَمَنْ مَعَهُ ... صَلاَةً دَائِمَةً بِلاَ انْفِصَامْ

وله أيضاً رضي الله عنه:

سَاقِي الْخُمَيْرَه سَقَانِي ... يَا سَاقِيهَا مَهْلاً رَاحاً بِرَاحِ
يَا نَدِيمِي امْلاَ الأَوَانِي ... وَدِرِ الْكَأْسَ عَلَى الْمِلاَحِ
أَدِرِ الْكَأْسَ لِخِلاَّنِي ... وَاسْقِ نَحِيلَ الْجِسْمِ يَرْتَاحِ
خَمْرَتِي تُرَى لِلأَعْيَانِ ... كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحِ
عُتِّقَتْ فِي أَصْلِ الدِّنَانِ ... قَبْلَ آدَمَ سِرُّهَا بَاحِ
هَا هِيَ بَدَتْ عَلَى الْكِيزَانِ ... يَا عَاشِقاً لَهَا شَذَاهَا فَاحِ
كَانَتْ قَبْلَ كَوْنِ الأَكْوَانِ ... خَمْرَه مُجَرَّدَه عَنِ الأَقْدَاحِ
هَذِهِ خَمْرَةُ الْمَعَانِي ... لِلْعَاشِقِينَ نُورُهَا لاَحِ
مَظَاهِرُ الْكَوْنِ كِيزَانِ ... وَالْخُمَيْرَه عِبَارَة عَنِ الأَرْوَاحِ
يَدْرِي الْخَمْرَه مَنْ كَانَ فَانِي ... عَنْ حِسِّهِ وَقُيُودِ الأَشْبَاحِ
مُصَلِّياً عَنْ سَاقِي الأَرْوَاحِ ... مِنْ سِرِّهِ فَسَرَى لِلأَشْبَاحِ
مُحَمَّدٌ قُرَّةُ عَيْنِي ... بِهِ ثُمَّ إِسْعَادِي وَأَفْرَاحِ
اسْمِي الْبُوزَيْدِي يَا إِخْوَانِي ... مِنْ قَبِيلِ الْهَادِي سَاقِي الأَرْوَاحِ
قُلْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ فَنِّي ... مُحَمَّدٌ قُطْبُ الْفَلاَحِ

وله أيضاً رضي الله عنه:

لَمَّا فَنِيتُ الْفَنَا ... مَا بَقِيتُ إِلاَّ أَنَا
فِي الْحِسِّ وَفِي الْمَعْنَى ... أَنَا الطَّالِبُ الْمَطْلُوبْ
شَرَابِي لِيَ مِنِّي ... وَسِرِّي فِي الأَوَانِي
حَاشَا يَكُونُ الثَّانِي ... أَنَا الشَّارِبُ الْمَشْرُوبْ
أَنَا الْكَاسْ أَنَا الْخَمْرَه ... أَنَا الْبَابْ أَنَا الْحَضْرَه
أَنَا الْجَمْعْ أَنَا الْكَثْرَه ... أَنَا الْمُحِبُّ الْمَحْبُوبْ
كَمْ مِنْ مُرِيدٍ سَقَيْتُهْ ... مِنْ قُيُودٍ فَكَّيْتُهْ
مِنَ الْغَفْلَة يَقَّظْتُهْ ... كَسَيْتُهْ بِنِعَمِ الثَّوْبْ

أَنَـا الَّـذِي ظَـهَـرَتْ خَـمْـرَتِـي مِـنِّـي فَـاضَـتْ
وَالأَشْـيَـا بِـيَ قَـامَـتْ أَنَـا رَافِـعُ الْـحُـجُـبْ

نَـادَانِـي مِـنْ كُـلْ امْـكَـانْ أَصْـدَعْ وَبَـشِّـرْ الاخْـوَانْ
بِـالْـقُـرْبِ مَـعَ الأَمَـانْ اللِّـي يـتـبـعـك مَـحْـبُـوبْ

نَـدَانِـي يَـا بُـوزَيْـدِي أَصْـدَعْ بَـشِّـرْ عِـبَـادِي
بِـالْـقُـرْبِ وَالْـمَـزِيـدِ حَـاشَـا مُـرِيـدَكْ مَـحْـجُـوبْ

أَلْـحَـمْـدُ لِـلَّـهِ الَّـذِي قَـوَّى لِـي أَمْـدَادِي
نَـسْـقِـي مَـنْ أَتَـى عِـنْـدِي يَـشْـرَبْ غَـايَـةَ الْـمَـشْـرُوبْ

يَـشْـرَبْ كَـاسَ الْـمَـعَـانِـي يَـفْـنَـى عَـنْ كُـلْ فَـانِ
يَـغِـيـبْ فِـي ذَاتِ الْـغَـانِـي يُـشَـاهِـدْ عَـلْـمْ الْـغُـيُـوبْ

صَـلِّ يَـا رَبِّ عَـلَـى مَـنْ نُـورهُ تَـجَـلَّـى
يَـا ذَا الْـجُـودْ وَالْـجَـلاَلَـه يَـا مُـفَـرِّجَ الْـكُـرُوبْ

وله أيضاً رضي الله عنه:

يَـا عَـاشِـقَ الْـمَـعْـنَـى أَقْـرُبْ لِـيَ وَادْنَـى
لِـتُـسْـقَـى خَـمْـرَتَـا فِـي كُـؤُوسِ الـرَّاحْ

خَـمْـرَتُـنَـا فَـاضَـتْ بِـالْـكَـأْسِ امْـتَـزَجَـتْ
لَـمَّـا تَـعَـاظَـمَـتْ غَـيَّـبَـتِ الأَقْـدَاحْ

نَـارَتْ وَانْـتَـنَـارَتْ عَـظَّـمَـتْ وَانْـتَـشَـرَتْ
كَـثْـرَتْ وَاتَّـحَـدَتْ ذِي الْـخَـمْـرَةُ يَـا صَـاحْ

دَاوُدْ بِـهَـا غَـنَّـى بِـالـزَّبُـورِ حَـنَّـى
نُـوحْ بِـهَـا كَـانَ كَـثِـيـرَ الأَنْـوَاحْ

عِـيـسَـى بِـهَـا نَـطَـقْ فِـي الْـمَـهْـدِ تَـحَـقَّـقْ
بِـهَـذَا يَـا عَـاشِـقْ كَـانَ مِـنَ الـسُّـوَاحْ

عُـشَّـاقُـهَـا هَـاجُـوا بِـالْـوَجْـدِ وَمَـاجُـوا
كُـلُّـهُـمْ خَـرَجُـوا مِـنْ سِـجْـنِ الأَشْـبَـاحْ

أَنْـــوَارُهَـــا سَـــطَـــعَـــتْ مِـــنْ ذَاتِـــي ظَـــهَـــرَتْ
شَـمْـسُـهَـا طَـلَـعَـتْ فِـــي سَـــمَـــا الأَرْوَاحْ

وَالإِذْنُ قَـــدْ أَتَـــى وَالأَمْـــرُ يَـــا فَـــتَـــى
لِـنَـفْـسِـي مَـنْ أَتَـى عَـنْ قُـطْـبِ الْـفَـلاَحْ

أَتَـــى الإِذْنُ سَـــاطِـــعْ أَقْـــدَمْ يَـــا مُـــنَـــازِعْ
تَـــرَى الأَمْـــرَ وَاقِـــعْ مَـــا بَـــيْـــنَ الْـــمِـــلاَحْ

مُـــحَـــمَّـــدْ يَـــا صَـــادِقْ يَـــا بَـــحْـــرَ الْـــحَـــقَـــائِـــقْ
أَنْـــتَ مَـــأْوَى الْـــعَـــاشِـــقْ يَـــا طَـــبِـــيـــبَ الأَرْيَـــاحْ

بِـــكَ طَـــابَ حَـــالِـــي بَـــلَـــغْـــتُ الْـــكَـــمَـــالِ
وَبَـــدَا جَـــمَـــالِـــي لأَهْـــلِ الـــصَّـــلاَحْ

مُـــحَـــمَّـــدٌ أَصْـــلِـــي بِـــهِ اجْـــتَـــمَـــعْ شَـــمْـــلِـــي
بَـــعْـــضِـــي صَـــارَ كُـــلِّـــي وَضَـــاءَ مِـــصْـــبَـــاحْ

فَـــمَـــنْ نَـــظَـــرْ نَـــظْـــمِـــي مَـــا يَـــبْـــقَـــى وَهْـــمِ
وَمَـــنْ عَـــرَفْ اسْـــمِـــي يُـــبْـــشَـــرْ بِـــالأَرْبَـــاحْ

لَـــمَّـــا شَـــرِبْ مُـــوسَـــى خَـــمْـــرَةَ الْـــكُـــؤُوس
فَـــلَـــقْ بِـــالْـــعَـــصَـــا وَكَـــسَّـــرَ الأَلْـــوَاحْ

وله أيضاً رضي الله عنه:

يَـــا مُـــرِيـــدَ الـــنَّـــجَـــاحِ وَحَـــضْـــرَةِ الْـــفَـــلاَحِ
تَـــمَـــسَّـــكْ بِـــالـــصَّـــلاَحِ سَـــادَتِـــي نَـــاسِ الْـــجُـــودْ

افْـــنَ عَـــنْ كُـــلِّ الْـــحِـــسِّ وَادْخُـــلْ حَـــضْـــرَةَ الْـــقُـــدْسِ
تَـــجْـــلِـــسْ بِـــسَـــاطَ الأُنْـــسِ يَـــحْـــصُـــلْ لَـــكَ الْـــمَـــقْـــصُـــودْ

اذْكُـــرْ إِسْـــمَ الإِلَـــهِ بَـــاهِـــي يَـــا مَـــنْ تُـــبَـــاهِـــي
وَاتْـــرُكْ كُـــلَّ الْـــمَـــلاَهِـــي أَهْـــلَ الـــنَّـــفْـــسِ وَالْـــجُـــحُـــودْ

اذْكُـــرْهُ بِـــالـــدَّوَامِ بِـــعِـــشْـــقٍ وَاصْـــطِـــلاَمْ
وَاغْـــنَ عَـــنِ الأَنَـــامِ فِـــي رُؤْيَـــةِ الْـــمَـــعْـــبُـــودْ

اذْكُــرْهُ يَــا مُــرِيــدِ يَــا طَــالِــبَ الْــمَــزِيــدِ
ذِي حَــضْــرَةُ الــتَّــفْــرِيــدِ مَــخْــصُــوصَــةٌ لِــلأُسُــودْ
اذْكُــرْ يَــا خِــلِّــي وَاشْــطَــحْ وَلِــلْــحَــضْــرَةِ لاَ تَــبْــرَحْ
لاَزِمْــهَــا أَخِــي تَــفْــلَــحْ تَــصِــيرْ مِــنْ أَهْــلِ الشُّــهُــودْ
ادْخُــلْ حَــضْــرَةَ الــصَّــفَــا أَهْــلِ الْــجُــودِ وَالْــوَفَــا
وَاتْــبَــعْ نَــهْــجَ الْــمُــصْــطَــفَــى وَمُــرَاعَــاةَ الْــحُــدُودْ
اذْكُــرْ ذِكْــرَ الــلِّــسَــانِ بِــتَــغْــمِــيــضِ الْــعَــيْــنَــيْــنِ
وَامْــحُ جَــمْــعَ الأَكْــوَانِ فِــي جَــمَــالِ الْــمَــعْــبُــودْ
اذْكُــرْهُ ذِكْــرَ الْــقَــلْــبِ ذَا مَــقَــامُ أَهْــلِ الــشُّــرْبِ
تَــعْــلَــمْ جَــمِــيــعَ الْــغَــيْــبِ تَــصِــيــرُ لَــكَ الــشُّــهُــودْ
اذْكُــرْهُ ذِكْــرَ الــسِّــرِّ بَــعْــدَهُ سِــرُّ الــسِّــرِّ
ذَا مَــقَــامُ اهْــلِ الــشُّــكْــرِ تَــمَّ لَــكَ الــمَــقْــصُــودْ
وَتَــضْــحَــى لِــلْــبَــقَــاءِ بَــعْــدَ فَــنَــا الْــفَــنَــاءِ
تَــصِــيــرِ مِــنَ الأَوْلِــيَــاءِ أَهْــلِ الــسِّــرِّ الْــمَــوْجُــودْ
وَاسْــمِــي الْــبُــوزَيْــدِي وَجَــدِّي مُــحَــمَّــدِي
شَــفِــيــعٌ فِــي الْــعِــبَــادِ يَــوْمَ الْــوَقْــتِ الْــمَــوْعُــودْ

وله أيضاً رضي الله عنه:

أَنَــا الْــبَــحْــرُ الْــوَاسِــعْ أَنَــا هُــو الْــخَــمَّــارْ
نَــسْــقِــي كُــلَّ سَــامِــعْ كُــؤُوسَ الأَسْــرَارْ
فَــكُــنْ لِــيَ تَــابِــعْ تُــرْفَــعْ عَــنْــكَ الأَسْــتَــارْ
يَــذْهَــبْ عَــنْــكَ الْــمَــانِــعْ تُــشَــاهِــدُ أَنْــوَارْ
أَنْــوَارُهُ لاَمِــعْ مَــا فِــيــهِ أَغْــيَــارْ
تَــصِــيــرْ أَنْــتَ الــصَّــادِعْ تَــسْــقِــيــهِــمْ أَسْــرَارْ
كُــلُّ قُــطْــبٍ بَــارِعْ صَــافِــي مِــنَ الأَكْــدَارْ
فَــلِــيَ يُــبَــايِــعْ بِــالــسِّــرِّ وَالإِجْــهَــارْ

كُلُّ غَوْثٍ شَايِعْ   وَاسِعُ الأَفْكَارْ
هُوَ عَبْدِي تَابِعْ   قَهَّاراً وَجَبَّارْ
كُلُّ وَالِي خَاضِعْ   لِيَ بِالانْكِسَارْ
حُكْمِي عَلَيْهْ وَاقَعْ   بِدُون اخْتِيَارْ
وَمَنْ لِي يُنَازِعْ   رَافِضَ الإِقْرَارْ
هُوَ غَيْرُ تَابِعْ   سَادَاتِ الأَخْيَارْ
كُلُّ الْكَوْنِ الْوَاسِعْ   وَالْفَلَكُ الدَّوَّارْ
فِي قَبْضَتِي ضَايِعْ   كَحَلْقَه فِي الْقِفَارْ
وَالْعَرْشُ الْمُتَّسِعْ   وَالشَّمْسُ وَالأَقْمَارْ
فِي قَلْبِي يَا سَامِعْ   مَوْجَهْ فِي الْبِحَارْ
كُلُّ نُورٍ سَاطِعْ   ظَلامٌ وَأَنْوَارْ
كُلُّ مَاءٍ نَابِعْ   وَاللَّيْلُ وَالنَّهَارْ
وَالصِّرَاطُ الْقَاطِعْ   مِيزَانٌ وَكَوْثَرْ
كُلُّهُمْ يَا سَامِعْ   مِنْ رَشْحِ أَنْوَارْ
وَالْجِنَانُ الْوَاسِعْ   وَالْحَوْضُ وَالنَّارْ
كُلُّهُمْ لَوَامِعْ   مِنْ ذَاتِي أَسْرَارْ
وَالسَّاجِد وَالرَّاكِعْ   فِي اللَّيْلِ وَالأَسْحَارْ
فِي رِضَايَ طَامِعْ   وَرَفْعِ الأَسْتَارْ
وَالْعَاصِي وَالطَّايِعْ   فِي الْمَوْتِ وَالْمَحْشَرْ
مَلْجَؤُهُ رَاجِعْ   لِيَ بِلاَ إِنْكَارْ
هَذَا مِنِّي وَاقِعْ   كُلَّ وَقْتٍ وَأَعْصَارْ
وَمَنْ فِيهِ يُشَانِعْ   هُوَ فِي الأَكْدَارْ
هَذَا مُعْطِي الصَّانِعْ   مَا فِيهِ إِنْكَارْ
إِلاَّ قَوْلُ الْقَاطِعْ   فَذَاكَ مِزْمَارْ
أَعْزَمْ يَا مُنَازِعْ   وَدَعْ كُلَّ عَارْ
وَاقْدَمْ لِيَ سَارِعْ   تَنَالْ ذِي الأَسْرَارْ

أَخْتِم قَوْلِي الْوَاسِعْ   بِصَلاَةِ الْمُخْتَارْ

هُوَ لَنَا شَافِعْ   فِي كُلٍّ مِنَ الدَّار

أَصْحَابُهُ التَّوَابِعْ   اَلسَّادَاتُ الأَخْيَارْ

بِفَضْلِهِمْ يَا سَامِعْ   تَنَال ذَا الْمِقْدَار

إِسْمِي رَاهُ شَايَعْ   اَلْبُوزَيْدِي الْخَمَّارْ

سَاقِي كُلٍّ وَالِعْ   كُؤُوسَ الأَسْرَار

وله أيضاً رضي الله عنه:

اَللَّه اَللَّه قَوْلِي   لاَ نَخْشَى مِن عُذَّلِي

اذْكُرْهُ يَا خِلِّي   تَنَالِ الْعِرْفَانِ

هُوَ هُوَ شُغْلِي   نَهَارِي وَلَيْلِي

هُوَ ذَاتِي وَنَفْلِي   يَا جَمْعَ الإِخْوَانِ

اغْزِمْ لِيَ وَاجْرِ   تَنَالِ ذَا الْفَخْرِ

بِالْعِلْمِ وَالسِّرّ   تَتْبَعْ بِالْعِرْفَانِ

تَشْرَبْ مِنْ خَمْرِي   وَبَعْدَهْ سُكْرِي

تَفِيقْ مِنَ الْعُمْرِ   تَفُوزْ بِالتَّدَانِي

وَتَخْرُجْ عَنْ نَفْسَكَ   وَفِعْلَكْ وَوَصْفَكْ

يَرْتَفِعْ حِجَابُكْ   عَنْ نُورِ الأَعْيَانِ

تَبْقَ لِلْكَمَالِ   كَمِثْلِ الرِّجَالِ

بِهِمْ تَمَّ حَالِي   فُزْتَ بِالإِحْسَانِ

إِنْ أَرَدْتَ قُرْبِي   تَهَيَّأْ لِلشُّرْبِ

بِصِدْقِ الْمُرَبِّ   وَحُبِّ الإِخْوَانِ

تَشْرَبْ مِنْ كَأْسِي   غِبْ الأَنْتِفَاسِ

تَفْنَ عَنِ الإِحْسَاسِ   وَجَمِيعِ الأَكْوَانِ

تَأْخُذْ عَنْ عِلْمِي   لاَ يَبْقَى لَكْ وَهْم

تُصَافْ بِالْحُلْمِ   وَخُلُقِ الرَّحْمَانِ

وَخُذْ مِنِّي سِرِّي   بِالْعِزِّ وَالْفَخْرِ
صَافٍ مِنَ الْكَدَرِ   وَبِدَعِ الزَّمَانِ

تَشْرَبْ بِلاَ فِنْجَالٍ   وَبِلاَ مِكْيَالٍ
ذَا سِرُّ الأَبْدَالِ   عَطَاءُ الْمَنَّانِ

تَبْشَرْ بِالْوُصُولِ   كَمِثْلِ الْفُحُولِ
خَمْرَةَ الشُّذُولِي   مَا تَبْقَى أَحْزَانٍ

تَدْخُلْ لِلْحَضْرَه   بِالْفَضْلِ وَالْمِنَّه
أَنْتَ وَالأَحِبَّه   مِنْ كُلِّ زَمَانِ

عَلَى الدُّرَّه الْبَيْضَا   الْمَوْلَى عَنْكَ يَرْضَى
وَبِقَابَ تُخْضَى   مِثْلَ اهْلِ الْعِرْفَانِ

تَمَسَّكْ تَنْجَوْهَرْ   طُوَى لَهَا تَنْظُرْ
بَصِيرُه لَكْ تَزْهَرْ   تَغِيبُ الأَعْيَانِ

تَرَاهُ أَخِي جَهْرَا   فَقُلْ وَلاَ فُخْرَا
ذِي أَمْدَادُ الْحَضْرَه   عَنْ قُطْبِ الزَّمَانِ

ذِي أَمْدَادُ النَّبِي   مَنْ وَقَفْ بِالْبَابِ
يُعْطَى بِلاَ حِسَابِ   أَسْرَارَ الْمَنَّانِ

بِهِ تَمْ سَعْدِي   أَذْنِي بِالرُّشْدِ
لِأُمَّتِهْ نَهْدِي   وَنْجُولْ فِي الأَكْوَانِ

لِلْحُلَّه لَبَّسْنِي   وَمِنَ الْخُوفْ أَمَّنِّي
بِنُورِهْ خَصَّنِّي   مِنْ جَمِيعِ النُّقْصَانِ

أَنَا لَهُ إِبْنَنَا   فِي الْحِسِّ وَالْمَعْنَى
عَنِ الْكُلِّ فُزْنَا   أَنَا وَالإِخْوَانِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه   وَآلِهِ وَصَحْبِهْ
وَاهْلِهِ وَاوْلاَدِهْ   وَجَمِيعِ الْخِلاَّنِ

وَارْضَ عَنْ أُسْتَاذِي   هُوَ بَحْرُ امْدَادِي
بِهْ تَمْ سُعَادِي   وَجْمِيعْ الإِحْسَانِ

إِسْمِيَ الْبُوزَيْدِي أَبِيَ عَنْ جَدِّي
مَعْرُوف بِالْبَلَدِ وَجَمِيعِ الْعِرْفَانِ

وله أيضاً رضي الله عنه:

نَبْدَا بِاسْمِكْ يَا سَلاَمْ يَا ذَا الْجُودِ وَالْإِنْعَامْ
يَا ذَا الْفَضْلِ وَالْكَرَمْ يَا خَالِقَ الْعِبَادِ
تْنَزَّهْتَ عَنِ الزَّمَانْ وَالْوَقْتِ كَذَا الْمَكَانْ
وَالْجِهَةَ كَذَا الْأَرْكَانْ مُفَرَّدُ الْإِفْرَادِ
أَذَنْي بِالتَّرْبِيَّه لِرِجَالِ الصُّوفِيَّه
نَسْقِي النَّاسَ الْكُلِّيَا بْلاَ حَدٍّ وَعَدَدِ
نَادَانِي يَا عُبَيْدِي يَا حِبِّي يَا بُوزَيْدِي
مَنَحْتُكَ وِدَادِي فَاصْدَعْ وَلاَ تَجْحَدِ
فِي الْحِينْ اسْقَيْتُ الْأَحْبَابْ مِنْهُمْ أَفْرَادْ وَأَقْطَابْ
لَبِسُوا نِعْمَ الثِّيَابْ مِنْ حَضْرَةِ الْأَحَدِ
طَرِيقَةُ مَوْصُوفَه بِالصِّدْقِ مَعَ الْوَفَا
بِالسِّرِّ وَالْمَعْرِفَه وَسُبُلِ الْإِرْشَادِ
مَقْصِدُهُ لِلسُّلُوكْ كَذَا النَّفْيُ لِلشُّكُوكْ
تَصِيرِ مَلِكَ الْمُلُوكْ فِي مَقَامِ الْإِفْرَادِ
هَلُمَّ يَا إِخْوَانِي لِجَنَّةِ الْعِرْفَانِ
تَرَى كُلَّ الْأَعْيَانِ مَا لَمْ تَرَ بِالْأَبَدِ
لِتَعْلَمُوا كُلُّكُمْ فَرْعُكُمْ وَأَصْلُكُمْ
يَظْهَرْ مِنْكُمْ سِرُّكُمْ الْكَائِنُ فِي الْعِبَادِ
وَكُلُّكُمْ أَزْهَارْ وَأَنْوَارْ وَأَسْرَارْ
لَكِنْ رُؤْيَةَ الْأَغْيَارْ عَمَتْ كُلَّ الْأَكْبَادِ
فَهَذِهِ النَّصِيحَه لِلْخَلْقِ مُفَرِّحَه
بِلِسَانٍ مُبَرِّحَه هَلُمَّ يَا أَسْيَادِ

وَالـصَّـلاَةُ وَالـسَّـلاَمْ عَـلَـى بَـدْرِ الـتَّـمَـامْ
هُـوَ أَصْـلُ ٱلأَنَـامْ هُـوَ الـنُّـورُ الْـمُـوقَـدِ
وَآلِـهِ وَالأَصْـحَـابْ وَازْوَاجِـهِ وَالأَقْـرَابْ
وَاصْـهَـارِهِ وَالأَحْـبَـابْ بِـلاَ عَـدٌ وَعَـدَدِ
وَالـرِّضَـى عَـنْ أُسْـتَـاذِي هُـوَ بَـحْـرُ أَمْـدَادِي
عَـنْـهُ نَـسْـقِـي الْـعِـبَـادِ فِـي لَـحْـظَـةِ الأَشْـهَـادِ

وله أيضاً رضي الله عنه:

يَـا مَـنْ تَـطْـلُـبْ وَصْـلَـهَـا وَتَـشْـرَبْ مِـنْ كَـأْسِـهَـا
تَـمَـسَّـكْ بِـأَهْـلِـهَـا سَـادَتِـنَـا نَـاسِ الْـجُـودْ
أَقْـصِـدْهُـمْ لأَجْـلِـهَـا وَاسْـأَلْـهُـمْ بِـفَـضْـلِـهَـا
يَـسْـقُـوكَ مِـنْ خَـمْـرِهَـا فِـيـهَـا نَـارُ الْـوَقُـودِ
ومَـنْ تَـوَجَّـهْ لَـهَـا تَـمَـتَّـع بِـحُـسْـنِـهَـا
وَكَـانَ مِـنْ أَهْـلِـهَـا تَـايَـهْ عَـنْ جَـمْـعِ الْـوُجُـودِ
إِذَا انْـجَـذَبْ إِلَـيْـهَـا وَرَفَـعَـتْ سِـتْـرَهَـا
تَـمَـتَّـعْ بِـنَـظْـرِهَـا كَـانَ مَـنَ اهْـلِ الـشُّـهُـودِ
وَمَـنْ يَـنْـظُـرْ إِلَـيْـهَـا أَيْـنَ يَـجِـدْ غَـيْـرَهَـا
إِذَا بَـاحَ بِـسِـرِّهَـا كَـانَ فِـي حَـالِـهْ مَـفْـقُـودْ
يَـا مَـنْ تَـطْـلُـبْ لِـقَـاهَـا أَيْـنَ تَـجِـدْ سِـرَّهَـا
تَـجِـدْ رُوحَـكْ مَـعَـهَـا إِذَا فِـقْـتَ مَـنَ الْـخُـمُـودْ
يَـا مَـنْ تَـلُـومْ أَهْـلَـهَـا إِذْ فَـاهُـوا بِـحُـسْـنِـهَـا
سَـامِـحْـنِـي بِـفَـضْـلِـهَـا وَبِـجَـاهِ اسْـمِ الْـوَدُودْ
كَـيْـفَ يَـصْـبِـرْ مَـنْ رَاهَـا وَذَاقَ مِـنْ هَـوَاهَـا
وَاتْـيَـقَّـنْ بِـرِضَـاهَـا وَبِـتَـمَـامِ الْـمَـقْـصُـودْ
أَقْـصِـدْ وَٱنْـظُـرْ لَـهَـا وَأْمُـرْ بِـأَمْـرِهَـا
سَـقَـتْـنِـي مِـنْ مَـائِـهَـا بِـهِ انْـهَـدَمَ الـسُّـدُودْ

نَطَقَتْ بِصَوْتِهَا   وَغَيَّبَتْنِي فِيهَا
سَقَتْنِي بِحُبِّهَا   فِيهَا غَيْبَةُ الْوُجُودْ
ظَهَرَتْ بِحُسْنِهَا   وَمَزَّقَتْ سِتْرَهَا
عَمَّتْنِي بِنُورِهَا   وَلَمْ يَبْقَ لِي وُجُودْ
قَرَّبَتْنِي إِلَيْهَا   مَلَّكَتْنِي سِرَّهَا
سَطَعَتْ بِذَوِيهَا   وَلاَ تَخْشَى مِنْ جُحُودْ
وَمَنْ يَنْكُرْ إِلَيْهَا   كَانَ مَحْجُوبْ عَلَيْهَا
تَحْرُمُهُ مِنْ سِرِّهَا   كَانَ مِنْ ذَاكَ مَطْرُودْ
وَمَنْ يَعْرِفْ قَدْرَهَا   وَكَانَ مِنْ حِزْبِهَا
رُوحُهُ بَاشْ يَكْفِيهَا   مَهْرُهَا لَيْسَ مَعْدُودْ
فَوِّضْ أَمْرَكْ إِلَيْهَا   يَا مَنْ ذُقْتَ سِرَّهَا
كَرَّمَتْكْ بِفَضْلِهَا   وَانْفَكَّيْتَ مِنَ الْقُيُودْ
ابْنُ الْبُوزَيْدِي لَهَا   عَبْداً فِي طَاعَتِهَا
مُتَمَكِّنْ بِحُبِّهَا   نَارُهُ زَادَتْ وَقُودْ
صَلَّيْتُ بِإِذْنِهَا   طَهَ مِفْتَاحْ سِرِّهَا
هُوَ الْمُمِدُّ لَهَا   مُحَمَّدْ سَيِّدُ الْوُجُودْ

وله أيضاً رضي الله عنه:

يَا لاَئِمِي لاَ تَلُوم امْهَلْ عَلَيَّا   لاَ شَكَّ تَعْذِرُنِي لَوْ تَعْلَمْ خَبِيَّاتِي
اَلْحُبُّ افْنَانِي وَامْلَكْنِي رَاعِيَا   مَا لِي طَاقَةٌ لِكَتْمِ الْحَقِيقَةِ
أَنَا الْعَاشِقُ وَالْعِشْقُ مِنِّي إِلَيَّا   أَنَا الْحَبِيبُ وَقَصْدِي أَهْلُ الْمَحَبَّةِ
هَبَّ نَسِيمِي مِنْ عُلاَهُ تَيَّا   شَرَحْ لِي صَدْرِي بِهِ دَامَتْ حَيَاتِي
وَانْفَتَقَتْ أَسْرَارٌ كَانَتْ رَتْقِيَا   وَنَارَتِ الأَكْوَانُ مِنْ حِبِّي وَنَشْوَتِي
أَهْلاً وَسَهْلاً بِطَلْعَةِ الثُّرَيَّا   مَرْحَباً مَرْحَباً بِالْعَامِرِيَّةِ
سَمِعْتُ نِدَاءَ تَعَرَّضَتْ إِلَيَّا   وَقَالَتْ يَا عَاشِقْ تَجَرَّدْ لِزَوْرَتِي
وَانْقَذَتْنِي مِنْ قُيُودِ الْوَهْمِيَّا   وَاجْلَسَتْنِي فِي أَعْلَى الْمَقَامَاتِ
وَقَدْ دَارَتْ لَنَا كَأْسَ الْحُمَيَّا   خَمْرَةٌ لِتَسْبِي مُلُوكَ الطَّرِيقَةِ

طَلَعَتْ شَمْسٌ عَلَى نَجْمِ الْمُحَيَّا ... وَبَدَا نُورُهَا فِي كُلِّ الْمَكَانَاتِ
لَوْ ذُقْتَ يَا خِلِّي لَذِيذَ الثُّرَيَّا ... لَغِبْتَ بِهِ عَنْ كُلِّ الْمَحْسُوسَاتِ
اخْلَعْ عِذَارَ الْحِسِّ وَكُنْ فَنِيًّا ... فِي بَحْرِ الْمَعَانِي حُطَّ الرِّحَالاَتِ
حُطَّ الرِّحَالَ فِي بَحْرِ الأَحَدِيَا ... وَاخْلَعْ نَعْلَكَ عِنْدَ بَابِ الْحَضَرَاتِ
لَكَ الْبُشْرَى يَا خِلِّي وَكُنْ هَنِيَا ... لاَ تَخْشَى مِنْ فَزَعٍ وَمِنْ آفَاتِ

وله أيضاً رضي الله عنه:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَدِيمْ ... الأَحَدِ الصَّمَدِ وَالْعَظِيمِ
وَأَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَالتَّسْلِيمِ ... عَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى الْكَرِيمِ
وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الأَخْيَارْ ... مَا دَامَ مُلْكُ رَبِّنَا الْغَفَّارْ
فَهَذِهِ سِلْسِلَةُ طَرِيقَتِي ... وَمَا لَهَا مِنْ أَرْكَانِ التَّحْقِيقِ
ذَكَرْتُهَا بِحَسَبِ التَّرَقِّي ... بِإِسْنَادِ الرِّجَالِ أَهْلِ الشَّوْقِ
أَوَّلُهُمْ شَيْخُنَا الْكَامِلِ ... مُحَمَّدٌ بْنُ قَدُّورٍ الْوَكِيلِ
عَلَى يَدَيْهِ كَانَ لِي وِصَالِي ... وَشَرِبْتُ مِنْ كُؤُوسِ الْجَمَالِ
حَتَّى وَصَلْتُ غُرَفَ الأَمَانِ ... مَنَالَ أَشْيَاخِ السَّدَانِي
صَارَ فَيَاضُهُ مِنِّي يَسْرِي ... وَمِنْ عُنْصُرِهِ مِيَاهٌ تَجْرِي
بَلَّغَنِي الْفَنَا مَعَ الْبَقَا ... وَنُورُهُ مِنِّي مَلاَ الآفَاقِ
عَنْ شَيْخِهِ أَبِي عَزَّه الْمُهَاجِي ... مِنْ نَسْلِ الْهَادِي صَاحِبِ الْمِعْرَاجِ
يَسْقِي طَرِيقَ الْجَمْعِ وَالصَّوَابِ ... فَهُوَ مِنْ شُيُوخِنَا الأَقْطَابِ
عَنْ شَيْخِهِ مَوْلاَيَ الْعَرْبِي ... بْنِ أَحْمَدَ الدَّرْقَاوِي الْمُرَبِّي
ثُمَّ عَنْ مَوْلَى عَلِي الْجَمَلْ ... هُوَ الْقُطْبُ الشَّرِيفُ الْكَامِلْ
ثُمَّ إِلَى الْغَوْثِ الشَّيْخِ الْعَرَبِي ... بْنِ أَحْمَدَ الشَّرِيفِ النَّسَبِ
عَنْ أَبِيهِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ... أَفَاضَهَا بِدُونِ مَا تَنَاهِي
ثُمَّ إِلَى أَبِي السَّعْدِ الْيَمَانِي ... لَهُ الْعِنَايَةُ مِنَ الْمَنَّانِ
وَهُوَ أَخَذَ عَنْ أَبَرْقَاوِي الْجَامِعْ ... أَبُو الْفَضْلِ سِرُّهُ تَابِعْ
عَنْ أَبِي الْفَيْضِ قَاسِمِ الْخَصَاصِي ... فَإِنَّهُ الْمُفْرِدُ لِلْخَوَاصِ
عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْفَاسِي ... غَابَ وَافْنَ كُلَّ الإِحْسَاسِ

قَدْ فَنِي عَمَّا سِوَاهُ وَلَمْ يَجِدْ فِي الْكَوْنِ غَيْرَهُ
عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَانِ غَوْثِ الزَّمَانِ هُوَ السَّاقِي كُؤُوسَ الْمَعَانِي
يَسْقِي الْمُرِيدَ سُقْيَةَ الْوِصَالِ مَنْ بِحُبِّهِ يَرْقَى لِلْكَمَالِ
ثُمَّ إِلَى الْقُطْبِ الرَّبَّانِي يُوسُف الْفَاسِيِّ الصُّوفِيِّ الْعَارِفِ
ثُمَّ إِلَى الْقُطْبِ الرَّبَّانِي أَبِي الْفُيُوضَاتِ غَوْثِ الزَّمَانِ
عَنْ أَبِيهِ أَبِي الْفَضْلِ عَلِي الْمَعْرُوف الصَّنْهَاجِي بِحْرِ التَّصَوُّفْ
ثُمَّ إِلَى الْفَحَّامِ الْقُطْبِ النَّاصِحْ صَاحِبِ الشِّفَا وَالسِّرِّ الْوَاضِحْ
عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ أَحْمَدَ الزَّرُّوقِي الْعَارِفِ فِي بَحْرِ الْمعَانِي وَالتَّحْقِيق
عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ أَحْمَدَ بْنِ عُقْبَه اَلْحَضْرَمِي رَضِيَّ اللَّهُ عَنْهُ
ثُمَّ إِلَى يُوسُفَ الْقَدِيرِ لاَحَ نُورُ الْحَقَائِقِ وَالسِّرُّ بَاحَ
عَنْ شَيْخِهِ عَلِي بْنِ وَافَا عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدٍ بَحْرِ الصَّفَا
فَكُلُّ هَؤُلاَءِ عَارِفِينَ وَكُلُّهُمْ لِلشَّرَابِ يَهْدُونَ
عَنِ الشَّيْخِ دَاوُدَ بْنِ بَاخِلِي عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَطَاءِ اللَّهِ الْكَامِلِ
ثُمَّ إِلَى الصَّمَدَانِي الْمُرْسِي فَهُوَ الْوَارِثُ أَسْرَارَ الْقُدْسِ
عَنِ الشَّاذِلِي مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ وَبَرْزَخٍ لاَ يَبْغِيَانِ دُونَ مَيْنِ
لَهُ كَلاَمٌ فِي الطَّرِيقِ عَالِي وَلَطِيفُ التَّحْقِيقِ عَنْهُ غَالِي
وَهُوَ عَنْ عَبْدِ السَّلاَمِ بْنِ مَشِيشْ هُوَ الْقُطْبُ الْجَامِعُ بِلاَ تَفْتِيشْ
عَنِ الْعَطَّارِ الزَّيَّاتِ الْمُضِيءِ سِرُّ مَعْنَاهُ فِي الْقَلْبِ يَضِيءُ
ثُمَّ عَنْ تَقِيِّ الدِّينِ الصُّوفِي هُوَ الْقُطْبُ الْكَامِلُ الشَّرِيفِ
وَهُوَ أَخَذَ عَنْ فَخْرِ الدِّينِ هُوَ الْكَنْزُ الْمَشْهُورُ بِالتَّبْيِينِ
ثُمَّ عَنْ نُورِ الدِّينِ أَبِي الْحَسَنْ عَلِي قُطْبِ الشَّرَابِ إِمَامِ التَّكْمِيلِ
ثُمَّ عَنْ مُحَمَّدٍ تَاجِ الدِّينِ وَهُو عَنْ مُحَمَّدٍ شَمْسِ الدِّينِ
وَكُلُّهُمْ أَقْطَابٌ كَامِلِينَ فِي بَحْرِ الْمَعَانِي عَارِفِينَ
ثُمَّ عَنْ زَيْنِ الدِّينِ الْقَزْوِينِي هُوَ مَنْ زَادَ فِي الشُّكْرِ تَمْكِينِ
ثُمَّ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ الْمَزْوِينِي جَمَعَ الْبَحْرَيْنِ ظَاهِرٍ وَبَاطِنِ
عَنِ الْمُرَبِّي سَعِيدٍ قُطْبِ الصُّوفِيَّة وَكُلُّهُمْ يَسْقِي شَرَابَ الأَصْفِيَا

عَنْ شَيْخِهِ سَيِّدِنَا سَعْدِ ... عَنْ مُحَمَّدٍ فَتْحِ السُّعُودِ
ثُمَّ إِلَى الْفَرْدِ الْغَزْوَانِي ... عَنْ مُحَمَّدٍ جَابِرٍ بَحْرِ الْمَعَانِي
ثُمَّ إِلَى الْحَسَنِ الْقُطْبِ الزَّاهِدِ ... فِي الْمُلْكِ بُرْهَانٌ لَهُ شَوَاهِدِ
عَنِ الْقُطْبِ الأَكْمَلِ جَمْعِ الْجَمِيعِ ... وَبَرْزَخِ الْبِحَارِ أَصْلِ الشَّفِيعِ
لَهُ الْجَزَا بِالرِّضَا وَالرِّضْوَانِ ... آلٍ وَصَحْبٍ شَمْسِ الْعِرْفَانِ
سَيِّدُنَا عَلِي الأَمِيرُ ... وَصِهْرُ الْمُصْطَفَى بِذَا خَبِيرُ
إِذْ هُوَ بَابُ حَضْرَةِ الرَّحْمَانِ ... وَعَنْهُ كُلُّ أَمْدَادِ الْعِرْفَانِ
ثُمَّ عَنْ مُحَمَّدٍ وَاسِطِ الْوُجُودِ ... فَلَوْلاَهُ مَا بَدَا مِنْ وُجُودِ
صَلِّ يَا رَبِّ عَلَيْهِ وَالآلِ ... وَالصَّحْبِ وَأَقْطَابِ الْعِرْفَانِ
وَصَلِّ عَلَيْهِ عَدَدَ الأَحْجَارِ ... وَرَمْلِ الأَرْضِ وَأَمْوَاجِ الْبِحَارِ
وَصَلِّينَا عَلَى الْحَبِيبِ الْمُصْطَفَى ... آلٍ وَصَحْبٍ مَعَ أَقْطَابِ الصَّفَا
صَلاَتُهُ جَاءَتْنَا فِي الْكِتَابِ ... شَرَعَهَا لَنَا رَبُّ الأَرْبَابِ
فَصَلُّوا عَلَى الْهَادِي صَلاَةَ السِّرِّ ... إِذْ فِيهِ سَوَاءُ الْعَبِيدُ وَالْحُرُّ
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَصَلَّى اللَّهُ ... عَلَى نَبِيِّهِ وَمُصْطَفَاهُ
وَآلِهِ سَادَاتِي الأَصْفِيَا ... وَصَحْبِهِ أَقْطَابِ الأَوْلِيَا
لِنُزُولَ التَّطْهِيرَ فِي الْقُرْآنِ ... فَلاَ عَلَيْهِمْ مِنْ كَيْدِ الشَّيْطَانِ
ثُمَّ عَنِ الأَمِينِ جِبْرِيلَ ... عَلَيْهِ سَلاَمُ اللَّهِ صَاحِبِ الرَّسَائِلِ
يُبَلِّغُ الإِسْلاَمَ إِلَى الرَّسُولِ ... مُحَمَّدٍ أَصْلِ كُلِّ الأُصُولِ
عَلَيْهِ صَلاَةُ اللَّهِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ ... وَالآلِ وَالصَّحْبِ أَفْضَلِ أُمَّةٍ
ثُمَّ إِلَى رَبِّ الْعِزَّةِ وَالْجَبَرُوتْ ... الْوَاحِدِ الأَحَدِ الَّذِي لاَ يَمُوتْ
الْمُنَزَّهِ عَنِ الإِطْلاَقِ وَالتَّقْيِيدِ ... الْمُصَدَّرِ بِالْعَظَمَةِ وَالتَّفْرِيدِ
إِلَهُ الْخَلْقِ ذُو الْجَلاَلِ ... وَمَوْصُوفٌ بِأَوْصَافِ الْكَمَالِ
اَلْحَمْدُ لِلَّهِ مُنَزِّلِ الْكِتَابِ ... عَلَى عَبْدِهِ بِالْحَقِّ وَالصَّوَابِ
اَللَّهُمَّ بِحَقِّ هَذِهِ السَّادَاتِ ... وَبِحَقِّ صَاحِبِ الْمُعْجِزَاتِ
اغْفِرْ لِمَنْ آمَنَ بِالإِسْلاَمِ ... وَبِمَا أَتَى خَيْرُ الأَنَامِ
وَاغْفِرْ لِمُحَمَّدٍ بْنِ الْحَبِيبِ ... الْبُوزَيْدِي لِرَحْمَةِ الْمَوْلَى رَغِيبِ

وَالْحَمْدُ لِلّهِ عَلَى التَّمَامِ   وَالصَّلاَةُ بِلاَ انْفِصَامِ
عَلَى طَهَ سَيِّدِ الأَنَامِ   وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الْكِرَامِ

وله أيضاً رضي الله عنه:

عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللّهِ حَيْثُ تَوَجَّهْتَ   وَكُنْ كَرِيمَ الأَخْلاَقِ فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ
وَحُسْنُ الظَّنِّ بِالْعِبَادِ إِنْ شِئْتَ   سُرُوراً مُؤَبَّداً مِنَ اللُّبِّ وَالْقِشْرِ
وَهَبْ عِرْضَكَ لِلْخَلْقِ صَادِقاً إِنْ كُنْتَ   تُرِيدُ بَهَاءً ثُمَّ فَخْراً عَلَى فَخْرِ
وَلَوْ أَذَاكَ وَاحْمِلْ أَذَاهُمْ وَاصْبِرْ حَتَّى   يُرَى صَبْرُكَ الْقَوِيُّ وَالرِّضَا بِالأَمْرِ
إِنَّ الرِّضَا بَابُ اللّهِ وَالصَّبْرُ يَا فَتَى   بِهِ تَنَالُ الْمَقَامَ الأَعْلَى مِنَ الشُّكْرِ
وَقُمْ وَاجْتَهِدْ فِي الْفَرْضِ وَالنَّفْلِ يَا فَتَى   وَكُنْ ظَاهِراً فِي الْبَرِّ وَالْقَلْبُ فِي الْبَحْرِ
وَغِبْ عَنْكَ وَالْغَيْبَةُ فِي الْغَيْبِ إِنْ غِبْتَ   وَكُنْ حَاضِراً فِي الْغَيْبِ وَالسِّرِّ وَالْجَهْرِ
وَرَاقِبْ جَمَالَ الْمَعْنَى فِي الْحُسْنِ إِنْ جِئْتَ   إِلَى بِلاَدِ الْعِيَانِ بِالصَّحْوِ مِنْ سُكْرِ
سَلَكْتَ طَرِيقَ الْقُرْبِ هَكَذَا إِنْ كُنْتَ   وَإِلاَّ فَسِرْ مَا دَامَ يَوْمُكَ فِي الْعُمْرِ
أَمَامَكَ أَقْوَامٌ تَرَاهُمْ إِذَا تِهْتَ   عَنِ الْكَوْنِ وَإِلاَّ فَإِنَّكَ فِي السِّتْرِ
حِجَابُكَ هُوَ الْقُرْبُ بِالْقُرْبِ قَدْ غِبْتَ   وَلَوْلاَ وُجُودُ الْقُرْبِ لَمْ تَكُنْ فِي الْهَجْرِ
فَإِنَّكَ وَهْمٌ بِالْجَهَالَةِ مَا دُمْتَ   وَإِنْ جَاءَكَ التَّحْقِيقُ صِرْتَ عَيْنَ الأَمْرِ
فَسِرُّكَ مَرْمُوزٌ فِي نَفْسِكَ إِنْ قُلْتَ   فَإِنَّكَ عَيْنُ السِّرِّ وَأَنْتَ لَمْ تَدْرِ
أَزِلْ مِنْكَ وَصْفَ الْبُعْدِ بِالْوَصْفِ قَدْ تِهْتَ   وَلَوْلاَ ذَاكَ لَكُنْتَ فِي أَنْوَارِ الْبَدْرِ
وَبَعْدَهَا فَجْرُ الصُّبْحِ فِي الْوَصْلِ قَدْ بَدَتْ   شُمُوسُ الضُّحَى تَبْدُو إِلَى آخِرِ الْعَصْرِ
فَهَذَا سِرُّ الرِّجَالِ إِنْ كُنْتَ قَدْ جِئْتَ   لِحَضْرَتِهِمْ فَاهْجُرْ هَوَاكَ كُلَّ الْهَجْرِ
وَبِعْ نَفْسَكَ لَهُمْ حَقِيقاً إِذَا شِئْتَ   مَقَاماً تُقِيمُ فِيهِ بِالْفَتْحِ وَالنَّصْرِ
وَلاَزِمْ آدَابَ الْبَرِّ فِي الْبَحْرِ إِنْ هِمْتَ   وَكُنْ قَائِماً بِالْعَدْلِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ
وَقُمْ بِمِيزَانِ الْعِلْمِ فِي كُلِّ مَا قُمْتَ   إِلاَّ أَنَّ عِلْمَ الْحَالِ خَيْرٌ عَلَى خَيْرِ
وَصِفَةُ هَذَا الْعِلْمِ مِنْ أَيِّ مَا جِئْتَ   تُشَاهِدُ وَصْفَ الذَّاتِ بِارْتِفَاعِ السِّتْرِ
فَإِنْ كُنْتَ قَدْ حَصَّلْتَ هَذَا فَوَاصِلِ   وَإِنْ كُنْتَ تَرَاهُ فَقِفْ بِبَابِ الْعَصْرِ

http://albordj.blogspot.com

ديوان
آيات المحبين في مقامات العارفين

للعارف بالله تعالى الشيخ عدة بن تونس المستغانمي

ضبطه وصححه وعلق عليه
الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي
الحسيني الشاذلي الدرقاوي

قال رضي الله عنه:

وَاللَّهِ مَا سَقَوْنِي حَتَّى عَطِشْتُ ... وَمَا نِلْتُ هُدَايَ حَتَّى هُدِيتُ
وَمَا كُنْتُ حَيّاً بِاللَّهِ حَتَّى ... فِيهِ مِتُّ وَعَنْ كَوْنِي فَنَيْتُ
وَمَا أَصْبَحْتُ مُرِيداً قَدِيراً ... حَتَّى عَجِزْتُ عَمَّا قَدْ هَوَيْتُ
وَمَا كُنْتُ بِهِ سَمِيعاً بَصِيراً ... حَتَّى صَمَمْتُ وَحَتَّى عَمَيْتُ
وَمَا صِرْتُ فِيهِ بِالْعِلْمِ حَتَّى ... تَرَكْتُ الْعِلْمَ بِالْجَهْلِ رَضِيتُ
وَمَا كُنْتُ كَلِيماً مُنَاجِيّاً ... حَتَّى بَكَمْتُ بِالْعَيِّ ارْتَدَيْتُ
إِنَّ مَهْرَ الْحَبِيبِ عِزٌّ فِي ذُلٍّ ... غِنَاءٌ فِي فَاقَةٍ قَدْ دَرَيْتُ
وَمَنْ يَرْوِي الْوِصَالَ دُونَ مَهْرٍ ... فَهَيْهَاتَ الْحَقِيقُ وَمَا رَوَيْتُ

وله أيضاً رضي الله عنه:

مَدَدْتُ يَدِي لَمَّا شَاهَدْتُكَ سَنَدِي ... وَلَوْلاَكَ مَا كُنْتُ وَلاَ مَا كَانَتْ يَدِي
فَنَيْتُ فِيكَ حَتَّى كُنْتَ مِنِّي بَصَرِي ... وَكُنْتَ مِنِّي سَمْعِي وَرُوحِي فِي جَسَدِي
نَطَقْتُ بِكَ مَعْنًى وَالنَّاسُ فِي أَزَلٍ ... لَبَّيْتُ مُعْتَرِفاً بِالْوَاحِدِ الأَحَدِ
طَوَيْتُ شَكْلِي كَمَا تُطْوَى الظِّلاَلُ ضُحَى ... إِذَا الشَّمْسُ أَشْرَقَتْ فِي مُسْتَوَى الْكَبِدِ
أَنَا الظِّلاَلُ وَلاَ وُجُودَ أَمْلِكُهُ ... إِلاَّ إِذَا جُدْتُمْ بِالنُّورِ وَالْمَدَدِ
وَأَنْتُمُ الشَّمْسُ فِي الأَكْوَانِ مَا فَتِئَتْ ... تُرَى عَلَى مِشْكَاتِي بِالْوَجْدِ وَالنَّمَدِ
وَاللَّهِ مَنْ رَآنِي مِنْ غَيْرِ مَا شَبَهٍ ... رَأَى الَّذِي مَا لَهُ فِي الْكَوْنِ مِنْ عَدَدِ
أَمَّا الْعَدَدُ إِذَا حَقَّقْتَ صُورَتَهُ ... وَجَدْتَهُ وَاحِداً مَا لَهُ مِنْ قِدَدِ
وَرَقْمُ ثَانِيَةٍ كَرَقْمِ ثَالِثَةٍ ... كُلٌّ مِنْهَا قَائِمٌ بِالأَحَدِ الصَّمَدِ
مَا ثَمَّ مِنْ خَطَلٍ إِذَا مَا تَنَوَّعَتْ ... سِوَى الْمَدَدُ بَدَا بِحَسَبِ الْخَلَدِ
وَلاَ يَخْفَى وَجْهُهُ فِي كُلِّ أَوْجُهِهِ ... إِلاَّ عَلَى أَكْمَهَ عَمِيَ بِالرَّمَدِ
أَمَا تَرَى سَوَاداً بِالْعَيْنِ فِي بَيَاضٍ ... وَالْعَيْنُ كِلاَهُمَا عِنْدَ كُلِّ أَحَدِ

وله أيضاً رضي الله عنه:

سَائِقَ الأَرْوَاحِ لَمْ يُبْقِ لِي غَيٌّ ... بِشُهُودِ مَلَكُوتِ كُلِّ شَيْءٍ
حُسْنُهُ الذَّاتِي فِي عَيْنِ الذَّوَاتِ ... كَشَمْسٍ قَدْ أَشْرَقَتْ فِي كُلِّ فَيْءٍ

يَـا لَـهَـا مِـنْ خَـوَارِقٍ عَـظُـمَـتْ ... لَمْ تُبْقِ فِي الْحَيِّ مَيْتاً غَيْرَ حَيْ

سُقَيْتُ مِنْ حُسْنِهَا كَأسَ الْهَوَى ... تُهْتُ بِهِ عَنِ الْكَوْنِ يَا أُخَيْ

مَا لَذَّةُ الْعَيْشِ إلاَّ عَطْفَةٌ ... مِنْ حَبِيبٍ يَمُنُّ بِهَا عَلَيْ

سَعِيدٌ وَاللَّهِ مَنْ هَمَّ بِهَا ... وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهْوَ فَتَيْ

نَفَحَاتُ اللَّهِ أَنْتُمْ أَبَداً ... فَوَا فَوْزَ مَنْ نَالَ مِنْكُمْ رُقَيْ

مَنْ أَرَادَ الْحَقَّ حَقًّا وَأَتَى ... مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِكُمْ فَهْوَ فِي غَيْ

أَنْتُمُ الإِكْسِيرُ مِنْ بَيْنِ الْوَرَى ... كَمْ كَسِيرٍ بِيَكْسِيرِكُمْ شُفِيْ

مِنْ صُحْبَةِ الْقَوْمِ قَوْمٌ شَرُفَتْ ... فَعَلاَ الْكَوْنَ صَدَاهُمْ بِدُوَيْ

أَهْلُ صِدْقٍ وَوَفَاءٍ وَصَفَا ... خُلَفَاءُ الرُّسْلِ مِنْ غَيْرِ مُرَيْ

مَنْ عَاشَ فِي ظِلِّكُمْ بُشْرَاهُ قَدْ ... عَاشَ بِاللَّهِ عَلَى أَحْسَنِ زَيْ

لاَ أَحْرَمَ اللَّهُ بِكُمْ مُذْنِفاً ... مِنْ رِضَاءٍ لاَ يَطْوِيهِ الدَّهْرُ طَيْ

وله أيضاً رضي الله عنه:

تَنَازَعَنِي رُوحِي وَشَبْحِي فَمَنْ أَنَا ... لَقَدْ حِرت فِي أَمْرِي فَمَنْ لِي بِمَنْ يَدْرِي

فَإِنْ قِيلَ لِي رُوحٌ بَقِيتُ بِلاَ شَبْحٍ ... وَإِنْ قِيلَ لِي شَبْحٌ فَأَيْنَ رُوحِي تَسْرِي

ضَلِلْتُ وَرَبِّ الْعَرْشِ لَوْلاَ دَلِيلُهُ ... هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ

فَأَيْقَنْتُ أَنَّ الشَّيْءَ رُوحِي وَمُهْجَتِي ... وَلَمْ يَكُنْ مَذْكُوراً فِي عَوَالِمِ الأَمْرِ

وَلَمَّا أَفَاضَ النَّاسُ مِنْ حَضْرَةِ الصَّفَا ... تَسَمَّتْ رُوحِي زَيْداً وَرُوحُكَ بِعَمْرِو

فَأَنْتَ مُخَلَّقٌ وَغَيْرُ مُخَلَّقٍ ... وَإِلَهُكَ وِتْرٌ فَاطِرُ الشَّفْعِ فِي الْوِتْرِ

وله أيضاً رضي الله عنه:

رُوَيْدَكَ يَا صُبْحُ هَلْ لَكَ مِنْ خَبَرٍ ... أَتَطْلُعُ وَشَمْسُ الْهُدَى عَلَى سَفَرٍ

رُوَيْدَكَ فَاتْرُكِ الدِّيَارَ حَلِيكَةً ... رِفْقاً عَلَى تَارِكِ اللَّذَّاتِ بِالسَّهَرِ

مُصَابٌ بِهِ جَلَّ الْجَلَلُ فِي زَمَنٍ ... أَصْبَحَ فِيهِ شَرْعُ الْمُخْتَارِ فِي خَطَرٍ

عَزِيزٌ بِهِ شَحَّ الزَّمَانُ مُقْتَفِياً ... مَا جَاءَ فِي الأَثَرِ عَنْ سَيِّدِ الْبَشَرِ

اَللَّهُ يَبْعَثُ فِي كُلِّ قَرْنٍ رَجُلاً ... بِهِ الدِّينُ يَنْجَلِي مِنْ وَصْمَةِ الصُّغْرِ

مَاتَ الَّذِي قَدْ كَانَ بِاللَّهِ نُصْرَتُهُ ... وَكَانَ بَيْنَ الْوَرَى كَالْغَيْثِ وَالْمَطَرِ

مَاتَ الْعَلاَوِي فَمَنْ لِلدِّينِ يَنْصُرُهُ ... مَاتَ الْعَلاَوِي فَمَنْ لِلأُنْثَى وَالذَّكَرِ

مَاتَ الْعَلاَوِي فَمَنْ لِلدِّين يَنْشُرُهُ ... فِي رِقَّةِ الْكَاتِبِ الْبَلِيغِ الْمُقْتَدِرِ
مَاتَ الْعَلاَوِي فَمَنْ لِلنَّاسِ يُرْشِدُهُمْ ... إِلَى الطَّرِيقِ الْمُثْلَى بِالْحَالِ وَالْعِبَرِ
مَاتَ الطَّبِيبُ فَمَنْ لِلدَّاءِ يَلْجِمُهُ ... وَالدَّاءُ فِي عُتُوٍّ بِالْفَرْدِ وَالنَّفَرِ
مَاتَ الْحَكِيمُ فَمَنْ لِلْقَلْبِ يَغْمُرُهُ ... بِحِكْمَةِ الْحِكَمِ عِنْدَ أَهْلِ النَّظَرِ
مَاتَ الْحَبِيبُ صُبْحاً مِنْ بَعْدِ بُغْيَتِهِ ... وَالْعَيْنُ مِنْ حَوْلِهِ تَفِيضُ بِالدُّرَرِ
سُوَيْعَةٌ يَا لَهَا ثَوَانِي لاَذِعَةً ... أَشَدُّ مِنَ الْجَمْرِ تَكَادُ مِنْ سَقَرِ
دُمُوعٌ سَائِلَةٌ أَفْئِدَةٌ مُزَّقَتْ ... عُقُولٌ ذَاهِلَةٌ مِنْ شِدَّةِ الْخَبَرِ
تَنَادَتْ خِلَّتُهُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَّةٍ ... فَجَاءَتْ لِدَفْنِهِ تَمْشِي عَلَى قَدَرِ
صَبِيحَةٌ تَرَكَتْ فِي الْقَلْبِ شُعْلَتَهُ ... فَبَاتَ مِنْ بَعْدِهَا يَغْفُو عَلَى حَذَرِ
لَيَوْمٌ مِنْ أَيَّامِ الزَّمَانِ تَشْهَدُه ... طَوَائِفٌ مِنْ دُورٍ وَخِيَامِ الشَّعَرِ
حَبِيبٌ لَوْ يُفْتَدَى بِمِلْئِهَا ذَهَباً ... لَقُلْتَ عَزَّ الْمُفْدَى فِيهِ عَلَى ضَجَرِ
عَوَارِفُهُ الْغُرُّ مَا لَهَا مِنْ شَبَهٍ ... فَاكْرِمْ بِهَا شَفِياً مِنْ عِلَّةِ النَّحَرِ
فَكَمْ بِهِ حَسُنَتْ نَفْسٌ قَدْ بَغَى بِهَا ... هَوَاهَا فَأَصْبَحَتْ صَفْواً بَعْدَ كَدَرِ
تَسَامَتْ فَضَائِلُ الْعَلاَوِي قَائِلَةً ... إِنَّنِي مِنْ بَيْنِكُمْ مِنْ أَجْمَلِ الأَثَرِ
رَعَا اللَّهُ تِلْكُمُ الْخِلاَلَ مَا حَيِيَتْ ... فِي النَّاسِ شَارِقَةً مِنْ شَمْسٍ وَقَمَرِ

وله أيضاً رضي الله عنه:

يَا رَفِيعَ الْقَدْرِ أَحْمَدْ ... يَا إِمَامَ الْعَارِفِينَا
يَا عَلاَوِي يَا مُمَجَّدْ ... فَاسْقِنَا سَيِّدِي فَاسْقِنَا
أَنَا الْعَاشِقُ الْمُهَدَّدْ ... بِجَفَاءِ الرَّاحِلِينَا
وَالْحُبُّ مِنِّي لاَ يُنْفَدْ ... لَمْ أَزَلْ فِيهِ رَهِينَا
لَسْتُ أَنْسَاكَ يَا أَحْمَدْ ... وَإِنْ طَالَ الْعَهْدُ بِنَا
فَالْقَلْبُ بِكَ مُعَرْبَدْ ... زَادَهُ الشَّوْقُ حَنِينَا
فَضْلُكَ عِنْدِي لاَ يُجْحَدْ ... مَلأَ قَلْبِي يَقِينَا
سِرُّ اللَّهِ نُورٌ يُوقَدْ ... كَشَمْسٍ فِي الْعَالَمِينَا
مِنْ مَدَدِكَ الْمُمَدَّدْ ... سَقَيْتَنَا كَأْساً مَعِينَا
فَعُدْنَا وَالْعَوْدُ أَحْمَدْ ... شُرْبَةً حِيناً فَحِينَا

نِيرَانُ الشَّوْقِ لاَ تُخْمَدْ   لَقَدْ رَضِيتُهَا دِينَا
هِيَ رُوحِي بِهَا تُخْمَدْ   حَيَاتِي فِي الْعَامِلِينَا
هِيَ سِرِّي بِهَا أَسْعَدْ   فِي حَلْبَةِ السَّابِقِينَا
جَزَاكَ اللَّهُ يَا أَحْمَدْ   عَمَّا قُمْتَ بِهِ فِينَا
دَوَيْتَ بِالاسْمِ الْمُفْرَدْ   دَاءً فِي الْقَلْبِ مَكِينَا
أَزَلَ الْوَهْمَ الْمُلَبَّدْ   كَجَبَلِ طُورِ سِينَا
أَنْتَ الْمَبْعُوثُ الْمُجَدِّدْ   لأَمْرِ الدِّينِ يَقِينَا
وَالْحَقُّ حَقٌ لاَ يُرَدْ   رَغْمَ أَنْفِ الْجَاحِدِينَا
جَهَدْتَ فَكُنْتَ أَوْحَدْ   فِي نُصْرَةِ الذَّاكِرِينَا
بِقَلَمِكَ الْمُهَنَّدْ   وَبِحِزْبِ الْمُؤْمِنِينَا
ذَلِكَ الْحِزْبُ الْمُؤَيَّدْ   بِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَا
أَنْتَ الْقُدْوَةُ الْمُسَاعِدْ   سَاعِدْنَا بِمَا يَهْدِينَا
بِرِضْوَانٍ مُتَزَايِدْ   تَضْحَى بِهِ مُسْتَعِينَا
حَاشَاكَ نَبْقَى مُنَكَّدْ   سُخْرِياً لِلْعَابِثِينَا
وَأَنَا الْعَبْدُ الْمُؤَبَّدْ   فِي جِوَارِكُمْ أَمِينَا
عُدَّةٌ مِنْكَ يُشَيِّدْ   بِالرِّضَا حِصْناً حَصِينَا
صَلِّ يَا رَبِّ وَمَجِّدْ   حَضْرَةَ الْهَادِي نَبِينَا
صَفْوَةَ الْخَلْقِ مُحَمَّدْ   وَآلِهِ الطَّاهِرِينَا
وَحِزْبَ اللَّهِ الْمُشَيَّدْ   وَأَنْصَارَهُ الْهَادِينَا
مَا لاَحَ نَجْمٌ وَغَرَّدْ   طَائِرٌ فِي الْعَالَمِينَا

وله أيضاً رضي الله عنه:

يَا عَظِيماً يُرْجَى لِكُلِّ عَظِيمٍ   قَدْ عَظُمَ الْخَطْبُ وَفَاضَ الْبَلاَءُ
جَلَلٌ عَمَّنَا كَشِبْهِ صَيِّبٍ   فِيهِ رَعْدٌ وَبَرْقٌ فِيهِ صَلاَءُ
يَا لِلإِسْلاَمِ وَالْمُسْلِمِينَ طُرًّا   مِنْ قَضَاءٍ يَبْدُو عَلَيْهِ شَقَاءُ
رَحْمَاكَ رَبِّي بِعِبَادٍ حَيَارَى   فِي قُيُودٍ شَدِيدَةٍ أَسْرَاءُ
نُودِيَ فِي النَّاسِ بِسُوءِ نَفِيرٍ   فَعَمَّ الْجَزَعُ وَضَاقَ الْفَضَاءُ

كَمْ صِبْيَةٍ ظَلَّتْ فِي الْوَرَى يَتَامَى عَالَةً عَرَايَا جِيَاعَ ضِمَاءُ
وَنِسْوَةٍ تَبْكِينَ فِي كُلِّ بَيْتٍ ذَاهِمَتْهُنَّ فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ
يَا غِيَاثُ بِبَابِكَ قَدْ وَقَفْنَا أَذِلَّةً صَرْعَى مَسَّنَا الْفَنَاءُ
أَغِثِ الْمُسْتَغِيثَ قَدْ عِيلَ صَبْراً أَجِبِ الْمُضْطَرَّ غَشَاهُ الْوَبَاءُ
دَعَوْنَاكَ رَبِّي وَالْقَلْبُ جَرِيحٌ وَالطَّرْفُ قَرِيحٌ وَالْعَقْلُ هَبَاءُ
دَعَوْنَاكَ رَبِّي مَا لَنَا سِوَاكَ وَبِرِضْوَانِكَ يَكُونُ الْعَطَاءُ
بِاسْمِكَ الأَعْظَمِ يُرْجَى دُعَانَا بِالرَّسُولِ الأَكْرَمِ يُلْغَى الْعَنَاءُ
بِسِرِّكَ الْمَصُونِ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِنُورِ وَجْهِكَ يَتِمُّ الشِّفَاءُ
أَنْتَ أَوْقَفْتَنَا بِبَابِكَ نَدْعُو وَحَاشَا أَنْ يَخِيبَ فِيكَ الرَّجَاءُ
إِنْ رَحِمْتَ فَبِفَضْلٍ مِنْكَ نُحْمَى وَإِنْ عَذَّبْتَ فَعَدْلٌ وَدَوَاءُ
فَعَلَى كُلِّ حَالَةٍ أَنْتَ أَوْلَى بِعَبِيدِكَ أَحْسَنُوا أَمْ أَسَاؤُوا
يَا رَحِيماً بِرَحْمَتِكَ أَغِثْنَا يَا كَرِيماً مَا مِثْلُهُ كُرَمَاءُ
يَا غَفُوراً فَاغْفِرْ فَإِنَّكَ عَفُوٌّ فَاعْفُ عَنَّا فَالْعَفْوُ مِنْكَ صَفَاءُ
وَفَقْنَا أَجِرْنَا مِنْ سُوءِ الطَّوَارِي وَاخْتِمْ لَنَا عُمْراً مَدَّاهُ رِضَاءُ
وَالصَّلاَةُ عَلَى النَّبِيِّ عِمَادِي عَيْنُ رَحْمَةِ اللَّهِ بِهِ الْجَلاَءُ
وَالسَّلاَمُ الشَّامِلُ لِكُلِّ فَرْدٍ مِنْ آلٍ وَصَحْبٍ مَا فَاضَ السَّمَاءُ

وله أيضاً رضي الله عنه:

يَا مَلِيحَ الدَّلاَلِ يَا مُهْجَةَ الْجَوَى فَتِهْ وَلاَ تُبَالِ فَقَدْ طَابَ الْهَوَى
مَلَكْتُمْ مِنِّي بَالِي غِبْتُ عَنِ السِّوَى إِنْ قِيلَ لِي هُبَالِي قُلْتُ وَمَنْ يَسْوَى
حُبُّكُمْ رَأْسُ مَالِي حَاشَا عَنْهُ نَغْوَى وَإِنْ لَجُوا عُذَّالِي فِي تَلْوِينِ الْبَلْوَى
قَدْ كُنْتُ بِكُمْ سَالِي مِنْ قَبْلِ الاِسْتِوَى وَلاَ زِلْتُ فِي حَالِي وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى
خِلٌّ عَلَى التَّوَالِي فِي حُبِّكُمْ يَقْوَى مَا لَهُ مِنْ مِثَالِ فِي وَصْفِكُمْ يَرْوَى
مَاذَا يُبْدِي مَقَالِي وَبِوَادِي طُوَى لَقَدْ دُكَّتْ جِبَالِي وَدُكَّتِ الْقُوَى
تَجَلَّى ذُو الْجَلاَلِ لاَ طُورَ لاَ رِضْوَى فَالْكُلُّ فِي اضْمِحْلاَلِ مُلْتَوِي مُنْطَوَى
إِنْ بُحْتُ بِالْوِصَالِ حَقّاً وَلاَ غَزْوَى وَصْلِي بِلاَ انْفِصَالِ فِي السِّرِّ وَالنَّجْوَى
يَا خَيْبَةَ آمَالِ مَنْ عَاشَ بِالنَّوَى يَحْكِي عَنِ الرِّجَالِ وَيَرْضَى بِالْخَوَى

أَيـنَ أَنْـتَ يَـا خَـالِـي مِنَ الشَّجَى الْمَكْوَى بِـنَـارٍ فِـي الْأَتْـجَـالِ وَنُورٍ فِي الْمَأْوَى
فَـإِنْ رُمْـتَ وِصَـالِـي فَـاذْنُ مِـنِّـي تُـرْوَى تُـسْقَـى بِـلاَ فِـنْـجَالِ مِنْ خَمْرَةِ الْقُدْوَى
صَـــــــلِّ رَبِّ وَوَالِ سَـلاَمـاً كَـالـرَّوَى عَـلَـى تَـاجِ الْأَرْسَـالِ نَـبِـيِّـنَـا الْأَقْـوَى
وَعَـلَـى كُـلِّ وَالِـي مِنْ رِجَـالِ الْـفَـتْـوَى سَـادَتِـنَـا الْأَفْـضَـالِ أَئِـمَّـةِ الـتَّـقْـوَى

وله أيضاً رضي الله عنه:

يَـا لاَئِـمِـي كُـفَّ الْـمَـلاَمْ رَانِـي بِـحِـبِّـي سَـالِـي
أَلْـعَـلاَوِي بَـدْرُ الـتَّـمَـامْ مَـا نَـعْـشَـقْ غَـيْـرُ والِـي
مَوْلَى الْقُبَّةْ مَوْلَى الْمَقَامْ صَـاحِـبُ الـتَّـاجْ الْـغَـالِـي
شَرْبْنِي كَاسْ مِنَ الْمُدَامْ نَـوَّرْ قَـلْـبِـي وَاحْـوَالِـي
يَـا سَائِلِي طَابَ الْـغَـرَامْ فَـاعْـشَـقْ وَلاَ تُـبَـالِـي
تَـتْـهَـنَّـى وَاتْـزُولْ الْأَوْهَـامْ تَـظْـفَـرْ بِـالْـكَـنْـزْ الْـمَـالِـي
يَا سَعْدَكْ تَفْطَنْ مِنَ الْمَنَامْ تَـفْـلَـحْ وَاتْـكُـونْ ابْـحَـالِـي
مَنْ لاَ يَفْهَمْ هَذَا الْكَلاَمْ هَـايَـمْ مَـا مِـثْـلُ خَـالِـي
سَـيْـدِي بَـعْـثْ رَبُّ الْأَنَـامْ يَـفُـكْ مِـنَ الاَغْـلاَلِـي
اطْـبِـيبْ يُـعَـالَـجْ بِـالْأَقْـوَامْ مَـاهِـرْ مِـنْ اهْـلِ الْـكَـمَـالِـي
بِالنَّظْرَة يَشْفِي مِنَ الْأَسْقَامْ يَـشْـفِـي مِـنْ كُـلْ اغْـلاَلِ
إِذَا تْـلاَزَمْ وِرْدُ بِـالـدْوَامْ تَـرَى الْـبُـرْهَـانْ الْـجَـالِـي
سَـيْـدِي الْـعَـلاَوِي يَـا إِمَـامْ سَـيْـدِي يَـا ضَـوْ انْـجَـالِـي
نَـضْـرَكْ رَبِّـي أَنْـتَ الْـهُـمَـامْ سَـايِـدْ عَـلَـى الـرِّجَـالِـي
بَـلْـغْ قَـصْـدِي يَـوْمَ الزْحَـامْ تَـحْـمِـيـنِـي مِـنَ الاَهْـوَالِـي
لَـيْـلَـةْ قَـبْـرِي بَـيْـنَ الـظْـلاَمْ أَنْـسْـنِـي فَـكْ اخْـبَـالِـي
أَنَـا وَمَـنْ رَعَـى الـذْمَـامْ مِـــــنْ أَمَّــــةِ وَوَالِـــــي
تُـذْرِكْـنَـا فِـي يَـوْمِ الْـخِـتَـامْ عِــنْــدَ فَــقْــدِ الْأَجَــالِـي
تَـلْـمِـيذْكْ قَـايِـلْ ذَا الـنْـظَـامْ نَـطْـلُـبْ مِـنْـكَ تَـصْـغَـى لِـي
بَـشْـرْنِـي وَلَـوْ فِـي الْـمَـنَـامْ نَـفْـرَحْ يَـتْـسَـلَّـى بَـالِـي

أَنصَلِّي وَانْثَنِّي بِالسَّلاَمْ دَايِمْ عَلَى التَّوَالِي
عَلَى الْهَادِي خَيْرِ الأَنَامْ مُحَمَّدْ رَئِيسْ مَالِي
وَالآلِ وَالصَّحْبِ الْكِرَامْ سَادَتِنَا الْمَوَالِي
مَا سَبَّحَ طَيْرُ الْحَمَامْ جِنْسُ الْوَرْشَانْ الْجَالِي

وله أيضاً رضي الله عنه:

بَدِيعُ الْحُسْنِ فِي الْحَيِّ تَجَلَّى كَأَنَّهُ الْبَدْرُ حِينَ التَّمَامِ
وَأَيْنَ الْبَدْرُ إِذَا مَا تَدَلَّى وَطَافَ كَأْسُهُ عَلَى الْكِرَامِ
مَحَاسِنٌ وَاللهِ تُنْسِي الثُّكْلَى عَنْ سرِي الْحَيِّ خَيْرِ الأَقْوَامِ
مَحَاسِنٌ قَدْ سَادَتْ بِهِ الأَوْلَى أَهْلُ الْعِرْفَانِ مِنْ بَيْنِ الأَنَامِ
كَانَتْ هِيَ الْخَمْرُ بِهَا تَوَلَّى سُلْطَانُهُمْ وَعَاشُوا فِي اغْتِنَامِ
خُمَيْرَةٌ فِي الْقَدَحِ الْمُعَلَّى مَنْ ذَاقَهَا تَاهَ بِالأَصْطِلاَمِ
أَشْهَى مِنَ الشُّهْدِ ذَوْقُهَا أَحْلَى فِيهَا شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ الأَسْقَامِ
يُدِيرُهَا سَاقٍ بِهَا تَسَلَّى قَامَ بِنَشْرِهَا حَقُّ الْقِيَّامِ
حَدِيثُهُ الْوَحْيُ كُلَّمَا يُتْلَى فِيمَا بَيْنَ الْخَوَاصِ وَالْعَوَامِ
مَنْ رَآهُ رَأَى الرَّفِيقَ الأَعْلَى إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ ذَوِي الإِلْهَامِ
كَفَى بِهِ الْفَرْدُ الَّذِي لاَ يَعْلَى عَلَى عُلُوِّهِ أَهْلُ الصِّيَامِ
كَلَيْلَةِ الْقَدْرِ مَا مِثْلُ لَيْلَى فِيمَا بَيْنَ اللَّيَالِي وَالأَيَّامِ
قَدْ تَحَلَّى مِنْ بَعْدِ مَا تَخَلَّى كَسَاهُ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ
فَازَ بِحُلَّةٍ بِهَا تَحَلَّى كَانَ لِبَاسُهَا عَيْنَ الْمَرَامِ
هَنِيئاً لِمَنْ فِي هَوَاهُ قَتْلَى نَالُوا مِنْ سِرِّهِ مِسْكَ الْخِتَامِ
فَصَلِّ يَا رَبِّي صَلاَةً مُثْلَى عَلَى الْهَادِي نَبِيِّنَا الْهُمَامِ
كُلَّ مَا صَلَّى عَابِدٌ وَصَلَّى عَلَيْهِ نَاسِكٌ وَأَزْكَى السَّلاَمِ
وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَالْفَضْلَى أُمِّ الْحَسَنَيْنِ زَوْجِ الإِمَامِ

وله أيضاً رضي الله عنه:

يَا صَاحِي هَلْ فُزْتَ بِهِ وَهَلْ شَاهَدْتَ سَنَاهُ
وَهَلْ مُتَّ فِي حُبِّهِ وَهَلْ سَمِعْتَ نِدَاهُ

وَهَلْ كُنْتَ فِي حَيِّهِ   مُعَرْبَداً بِهَوَاهُ

إِنْ كُنْتَ الَّذِي تَعْنِيهِ   فَأَنْتَ مِمَّنْ دَنَاهُ

وَإِلاَّ فَاسْأَلْ عَلَيْهِ   وَابْتَغِ مِنْهُ رِضَاهُ

يَا مَنْ لاَ سَعَى إِلَيْهِ   قَدْ ضَلَّ بِهِ عَمَاهُ

لَيْتَهُ يَدْرِي مَا بِهِ   وَيَصْرِفُ مَا دَهَاهُ

يَصْحَبُ شَيْخاً يَهْدِيهِ   لِحَقِيقَةِ مَعْنَاهُ

يَعْمَلُ بِمَا يُوصِيهِ   لاَ يَصْغَى لِمَا سِوَاهُ

يُغْنِيهِ عَمَّا يُلْهِيهِ   مِنْ هَوَاجِسِ هَوَاهُ

وَيُحْيِيهِ بِسِرِّهِ   ثُمَّ يَبْقَى بِبَقَاهُ

يَضْحَى مِنْ بَعْدِ فَضْلِهِ   مَكْشُوفاً عَنْهُ غِطَاهُ

يَجْلِسُ عَلَى عَرْشِهِ   فِي حَضْرَةِ مَنْ حَبَاهُ

وَيَشْرَبُ بِكَأْسِهِ   خَمْرَةً فِيهَا شِفَاهُ

هَذَا الْفَوْزُ بِعَيْنِهِ   وَالْخُسْرَانُ مَا عَدَاهُ

رَبِّي وَفِّقْنِي إِلَيْهِ   نَبْقَى بِهِ لاَ نَنْسَاهُ

مُشْتَغِلاً بِشَأْنِهِ   مُتَفَانِي فِي هَوَاهُ

تَاهَ عَقْلِي بِحُسْنِهِ   طَابَ عَيْشِي بِرِضَاهُ

قَرَّبَنِي مِنْ قُدْسِهِ   وَدَنَانِي مِنْ صَفَاهُ

أَنَا جَنْبُهُ فَاذْرِهِ   قَدْ تَيَّهَنِي عَطَاهُ

لاَ نَظِيرَ لِي يَحْكِيهِ   لِلَطَافَةِ مَعْنَاهُ

قُمْتُ أَدْعُو بِأَمْرِهِ   مَا لِي سِوَاهُ نَخْشَاهُ

أَرْجُوهُ يُحْيِينِي بِهِ   فِي سِرِّهِ وَنَجْوَاهُ

مُؤَيَّداً بِنَصْرِهِ   كَالَّذِي كَانَ يَرْعَاهُ

ذَلِكَ الَّذِي نَعْنِيهِ   مَنْ لِسِرِّهِ اصْطَفَاهُ

صَلِّ يَا رَبِّي عَلَيْهِ   صَلاَةً تُبْدِي رِضَاهُ

وَتُرْضِي أَهْلَ بَيْتِهِ   وَمَنْ فِي الدِّينِ اقْتَفَاهُ

وله أيضاً رضي الله عنه:

يَا طَالِبَ اللَّهِ بَادِرْ   وَاغْتَنِمْ وَقْتاً ثَمِينَا

جَاءَتْكَ فِيهِ الْبَشَائِرْ   عَنْ قُدْوَةِ الْمُهْتَدِينَا

إِمَامٌ بِهِ تُفَاخِرْ   كُلُّ مَنْ فِي الْعَالَمِينَا

بَابُ اللَّهِ بِهِ عَامِرْ   مَلْجَأً لِلْقَاصِدِينَا

طُبُّهُ يُبْرِي السَّرَائِرْ   يُحْيِي مَنْ كَانَ دَفِينَا

يُغْنِيكَ عَنِ الظَّوَاهِرْ   يُبْقِيكَ فَرْداً أَمِينَا

فَاصْطَبِرْ خِلِّي وَصَابِرْ   وَارْضَ بِالَّذِي رَضِينَا

عَسَاهَا تَحْلُو الْمَرَائِرْ   فَتَحْظَى بِمَا حُظِينَا

فَاذْكُرِ اللَّهَ وَذَاكِرْ   ذِكْرَ قَوْمٍ عَارِفِينَا

هَامُوا بِهِ فِي الْعَشَائِرْ   عَنِ الْمَالِ وَالْبَنِينَا

حَتَّى بَدَا فِي الْمَآثِرْ   فِي كُلِّ شَيْءٍ مُبِينَا

بِالْبَصَرِ وَالْبَصَائِرْ   رَأَوْهُ حَقًّا يَقِينَا

فَوَاحَسْرَةَ الْمُكَابِرْ   لاَ يَرَى الْإِنْصَافَ دِينَا

بِالْعَدَاوَةِ يُجَاهِرْ   أَيْقَظَتْ مِنْهُ الْقَرِينَا

مُصِرًّا عَلَى الْكَبَائِرْ   لاَ يَدْرِي مَاذَا دَرَيْنَا

يَعْبُدُ خَلْفَ السَّتَائِرْ   حُوراً وَمَاءً مَعِينَا

هَكَذَا شَأْنُ الْمُعَاصِرْ   فِي الْأَوَائِلِ وَفِينَا

سُنَّةُ اللَّهِ تُسَايِرْ   دَاعِياً وَمُدَّعِينَا

وَيَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرْ   وَيَسْأَلُ الصَّادِقِينَا

يُعْرَفُ الْبَرُّ وَالْفَاجِرْ   إِلَى النَّاسِ أَجْمَعِينَا

صَلِّ يَا رَبِّ وَثَابِرْ   صَلاَةً تُرْضِي الْأَمِينَا

مُحَمَّدْ كَنْزُ الْمَفَاخِرْ   شَامِخُ الْقَدْرِ نَبِيِّنَا

وَآلِ الْبَيْتِ الْأَزَاهِرْ   وَأَصْحَابِهِ الْهَادِينَا

مَا لَبَّى لِلَّهِ زَائِرْ   مِنْ عِبَادٍ قَانِتِينَا

وله أيضاً رضي الله عنه:

اَلصُّبْحُ بَدَا   مِنْ شَمْسِ الْهُدَى   وَالْفَضْلُ غَدَا   فِي قَبْضَتِهِ
فَقُمْ وَاغْتَنِمْ   أَيُّهَا الْكَرِيمْ   فِي مُسْتَغَانِمْ   مَا تَشْتَهِيهِ
فِيهِ الدَّوَاءُ   فِيهِ الشِّفَاءُ   فِيهِ الْهَنَاءُ   بِأَنْوَاعِهِ
فِيهِ الْكِرَامُ   فِيهِ الْهُمَامُ   فِيهِ الإِمَامُ   وَكَفَى بِهِ
هُوَ ذُو الْمِفْتَاحْ   سَاقِيُّ الأَرْوَاحْ   فَزُرْهُ تَرْتَاحْ   بِعَطْفَتِهِ
مَوْلَى الْبَشَائِرْ   صَافِي السَّرَائِرْ   مَهْدِي الأَكَابِرْ   لِنِسْبَتِهِ
عَالِي الْمَرَاتِبْ   غَالِي الْمَطَالِبْ   كُلُّ الرَّغَائِبْ   فِي صُحْبَتِهِ
أَتَاهُ الرَّحْمَانْ   فِي هَذَا الزَّمَانْ   بُشْرَى وَأَمَانْ   لأَتْبَاعِهِ
مَنْ شَاءَ الْوِصَالْ   وَنَيْلَ الآمَالْ   فَالْيُفْنِ الْخَيَالْ   فِي نَظْرَتِهِ
فَجُلْ وَاعْتَبِرْ   فِي ذَا الْمَظَاهِرْ   تَجِدْهَا لاَ غَيْرْ   فِي حَضْرَتِهِ
أَيْنَ مَا تَرَى   فِي هَذَا الْوَرَى   سِرٌّ قَدْ جَرَى   مِنْ طَلْعَتِهِ
مَعَانِي الأَشْبَاحْ   فِي سِرِّ الأَرْوَاحْ   وَأَنْتَ الْمِصْبَاحْ   فِي مِشْكَاتِهِ
فِيكَ الرَّحَمُوتْ   فِيكَ الْمَلَكُوتْ   فِيكَ الْجَبَرُوتْ   لاَ رَيْبَ فِيهِ
لَيْتَكَ تَفِيقْ   لِمَعْنَى الطَّرِيقْ   وَتُلْغِي التَّفْرِيقْ   بِأَجْمَعِهِ
حَتَّى لاَ تَخِيبْ   مِنْ قُرْبِ الْقَرِيبْ   وَتُسْقَى نَصِيبْ   مِنْ خَمْرَتِهِ
خَمْرَةُ الْمَتُونْ   خَمْرَةُ الْمَجُونْ   خَمْرَةُ الْفُنُونْ   فِي تَوْحِيدِهِ
سِرُّ اللَّطَائِفْ   نُورُ الْمَعَارِفْ   كَنْزُ الْعَوَارِفْ   عَلَيْكَ بِهِ
مَنْ لاَ يُبَالِي   تِلْكَ الْمَوَالِي   لاَ شَكَّ خَالِي   لاَ خَيْرَ فِيهِ
طَرِيقَتُنَا   فِي زَمَانِنَا   ذُخْرٌ وَمُنَى   لِسَالِكِهِ
طَرِيقُ الْوُصُولْ   طَرِيقُ الرَّسُولْ   طَرِيقُ الْفُحُولْ   مِنْ أُمَّتِهِ
صَلِّ يَا رَقِيبْ   صَلاَةً مُنِيبْ   مِنْ سِرِّ الْحَبِيبْ   عَلَى رُوحِهِ
جَدُّ الْحَسَنَيْنْ   غَوْثُ الْعَالَمِينْ   قُطْبُ الْعَارِفِينْ   صَلُّوا عَلَيْهِ

وله أيضاً رضي الله عنه:

نَحْنُ بِرِضْوَانِ الإِلَهِ شُمُوسٌ   وَمِنَّا بُدُورٌ وَمِنَّا نُجُومُ
وَمِنَّا كَوْكَبٌ يَا صَاحِي دُرِّيٌّ   وَمِنَّا شُهُبٌ لِلْغَيِّ رُجُومُ

وَمِنَّا مَا يُسْقَى بِهِ وَيُهْتَدَى فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ نَهْجُهُ مَرْسُومُ
وَمِنَّا مَا بِهِ يُرْزَقُ وَيُغْنَى وَمِنَّا مَا بِهِ يَفِيقُ نَؤُومُ
هَاتِهِ صِفَةُ الأَبْدَالِ يَا فَتَى وَلِلْقُطْبِ سِرٌّ فِي النَّاسِ مَعْلُومُ
وَفِي الشَّمْسِ نُورٌ عَمَّ الْعَوَالِمَ مِنْهُ يُمَدُّ الْكُلُّ وَهُوَ مَنْمُومُ
تِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَالْحَقُّ وَاضِحٌ جَلِيٌّ مَفْهُومُ
خَلِيفَةُ اللَّهِ عُرْوَتُكَ الَّتِي لاَ انْفِصَامَ لَهَا شَأْنُهَا مَلْزُومُ
إِمَامُ وَقْتِكَ خَلِيفَةُ رَبِّي وَمَنْ يُنْكِرْهُ رَقِيعٌ مَحْرُومُ
مَنْ مَاتَ مَوْتَهُ وَلَمْ يَظْفَرْ بِهِ مَاتَ مَوْتاً عِنْدَ الرَّسُولِ مَذْمُومُ
فَشَمِّرْ يَا أَخِي عَنْ سَاقِ جِدِّكَ وَانْهَضْ لأَمْرِهِ إِنَّهُ مَحْتُومُ
وَمَنْ لَمْ يَسْعَ لِلْحَقِّ بِنَصْرِهِ فَهُوَ غَاوٍ عَلَى نَفْسِهِ مَشْؤُومُ
لَوْ يَدْرِي مَا دَرَى اللَّبِيبُ فِي الْهَوَى مَا عَاشَ بِالثَّرَى قَلْبُهُ مَظْلُومُ
فَوَا فَوْزَ عَبْدٍ عَاشَ بِسِرِّهِ عَلَيْهِ سِيمَةُ الرِّضْوَانِ تَحُومُ

وله أيضاً رضي الله عنه:

إِنَّنِي أَرَى السَّقَامَا حُلَّةً مِنْكُمْ لِزَامَا
وَمَنْ لَمْ يَكُنْ سَقِيماً بِالْحُبِّ فَمَا اسْتَقَامَا
غَيْرَ أَنَّنِي ضَعِيفٌ أَخْشَى فِي الصَّبْرِ انْهِزَامَا
فَانْظُرُونِي بِرِضَاكُمْ فَهُوَ يُبْرِئُ الأَسْقَامَا
يَا أُهَيْلَ الْحَيِّ مَهْلاً بِمَنْ جَاوَرَ الْخِيَامَا
رِفْقاً بِالصَّبِّ الْمُعَنَّى لاَ تَزِيدُهُ آلاَمَا
عَهْدُهُ بِكُمْ قَدِيمٌ كَانَ بِهِ مُسْتَهَامَا
كَانَ بِهِ فِي دَلاَلٍ لاَ يَخْشَى فِيهِ مَلاَمَا
وَالْيَوْمَ أَضْحَى كَسِيراً كَئِيبَ الْقَلْبِ مُسَامَا
فَعُودُوا بِاللَّهِ عُودُوا لِمَا كُنْتُمْ مُسْتَدَامَا
كَفَاكُمْ بِالصَّدِّ عَنِّي جَفَوْتُمُونِي أَيَّامَا
وَالْجَفَا عِنْدِي ثَوَانٍ أَرَاهُ فِيكُمْ أَعْوَامَا

إِنْ كُنتُ لَسْتُ بِأَهْلٍ   لَسْتُ صَوَّاماً قَوَّامَا

فَأَنْتُمْ أَهْلُ عَفْوٍ   مِنْكُمْ أَرْجُو الْكَرَمَا

لَوْلاَكُمْ مَا كُنْتُ شَيْئاً   وَبِكُمْ صِرْتُ إِمَامَا

أُعَدُّ مِنْ أَهْلِ اللّهِ   وَإِنْ جَنَيْتُ الأَثَامَا

جَنَاهَا آدَمُ قَبْلِي   وَلَمْ تَسْلُبْهُ الْمَقَامَا

وَصَارَ فِي الأَرْضِ فَرْداً   بِالْعِنَايَةِ مُحَامَا

كَفَاهُ الإِلَهُ فَخْراً   أَسْجَدَ لَهُ الْكِرَامَا

وَخَصَّصَهُ بِعِلْمٍ   أَدْرَكَ بِهِ الْمَرَامَا

هَذَا شَأْنُكُمْ قَدِيماً   وَحَدِيثاً لاَ انْفِصَامَا

بِمَنْ حَفَّهُ رِضَاكُمْ   وَنَالَ مِنْكُمْ مُدَامَا

أُولَئِكَ أَهْلُ التَّدَانِي   أُولَئِكَ حِزْبُ النُّدَامَا

رَضِيَ الإِلَهُ عَنْهُمْ   وَرَضُوا عَنْهُ خِتَامَا

صَلِّ يَا رَبِّي وَسَلِّمْ   صَلاَةً تُرْضِي الْهُمَامَا

مُحَمَّداً ذَا الْمَعَالِي   مَنْ عَلاَ الْعَرْشَ إِكْرَامَا

وَآلِهِ الطَّاهِرِينَا   خَيْرَ مَنْ حَازَ الزِّمَامَا

وَصَحْبِهِ الْفَائِزِينَ   أَحْسَنَ النَّاسِ إِسْلاَمَا

وله أيضاً رضي الله عنه:

أَذِّنْ فِي النَّاسِ يَا صَاحِ   وَارْفَعِ الصَّوْتَ عَالِيَا

قُلْ حَيَّ عَلَى الْفَلاَحِ   هَلُمَّ قَوْمِي إِلَيَّا

سَقَانِي قُطْبُ الْمِلاَحِ   الْعَلاَوِي تَاجُ الأَتْقِيَا

مِنْ سُلاَفَةِ الصَّلاَحِ   فَكُنْتُ بِهَا مَرْضِيَا

أَنَا مِشْكَاةُ الْمِصْبَاحِ   نُورُهُ مِنِّي بَدِيَّا

مَنْ رَآنِي فِي اصْطِبَاحِ   رَآنِي بَدْراً عَالِيَا

كَاسَتِي رَاحاً بِرَاحِ   تَطُوفُ عَلَى الأَزْكِيَا

حَتَّى مَطْلَعِ الصَّبَاحِ   وَصَوْتِي بِهَا دَوِيَا

وَلَمَّا غِبْنَا بِالرَّاحِ سَجَدْنَا لَهَا بُكِيًّا
وَكَانَ كُلُّ مُلْتَاحِ قَدْ طَوَاهُ الْحُبُّ طَيًّا
فَطَابُوا وَغَابَ اللاَّحِ غَنِمُوا وَقْتاً هَنِيًّا
فَازُوا بِتِلْكَ الأَفْرَاحِ سَادَتِي الْقَوْمُ الأَصْفِيَا
أُوْلَئِكَ حِزْبُ الْفَلاَحِ مِنْ وَرَثَةِ الأَنْبِيَا
مِيرَاثاً بِلاَ سِفَاحِ عَنْ طَهَ غَوْثِ الأَوْلِيَا
صَاحِبِ الشَّرْعِ الْوَضَّاحِ أَصْبَحْتُ بِهِ سَمِيًّا
فِي صَلاَتِهِ كِفَاحِي عَلَيْهِ مَا دُمْتُ حَيًّا
فِي غُدُوِّي وَرَوَاحِي فُؤَادِي بِهِ سَنِيَّا
هَذَا وِرْدِي وَارْتِيَاحِي فِي الصَّبَاحِ وَالْعَشِيًّا

وله أيضاً رضي الله عنه:

بُشْرَايَ عَنْ أَحْمَدْ الْعَلاَوِي قُطْبِ الْهُدَى
وَإِمَامِ السُّعَدَا أُسْتَاذِنَا سِيدِي احْمَدْ
رَأَيْتُهُ فِي الْمَنَامْ فِي أَحْسَنِ مَا يُرَامْ
قُلْتُ لَهُ يَا إِمَامْ هَلْ لَنَا مِنْكُمْ سَنَدْ
قَالَ بِهَذَا اللَّفْظِ فَفِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ
رَأَيْتُكَ بِلَحْظِي وَأَمْرُهُ لاَ يُرَدْ
لَيْسَ عَلَيْهِ سُلْطَانْ مِنْ طَوَائِفِ الشَّيْطَانْ
أَمْرُهُ أَمْرُ الرَّحْمَانْ لاَ مَدْخَلَ لِأَحَدْ
بِفَضْلِهِ خَصَّصَكْ فِي لَوْحِهِ كَتَبَكْ
فِي مَقَامِي أَقَامَكْ أَنْتَ الْوَارِثُ الأَمْجَدْ
بَشَّرَنِي يَا لَبِيبْ بِمَقَامِهِ الْعَجِيبْ
وَلَيْتَهُ وَلاَ رَيْبْ لاَ تَخْفَى لِمَنْ عَنَدْ
مَنْ رَآنِي رَآهُ مَنْ حَبَّانِي حَبَاهُ
مَنْ وَفَانِي وَفَاهُ دَنَا مِنْ عَيْنِ الْمَدَدْ

عَيْنٌ مِنْ سِرِّ الأَسْرَارْ   عَيْنٌ مِنْ نُورِ الأَنْوَارْ
بَصَائِرٌ وَأَبْصَارْ   كُلٌّ مِنْهَا مُسْتَمَدْ

عَيْنٌ لِلنَّاسِ تُرَامْ   تُبْرِيكَ مِنَ الأَسْقَامْ
تُنْجِيكَ مِنَ الأَوْهَامْ   تُشَاهِدُ وَجْهَ الصَّمَدْ

وَجْهٌ بَدَا فِي الوُجُودْ   فِي كُلِّ شَيْءٍ مَشْهُودْ
كَنَجْمِ سَعْدِ السُّعُودْ   فِي طَالِعِهِ الأَوْحَدْ

صَرَّحَ بِهِ القُرْآنْ   لِحِزْبِ أَهْلِ الإِيمَانْ
شَاهَدُوهُ بِالإِيقَانْ   وَاحِداً بِلاَ عَدَدْ

بِقَوْلِهِ أَيْنَمَا   تُوَلُّوا فَثَمَّ مَا
يُوحَى لِلْعَبْدِ مِمَّا   قَدْ قِيلَ فِيهِ الأَشَدّْ

وَحْيٌ إِذَا تَجَلَّى   عَلَى القَلْبِ تَدَلَّى
تَرَى الرَّفِيقَ الأَعْلَى   لاَ بَعِيدَ لاَ أَبْعَدْ

أَدْنَى مِنْ حَبْلِ الوَرِيدْ   فِيكَ مِنْكَ لاَ يَحِيدْ
فَافْنِ خَيَالَ العَبِيدْ   قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدْ

هُوَ الأَوَّلُ الآخِرْ   هُوَ البَاطِنُ الظَّاهِرْ
بِأَمْوَاجِ المَآثِرْ   فِي الحَالِ وَفِي الأَبَدْ

هُوَ الشَّمْسُ وَالأَقْمَارْ   هُوَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارْ
هُوَ الأَرْضُ وَالبِحَارْ   هُوَ الدَّهْرُ قَدْ وَرَدْ

فَالكَوْنُ مِنْ أَصْلِهِ   مَمْحُوٌّ بِذَاتِهِ
ظَاهِرٌ بِنُورِهِ   شِبْهَ ظِلٍّ مُمْتَدْ

أَثَرُهُ مِنْ سَنَاهْ   وَلَوْلاَهُ مَا تَرَاهْ
وَلاَ يَجْهَلْ مَعْنَاهْ   إِلاَّ مَنْ بِهِ جَحَدْ

فِي سِدْرَةِ المُنْتَهَى   قَدْ تَجَلَّى بِالبَهَا
نَالَ قَلْبِي مَا اشْتَهَى   وَلَمْ يَزِغِ الثَّمَدْ

رَأَى الآيَةَ الكُبْرَى   فَازَ بِهَا لاَ فَخْرَ
هِيَ المُنَى وَالبُشْرَى   بِهَا صِرْتُ مُعَرْبَدْ

عَـزَبَـدَنِـي مَـحْـبُـوبِـي لَـمَّـا صَـفَـا مَـشْـرُوبِـي
نِـلْـتُ مِـنْـهُ مَـطْـلُـوبِـي كُـنْـتُ بِـهِ مُـوَحِّـدْ

أَنَـا الـسَّـاقِـيُّ الْـمُـبِـيـنْ لِـخَـمْـرَةِ الْـعَـارِفِـيـنْ
أَنَـا صَـاحِـبُ الـتَّـلْـقِـيـنْ لاِسْـمِ الـلَّـهِ الْـمُـفْـرَدْ

أتـيـتـه يـا راوي عـن أسـتـاذي الـعـلاوي
مـنـبـع الـسـر الـقـاوي عـيـن الـحـيـاة أحـمـد

عَـلَـيْـهِ رِضْـوَانُ الـلَّـهْ مَـا سَـبَّـحَ خَـلْـقُ الـلَّـهْ
وَعَـلَـى مَـنْ تَـوَلاَّهْ مِـنْ حَـبِـيـبٍ وَأَوَدْ

صَـلِّ مِـنِّـي يَـا سَـلاَمْ عَـلَـى بُـغْـيَـةِ الْـكِـرَامْ
مُـحَـمَّـدْ خَـيْـرِ الأَنَـامْ نَـبِـيِّـنَـا الْـمُـمَـجَّـدْ

صَـلِّ يَـا رَبِّ عَـلَـيْـهْ وَعَـلَـى أَهْـلِ إِرْثِـهْ
وَاجْـعَـلْـنِـي عَـلَـى هَـدْيِـهْ مُـعَـزَّزاً مُـؤَيَّـدْ

أَنَـا وَمَـنْ وَفَـانِـي فِـي حَـضْـرَةِ الـتَّـدَانِـي
وَلاَ يَـغْـشَـى دِيـوَانِـي إِلاَّ سَـعِـيـدٌ أَسْـعَـدْ

وله أيضاً رضي الله عنه:

هَـيَّـا بِـنَـا أَهْـلَ الْـوَطَـنْ نُـحْـيِ الْـفَـرْضَ مَـعَ الـسُّـنَـنْ
وَنَـجْـتَـنِـبْ كُـلَّ الْـفِـتَـنْ الَّـتِـي قَـدْ حَـلَّـتْ بِـنَـا

هَـيَّـا بِـنَـا أَهْـلَ الْـبِـلاَدْ لِـنَـجْـتَـمِـعْ عَـلَـى الـرَّشَـادْ
وَكَـفَـانَـا هَـذَا الْـبِـعَـادْ الَّـذِي قَـدْ ضَـرَّ بِـنَـا

هَـيَّـا بِـنَـا نُـعْـطِـي الْـمِـيثَـاقْ لِـنَـتَّـحِـدْ عَـلَـى الْـوِفَـاقْ
وَكَـفَـانَـا هَـذَا الـشِّـقَـاقْ الَّـذِي قَـدْ فَـشَـا فِـيـنَـا

هَـيَّـا بِـنَـا نُـعْـطِـي الْـعُـهُـودْ وَكَـفَـانَـا هَـذَا الْـجُـمُـودْ
لَـقَـدْ طَـغَـى عَـنِ الْـحُـدُودْ وَعَـبَـثَ الـدَّهْـرُ بِـنَـا

قُـومُـوا بِـنَـا نُـعْـطِـي الْـيَـمِـيـنْ لِـنَـصْـرَةِ الـشَّـرْعِ الْـمُـبِـيـنْ
فَـلاَ عِـزَّ لِـلْـمُـسْـلِـمِـيـنْ إِذَا خَـانُـوا بِـعَـهْـدِنَـا

قُومُوا بِنَا نُحْيِ الدُّرُوسْ فَبِالْعِلْمِ تَحْيَا النُّفُوسْ
فَنَجْتَنِي ثَمَرَ الْغُرُوسْ وَنَحْتَفِظْ بِعِزِّنَا
قُومُوا بِنَا نُحْيِ الرُّسُومْ وَنَجْتَمِعْ عَلَى الْعُلُومْ
لِنَنْتَقِي طَيِّبَ الْفُهُومْ وَنَنْتَفِعْ بِبَعْضِنَا
قُومُوا بِنَا نُحْيِ الْقُرْآنْ نُحْيِ الدِّينَ مَعَ الإِيمَانْ
لَقَدْ فَشَا فِي ذَا الزَّمَانْ مَا قَدْ ضَرَّ بِشَرْعِنَا
قُومُوا بِنَا نَتْلُو الآيَاتْ وَنَجْتَمِعْ عَلَى الصَّلاَةْ
فَلاَ تُرْجَى لَنَا نَجَاةْ مَا لَمْ نَعْمَلْ بِدِينِنَا
لَقَدْ فَشَا فِينَا الْفُجُورْ وَتَنَوَّعَتِ الشُّرُورْ
فَكَأَنَّنَا لاَ شُعُورْ بِمَا حَاطَ بِقَوْمِنَا
نَرَى الْفَقْرَ عَمَّ الْجَمِيعْ فَلَيْسَ فِينَا مُسْتَطِيعْ
أَمَّا الْجَهْلُ أَمْرٌ فَظِيعْ هُوَ الَّذِي شَوَّهْ بِنَا
أَوْلاَدُنَا فِي الطُّرُقَاتْ حَالُ الْبَنِينَ كَالْبَنَاتْ
مُنْتَشِرِينَ زَرَافَاتْ لَقَدْ ضَاقَ الْوَقْتُ بِنَا
لاَ خِدْمَةَ لَنَا لاَ دِينْ بِجَمِيعِنَا بَائِسِينْ
يَا لِلَّهِ لِلْمُسْلِمِينْ يَا لِلَّهِ لِحَالِنَا
يَا رَبَّنَا تَحْمِي الشَّبَابْ فَلاَ يُعْدَمْ مِنْكَ الصَّوَابْ
فَتُرْشِدْهُ إِلَى الْكِتَابْ وَسُنَنِ الْمُهْتَدِينَا
أَيَا رَبِّ صَلِّ عَلَى مَنْ بِهِ سَادَتِ الأُوَلَى
مُحَمَّدٍ تَاجِ الْعُلَى خَيْرِ الْوَرَى نَبِيِّنَا
وَآلِهِ أَهْلِ الصَّفَا وَصَحْبِهِ ذَوِي الْوَفَا
وَمَنْ لِنَهْجِهِمْ قَفَا مِنْ عِبَادٍ مُؤْمِنِينَا

وله أيضاً رضي الله عنه:

قَدْ طَابَتْ حَيَاتِي مِنْ بَعْدِ مَمَاتِي بِشُهُودِ الذَّاتِ فِي هَذَا الآفَاقِ
تَجَلَّتْ شُمُوسِي مِنْ رُوحِي وَنَفْسِي فَنَيْتُ عَنْ حِسِّي بِرُؤْيَةِ السَّاقِي
خَمْرَتِي الْقَدِيمَةْ سُقِيتُهَا لَمَّا مَحَوْتُ الأَنَامَ فِي بَحْرِ الإِطْلاَقِ

فِي بَحْرِ الْمَعَانِي غِبْتُ عَنْ أَكْوَانِي لاَ نَرَى مِنْ أَيْنِي إلاَّ الْحَيَّ الْبَاقِي
قَدْ زَالَتْ حُجُوبِي وَصَفَا مَشْرُوبِي رَأَيْتُ مَحْبُوبِي مِنْ غَيْرِ اخْتِلاَقِ

وله أيضاً رضي الله عنه:

شِفَائِي فِي أَهْلِ وَدِّي أَصْبَحْتُ بِهِ مَرْضِيَا
أَدْرَكُونِي بَعْدَ صَدِّي بَعْدَمَا كُنْتُ قَصِيَا
لاَحَظُونِي مُنْذُ عَهْدِ كُنْتُ فِي الْمَهْدِ صَبِيَا
رَضُونِي وَذَاكَ سَعْدِي غُلاَماً لَهُمْ زَكِيَا
إِلَى أَنْ بَلَغْتُ أَشُدِّي مِنَ الْحَيَاةِ مَلِيَا
لاَ زَالَ عَطْفُهُمْ يُجْدِي لاَ زِلْتُ فِيهِ مَرْعِيَا
حُبُّهُمْ رُوحِي وَجَسَدِي لَمْ أَكُنْ بِهِ شَقِيَا
طَوَانِي مِنْ بَعْدِ رُشْدِي بَعْدَمَا كُنْتُ عَصِيَا
ذَلِكَ وَعْدِي وَعَهْدِي وَبِهِ صِرْتُ تَقِيَا
فَلاَ زِلْتُ لَهُ نَهْدِي مَا دُمْتُ فِي النَّاسِ حَيًا
عَالَجُوا قَلْبِي وَجَسَدِي وَأَقَامُونِي دَاعِيَا
فَقُمْتُ لِلَّهِ وَحْدِي سَاجِداً لَهُ بَكِيَا
إِلَيْهِ سَعْيِي وَقَصْدِي سَعْياً بِاللَّهِ مَقْضِيَا
صَلِّ يَا رَبِّ بِوِرْدِي صَلاَةً نُوراً ضَوِيَا
عَلَى الْهَادِي كُلَّ مُهْدِ مُحَمَّدٍ غَوْثِ الأَنْبِيَا
وَآلِهِ ذَوِي الْمَجْدِ أَئِمَّتِنَا الأَتْقِيَا
وَصَحْبِهِ خَيْرِ وَفْدِ قُدْوَةِ الْقَوْمِ الأَصْفِيَا

وله أيضاً رضي الله عنه:

عَلَى شَاطِىءِ الْيَمِّ وَالْمَوْجُ مُلْتَطِمٌ كِرَامٌ تَسَلَّتْ بِالأَنْغَامِ وَبِالذِّكْرِ
مِنْ بَيْنِ شَيٍّ وَشَايٍ دَارَتْ كُؤُوسُهُ وَعُودٍ وَأَلْحَانٍ أَرَقُّ مِنَ السِّحْرِ
سَلاَمٌ عَلَى تِلْكَ الْعِصَابَةِ إِخْوَتِي مَا فَاحَ عَبِيرُ الْعُودِ وَالنَّدُّ وَالنِّسْرِ[ينِ][1]

---

(١) النِّسرين: نوع من الرياحين [العين للفراهيدي].

سَلامٌ بِهِ تَبْقَى الْمَوَدَّةُ زَهْرَةً ... تَنُورُ عَلَى الآفَاقِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ

وله أيضاً رضي الله عنه:

يَا ذَاكِراً لَكَ الْبُشْرَى نِلْتَ الْمَعَالِي ... نِلْتَ الْمَقَامَاتِ الْكُبْرَى فَاشْكُرِ الْوَالِي
غَنِمْتَ الأُولَى وَالأُخْرَى عَلَى التَّوَالِي ... بِصُحْبَةِ ذَوِي الشُّورَى مِنَ الأَبْدَالِ
طِبْتَ نَفْساً بَيْنَ الْوَرَى بِاللَّهِ سَالِي ... وَثُقِ الْعَهْدَ وَالْعُرَى بِذِي الْجَلالِ
فِي رَوْضَةِ أُمِّ الْقُرَى جُلْتَ مَجَالِي ... حَتَّى حُزْتَ وَلاَ مِرَى كُلَّ الآمَالِ
أَفْنَيْتَ مَنْ عَلَى الثَّرَى مِنَ الْخَيَالِ ... وَرَأَيْتَ مَنْ قَدْ يُرَى إِلَى الآجَالِ
أَصْبَحْتَ بِهِ كَالشِّعْرَى ضَوِياً عَالِي ... مُعَرْبَداً فِيهِ سَكْرَى مُرْتَاحَ الْبَالِ
وَالْغَيْرُ بَاتَ فِي السُّرَى طَيَّ الإِهْمَالِ ... فَلاَ يَدْرِي وَلاَ يُدْرَى عِنْدَ الرِّجَالِ
يَا سَعِيداً دَعِ الْكَرَى مِنَ اللَّيَالِي ... وَانْهَضْ لِرَبِّكَ تَرَى بَحْرَ اللآلِي
وَاصْحَبْ شَيْخاً بِهِ تُغْرَى عَلَى الأَعْمَالِ ... يُغْنِيكَ بِنُورِ الذِّكْرَى عَنِ الأَقْوَالِ
فَسُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِالْفَرْضِ الْغَالِي ... مُحَمَّدٌ غَوْثِ الْوَرَى قُطْبِ الْجَمَالِ
صَلِّ يَا رَبِّ بِالأُخْرَى صَلِّ وَوَالِ ... عَلَى النَّبِي غَيْثِ الأَسْرَى تَاجِ الأَرْسَالِ
وَآلِهِ بَنِي الزَّهْرَا ذَوِي الأَفْضَالِ ... وَصَحْبِهِ عَلَى الأَثْرَى خَيْرِ الْمَوَالِي

وله أيضاً رضي الله عنه:

قَرَّبَتْنِي مِيَّه مِنْ بَعْدِ الدَّلاَلِ ... نَادَتْ مِنِّي فِيَّ وَصَحَّ وِصَالِي
نِدَاءً خَفِيَّا مِنْ غَيْرِ مَقَالِ ... سَقَتْنِي حُمَيَّه مِنْ مَحْضِ النَّوَالِ
خَمْرَةً صَفِيَّه مِنْ كُلِّ الأَشْكَالِ ... بِنَهْلَةٍ شَافِيَّه مِنْ دَاءِ الْعُضَالِ
لَمْ تُبْقِ بَقِيَّه وَالشَّرَابُ حَلاَلِي ... طَوَيْتُ الْفَنِيَّه شَطَحْتُ بِالْحَالِ
شَيْخِي فِي الْقَضِيَّه سَيِّدُ الْمَوَالِي ... حُجَّةُ الصُّوفِيَّه قُدْوَةُ الرِّجَالِ
الْعَلاَوِي بَقِيَّه لِحِزْبِ الدَّلاَلِ ... مِنْ قَبْلِ الْمَنِيَّه أَتَانِي مَنَالِي
غَنِمْتُ الْعَطِيَّه وَافِرَ الْمِكْيَالِ ... وَهْبَةً عَالِيَّه فَوْقَ كُلِّ عَالِ
أَتَتْنِي هَدِيَّه رُتْبَةَ الأَبْدَالِ ... صَلاَتِي بَقِيَّه دَوْماً بِالتَّوَالِ
عَنْ خَيْرِ الْبَرِيَّه صَفْوَةِ الأَرْسَالِ ... وَبَنِي الزَّكِيَّه دَوْحَةِ الْمَعَالِي
عُصْبَةً مَهْدِيَّه فِي كُلِّ الأَحْوَالِ ... مِنْ أَهْلِ التَّرْبِيَّه إِمَامٌ وَوَالِي

وله أيضاً رضي الله عنه:

كَمُلَ الْمُرَادُ فَلَبَّتِ الأَرْوَاحُ ذَهَبَ الْعَنَاءُ وَزَالَتِ الأَتْرَاحُ
وَجَاءَ السُّرُورُ مُهَلِّلاً وَمُبَشِّراً بِلِقَائِكُمْ فَعَمَّتِ الأَفْرَاحُ
أَنْتُمْ عِمَادِي وَبُغْيَتِي وَأَحِبَّتِي وَأَطِبَّائِي إِذَا مَا خَانَتْنِي جِرَاحُ
فَأَنَا الْكَسِيرُ وَلاَ جُنَاحَ يُعِينُنِي وَلِي مُقْلَةٌ مَدْمَعُهَا سَفَّاحُ
فَجُودُوا عَلَى الْعَبْدِ الْمُصَابِ بِفَضْلِكُمْ وَكَفَى بِوَعْدِكُمْ إِنْ رَضِيتُمْ نَجَاحُ
أَلِفَ الْفُؤَادُ تَلَذُّذاً بِجِوَارِكُمْ فَمَتَى الْوَفَا وَمَتَى اللِّقَاءُ يُبَاحُ
يَا صَاحِبِي إِلَى الْحَبِيبِ مُرَادُنَا وَإِلَى الْمَقَامِ فَزَمْزَمَ الْفَرَّاحُ
ذَلِكَ الْمَقَامُ وَمَنْ فِيهِ كَانَ أَمِينَا ذَلِكَ الْحِمَى فِيهِ الْمُنَى وَالرَّبَاحُ
عَرُوسُ الْوَرَى كَعْبَةُ الْهُدَى مَنْزِلُ الرِّضَا يَمِينُ الإِلَهِ بِبَابِهِ وَضَّاحُ
إِنَّ الصَّفَا صَفَاءُ الْقُلُوبِ جَلاَؤُهَا وَالْمَرْوَةُ رَيَّانُهَا وَالرَّاحُ
وَعَرَفَاتُ الْحَجُّ الْمُتِمُّ لِسَعْيِنَا وَعَلَى مِنَى تَسْتَطِيبُ الأَرْوَاحُ
طَابَ الْهَوَى طُوِيَ النَّوَى زَالَ السِّوَى فَهَذَا الْحَبِيبُ وَهَذِهِ الأَقْدَاحُ
فَلَكُمْ فُؤَادِي وَمُهْجَتِي وَجَوَارِحِي فَأَنَا الْمِشْكَاةُ وَأَنْتُمُ الْمِصْبَاحُ
عَلَيَّ السَّلاَمُ بِحَيِّكُمْ مَا رَضِيتُمُ وَإِذَا رَضِيتُمْ فَقَدْ رَوَى الْمُلْتَاحُ

وله أيضاً رضي الله عنه:

هَنِيئاً لَكُمْ يَا أَهْلَ اللَّهِ يَا سَادَتِي بِكُمْ طَابَ الزَّمَانِ
قَدْ كُنْتُمْ فِي حِفْظٍ مِنَ الْمَلاَهِي كَأَنَّكُمْ حَفَاظَةُ الرَّحْمَانِ
كَمْ نَصَحْتُمْ قَوْماً لِوَجْهِ اللَّهِ وَكَمْ هَدَيْتُمْ مِنْ أَهْلِ الإِيمَانِ
كَمْ رَفَعْتُمْ قَدْراً بِهِ يُبَاهِي صَاحِبُهُ ذُو الْقَدْرِ وَالشَّانِ
جَلِيسُكُمْ حَقّاً بِلاَ اشْتِبَاهِ يُؤَانِسُهُ اللَّهُ بِالْعَيَانِ
مَنْ عَرَفَ اللَّهَ عَلَى التَّنَاهِي حَازَ فَضْلاً بِاللَّهِ لاَ يُدَانِ
دَنَا فَتَدَلَّى مِنْ عَرْشِ اللَّهِ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَيْهِ بِالإِيقَانِ

وله أيضاً رضي الله عنه:

مَن لاَ يَهْوَى سِوَاكْ فِي كُلِّ مَا يَرَاهْ
قَدْ فَازَ بِرِضَاكْ بُشْرَاهُ يَا بُشْرَاهْ
يَا مَطْلَعَ الأَنْوَارْ يَا بُهْجَةَ الْعُشَّاقْ
فَالشَّمْسُ وَالأَقْمَارْ مِنْ نُورِكَ الْبَرَّاقْ
حَيَّرَنِي مَغْنَاكْ فُؤَادِي بِهِ تَاهْ
كَمْ لَهُ فِي هَوَاكْ آيَةٌ مِنْ هُدَاهْ
حَسْبِي يَا قَرِيبْ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي
شَمْسُكَ لاَ تَغِيبْ بِهَا طَابَ أُنْسِي
فَالْكَوْنُ مِنْ بَهَاكْ وَالْخَلْقُ فِي سَنَاهْ
فَمَا ثَمَّ سِوَاكْ تَاللهِ وَبِاللهْ

وله أيضاً رضي الله عنه:

قَدْ قَرَأْتُ الْكِتَابْ وَفَهِمْتُ الْخِطَابْ
وَهَا هُوَ الْجَوَابْ فَافْهَمْنِي يَا لَبِيبْ
ذَكِّرْ يَا مُذَكِّرْ بَشِّرْ لاَ تُنَفِّرْ
يَسِّرْ لاَ تُعَسِّرْ عَلَى كُلِّ مُنِيبْ
مَنْ لاَ يَدْرِي الْوُصُولْ طَرِيقَةَ الرَّسُولْ
فُؤَادُهُ مَغْلُولْ مَا لَهُ مِنْ طَبِيبْ
فَالْعَارِفُ حَقًّا مَنْ جَهِلَ الْخَلْقَ
وَعَرَفَ الْحَقّْ مَا مِثْلُهُ قَرِيبْ
هَذَا مَذْهَبُنَا فِيهِ مَرْغَبُنَا
وَاللهُ رَبُّنَا عَبْدُهُ لاَ يَخِيبْ
فَانْصَحْ لِخَلْقِ اللهْ وَاذْكُرِ اللهَ اللهْ
مَا ثَمَّ إِلاَّ اللهْ رَغْمَ أَنْفِ الرَّقِيبْ
قَدْ كَانَ فِي عَمَى وَالأَرْضُ كَالسَّمَا
وَالنَّاسُ فِيهِمَا مُخْطِئٌ وَمُصِيبْ

أَصَابَ مَنْ رَآهُ وَلَمْ يَجْهَلْ مَوْلاَهْ
أَيْنَمَا تَوَلاَّهْ نَالَ مِنْهُ نَصِيبْ
قَدْ فُزْتَ بِالْمَرَامْ مِنْ مَشْرَبِ الْكِرَامْ
فَأَنْتَ فِي الْمَقَامْ لاَ شَكٌّ وَلاَ رَيْبْ

وله أيضاً رضي الله عنه:

أَلِفُ اللهِ سَيْفِي وَالْهَاءُ مَطِيَّتِي وَاللاَّمُ بِلاَمَيْنِ زِمَامِي بِقَبْضَتِي
بُرَاقِي إِذَا شِئْتُ إِسْرَاءَ إِلَى الْمُنَى وَمِعْرَاجِي إِنْ رُمْتُ الصُّعُودَ لِسِدْرَةِ
لإِسْمُ اللهِ سِرِّي وَرُوحِي وَمُهْجَتِي وَسَمْعِي وَمَنْطِقِي وَنُورُ بَصِيرَتِي
عَلَيْهِ يَدُورُ الْمُلْكُ وَالْمَلأُ الأَعْلَى وَكُلُّ عَبِيدِ اللهِ مِنْهُ اسْتَمَدَّتِ
هُوَ اللَّوْحُ لَوْ لاَحَ إِلَى النَّاسِ نُورُهُ هُوَ الْقَلَمُ الَّذِي قَدْ جَفَّ لِحِكْمَةِ
تَسَمَّى بِأَسْمَاءِ الصِّفَاتِ وَمَا لَهُ شَرِيكٌ فِي فِعْلِهِ إِذَا مَا تَجَلَّتِ
تَعَمَّى فَأَصْبَحَ فَوَاتِحَ سُوَرٍ وَمِنْهُ سَرَى التَّنْزِيلُ فِي كُلِّ سُورَةِ
تُصَانُ بِهِ الأَنْفَاسُ مِنْ عَبَثِ الْهَوَى إِذَا حَلَّ فِي قَلْبٍ بِأُنْسِ الْهَوِيَّةِ
أَلاَ صَاحِ فَاذْكُرْهُ لِتَحْظَى بِسِرِّهِ يُغْنِيكَ عَنِ التَّقْلِيدِ فِي كُلِّ فِيئَةِ
كَفَاكَ أَنَّهُ النُّورُ وَالنُّورُ مُشْرِقٌ إِمَّا جَلِيٌّ يُرَى وَإِمَّا بِخَلْوَةِ
تَأَمَّلْ رَعَاكَ اللهُ أَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ حَقًّا بِلاَ مِرْيَةِ
وَلاَ يُدْرِكُ مَعْنَى الْحَقِيقَةِ مُهْمِلٌ إِلاَّ مَنْ لَهُ شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ الطَّرِيقَةِ
يُرِيكَ فَتُدْرِكُ مِنْ نَفْسِكَ نَهْضَةً تُمِيطُ عَنْكَ اللِّثَامَ فِي أَدْنَى مُدَّةِ
فَتَرْقَى لِكَعْبَةِ الشُّهُودِ مُوَالِيًا صَلاَتُكَ لِحَقِّ الْيَقِينِ فِي قِبْلَةِ
مَنْ لَمْ يَكُنْ بِإِمَامِ الْوَقْتِ مُتَّصِلاً مَاتَ مَوْتَةً تُعْزَى إِلَى شَرِّ جِبِلَّةِ
فَهَذَا بَعْضُ الَّذِي يُقَالُ لِمَنْ دَنَى يُرِيدُ هَدْيَ الرَّسُولِ مِنْ كُلِّ مِلَّةِ

وله أيضاً رضي الله عنه:

ضَرِيحٌ مِنْ رَوْضَةِ النَّعِيمِ مَنْقُولُ فِيهِ الأُنْسُ وَالرِّضَا صَرِيحٌ مَعْقُولُ
وَتَجِدُ كُلَّمَا دَخَلْتَ حُجْرَتَهُ سَكِينَةً قَدْ بَدَتْ نُورُهَا مَكْمُولُ
كَأَنَّ بِوَسْطِهَا الأَمْلاَكَ نَازِلَةً وَالرُّوحَ مِنْ بَيْنِهَا كَالشَّمْسِ مَبْذُولُ
يَا عَلاَوِي لَمْ تَزَلْ فِي الْفَضْلِ مُعْجِزَةً لِمَنْ جَاءَ بِصِدْقٍ قَلْبُهُ مَصْقُولُ

وله أيضاً رضي الله عنه:

مِنْ نَشْرِكُمْ فَاحَتِ الأَكْوَانُ بِالأَرَجِ ... وَمِنْ نُورِكُمْ بَدَا الآفَاقُ بِالسُّرُجِ
أَحِبَّةٌ مَا لَهُمْ فِي النَّاسِ مِنْ شَبَهٍ ... كَأَنَّهُمْ مِنْ جَلاَلِ الْفَضْلِ فِي غَنَجِ
حَنَّ الْمُشْتَاقُ إِلَى رُؤْيَتِكُمْ سَلَفاً ... وَالْيَوْمَ لاَ عَلَيْهِ إِنْ غَنَّى مِنْ حَرَجِ
أَهْلاً بِكُمْ مَرْحَباً بُشْرَانَا بِوَفْدِكُمْ ... مَا هَلَّ مُؤَذِّنٌ بِصُبْحٍ مُنْبَلِجِ
مَنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْهَوَى بِحُبِّكُمْ مُدْنَفاً ... فَهُوَ مُصَابٌ بِدَاءِ الْغَيِّ وَالْفَلَجِ
أَنْتُمْ عِيدِي أَبَداً كُلَّمَا أَبْصَرْتُكُمْ ... بَصَرْتُ بَدْراً مِنَ الْبُدُورِ لَمْ يَعُجِ
تِلْكَ الآثَارُ فَلاَ يُدْرِكُهَا جَامِدٌ ... إِلاَّ الَّذِي قَدْ جَادَ بِالرُّوحِ وَالْمُهَجِ
كَيْفَ الْوِصَالُ إِلَى دِيَارٍ قَدْ شَرُفَتْ ... وَظَلَّتْ بَيْنَ الْوَرَى فِي أَرْفَعِ الدَّرَجِ
هَيْهَاتَ مُضْطَرِبٌ بِالشَّوْقِ يَهْنَى لَهُ ... حَالٌ عَلَى حَرَجٍ مِنْ عَيْشِهِ السَّمِجِ
حَالَ الْبِعَادُ بِهِ وَلَمْ يَرَ مُسْعِفاً ... يُزِيلُ عِلَّتَهُ مِنْ وَصْمَةِ الْعَرَجِ
لِلَّهِ أَشْكُو حُزْنِي وَشَوْقِي وَلَوْعَتِي ... عَسَاهُ يَعْفُو وَيُدْرِكُنِي بِالْفَرَجِ

وله أيضاً رضي الله عنه:

أَرَاكَ بِحُسْنِ الصَّدِّ عَنِّي تُرْشِدُنِي ... إِلَى أَنَّنِي ظِلٌّ وَأَنْتَ تُتْلِفُنِي
فَالنُّورُ يُتْلِفُنِي وَيُبْقِينِي عَجَباً ... عَيْناً بَعْدَ أَثَرٍ لَدَى مَنْ يَعْرِفُنِي
وَكُنْت بِحُكْمِ الرِّفْقِ عَنِّي تُثَبِّتُنِي ... وَكُنْتُ بِفَرْطِ الْوَجْدِ أَهْوَى تُمَحِّقُنِي
هَذَا الَّذِي قَدْ جَرَى وَأَنَا أُدْرِكُهُ ... وَلاَ يَدْرِي حَالَتِي إِلاَّ مَنْ يُذْكِرُنِي
سُبْحَانَ مَنْ مَدَّنِي مِنْ فَضْلِهِ مَدَدَا ... وَبِهِ يَقْبِضُنِي وَبِهِ يَنْشُرُنِي
كَأَنَّنِي ظِلٌّ وَالشَّمْسُ فِي أُفُقِ ... ظَهَرْتُ بِنُورِهَا وَفِيهِ يُبْطِنُنِي
فَمَنْ رَآنِي ضُحًى يَحْكُمُ بِوُجُودِي ... وَمَنْ رَآنِي بَعْدَ طَوَانِي فِي كَفَنِي
أَنَا الْمَوْجُودُ وَلاَ وُجُودُ يَكْتُفُنِي ... إِلاَّ إِذَا قَادَتِ الأَنْوَارُ بِرَسَنِي
أَيَا سَائِراً يَبْغِي فِي السَّيْرِ مَعْرِفَةً ... فَخُذْ مِنِّي جُمْلَةً تُبْدِي لَكَ وَطَنِي
قَدْ كُنْتُ وَلاَ شَيْءَ وَالشَّيْءُ مَشِيئَتِي ... فَعُدْتُ لِمَا كُنْتُ إِيَّاكَ تُنْكِرُنِي

وله أيضاً رضي الله عنه:

قَدْ حَلاَ فِيكُمْ غَرَامِي ... يَا نُورَ الْوُجُودْ
فَأَنْتَ أَصْلُ مُدَامِي ... وَأَنْتَ الْعُنْقُودْ

نِلْتُ مِنْكَ بِاخْتِرَامِي كَأْسَكَ الْمَنْشُوذ
وَهْوَ لَدَى اصْطِلاَمِي حَوْضُكَ الْمَوْرُوذ

أَنْتَ فِي كُلِّ مَقَامِ ظِلُّنَا الْمَمْدُوذ
تَقِينَا فِي الإِنْتِقَامِ مِنْ شَرِّ الصُّدُوذ

مِنْ شَرِّ قَطْعِ الإِلْهَامِ وَالْوَحْيِ الْمَحْمُوذ
غَايَةُ كُلِّ إِمَامِ مِنْ أَهْلِ الشُّهُوذ

أَيْنَ مَنْ يَدْرِي كَلاَمِي مِنْ ذَوِي الْبُنُوذ
مِنْ ذَوِي عِلْمِ الأَقْلاَمِ وَاللِّوَا الْمَعْقُوذ

قَدْ كُنْتَ بِلاَ أَوْهَامِ طَلْحَتَنَا الْمَنْضُوذ
عُرْوَةَ كُلِّ هُمَامِ مِنْ أَهْلِ الْوُرُوذ

كُنْتَ مِنْ قَبْلِ الأَنَامِ وَالْكَوْنُ مَفْقُوذ
إِمَامَ كُلِّ إِمَامِ مِنْ غَيْرِ جُحُوذ

لَكَ حَجِّي وَإِحْرَامِي مِنْ بَيْنِ الْوُفُوذ
أَنْتَ لِي بَابُ السَّلاَمِ وَالْبَيْتُ الْمَعْهُوذ

ذَاكَ قَصْدِي وَمَرَامِي مِنْ عَيْنِ الْوُجُوذ
مُحَمَّدُ بَدْرُ التَّمَامِ حَبِيبُ الْمَعْبُوذ

لَهُ الْفَضْلُ بِالدَّوَامِ مِنْ غَيْرِ حُدُوذ
مَا حَنَّ طَيْرُ الْحَمَامِ لِلْوَكْرِ الْمَسْعُوذ

وله أيضاً رضي الله عنه:

أَلاَ بِرَسُولِ اللَّهِ يَحْظَى تَشَفُّعِي بِأَحْسَنِ قَبُولٍ وَإِنْ سِيءَ مَرْتَعِي
أَلاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي مُقَصِّرٌ وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ قَصْدِي وَمَطْمَعِي
أَلاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَثْقَلَ كَاهِلِي مَا قُمْتُ بِهِ حَتْماً وَالْقُطْبُ فِي مَجْمَعِي
أَلاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ غِثْنَا بِهِمَّةٍ تَقِينِي مَا هَمَّنِي وَإِنْ عَزَّ مَنْجَعِي
أَنَا الضَّعِيفُ مَا لِي سِوَاكَ يَنْتَصِرُ وَلَوْلاَكَ مَا كُنْتُ وَلاَ كَانَ مَشْرَعِي
دُعِيتُ لِحَمْلِ الْفَرْدِ وَهْوَ مُنْتَقِلٌ فَقُمْتُ لَهُ حَتْماً وَإِنْ شَقَّ مَقْطَعِي
دَعَانِي وَكَيْفَ لاَ أُجِيبُ دَعْوَتَهُ وَإِنْ أَنَا لَمْ أُجِبْ رَضِيتُ بِمَصْرَعِي

دَعَانِي دَاعِي اللّهِ وَاللّهُ شَاهِدٌ — وَقَدْ كُنْتُ لَمْ أَزَلْ فِي مَهْدِي وَمَضْجَعِي
أَلاَ يَا رَسُولَ اللّهِ لَسْتُ بِعَائِدٍ — إِلاَّ بِالَّذِي عُذْتَ عِنْدَ كُلِّ مَفْزَعِ
يَا رَحْمَةً أُنْزِلَتْ فِي صُورَةِ أَحْمَدَ — فَكَانَتْ رَسُولَ اللّهِ إِلَيْهِ مَرْجِعِي
أَلُوذُ بِهِ وَمَنْ يَلُوذُ بِجَاهِهِ — تَسَامَى بِهِ الْبَخْتُ إِلَى أَعْلَى مَرْفَعِ
أَعُوذُ بِكَ رَبِّ مِنْ كُلِّ نَائِبَةٍ — وَمِنْ عَصْرٍ قَدْ أَتَى بِأَشْنَعِ مَصْنَعِ
أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقْ — وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ مَا لَهُ مِنْ مَدْفَعِ
وَصَلِّ عَلَى الْهَادِي النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ — صَلاَةً لَهَا فَتْحٌ قَرِيبٌ بِمَطْلَعِي
صَلاَةً بِهَا تَحْلُو الْحَيَاةُ الْمَرِيرَةُ — وَيُجْلَى بِهَا قَلْبِي بِأَبْرَكِ مَوْقِعِي
وَتَرْفَعُ مِنْ قَدْرِ الصَّحَابَةِ رُتْبَةً — كَرَفْعِ سُيُوفِهِمْ عِنْدَ كُلِّ مَجْمَعِ
عَلَيْهِمْ رِضْوَانُ اللّهِ مَا قَالَ قَائِلٌ — أَلاَ بِذِكْرِ الرَّسُولِ شَنِّفْ مَسْمَعِي

وله أيضاً رضي الله عنه:

كَلاَمُ الشَّيْخِ لَمْ يُبْقِ لِي وَهْمَا — حَيْثُ بَدَا وَفَهِمْتُ مَعْنَاهُ
لَقَدْ كَادَ الْوَهْمُ يَكُونُ غَمَّا — حَيْثُ قَدْ ضَاقَ قَلْبِي بِسَبَلاَهُ
كَدْتُ بِسَدْلِهِ أَكُونُ أَعْمَى — لاَ يَرَانِي الْحَقُّ وَلاَ أَرَاهُ
وَلَمَّا فِقْتُ مِنْ نَوْمِي وَلَمَّا — زَالَ عَنِّي الْغِطَا بَدَا سَنَاهُ
إِنَّ الْحَبِيبَ لَمْ يُبْقِ لِي وَصْمَا — فَالْكُلُّ قَدْ تَجَلَّى بِبَهَاهُ
سَمِعَ سَمْعِي وَقَدْ كَانَ صَمَّا — بَصَرَ بَصَرِي وَزَالَ غِشَاهُ
طُوِيَ الْجَهْلُ وَأَصْبَحَ عِلْمَا — طُوِيَ عَجْزِي وَنِلْتُ مُنَاهُ
حَيِيتُ مِنْ بَعْدِ مَا كُنْتُ أَصَمَّا — وَصَارَ قَلْبِي بَاقٍ بِبَقَاهُ
فَكَيْفَ الْكَيْفُ أَرَاهُ وَالْكَمَّا — وَعِنْدِي كِلاَهُمَا بَهَاهُ
فَعَمَّ نُورُهُ الذَّوَاتِ وَالأَسْمَا — فَأَيْنَمَا تَرَى ثَمَّ لِقَاهُ
قَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ حَقًّا لاَ وَهْمَا — فَانْظُرْ لِوَجْهِهِ وَاسْمَعْ نِدَاهُ
وَإِنْ أَبَيْتَهُ هَيْهَاتَ يُرْمَى — بِسَهْمِهِ مِنْ بَيْنِ مَنْ رَمَاهُ

وله أيضاً رضي الله عنه:

لاَ تَحْسِبِ الْخَلْقَ جَهْلاً عَبَثاً — إِنَّمَا الْخَلْقُ حُرُوفٌ وَطُرُوسْ
لَوْ حَقَّقْتَ مَا أَبْصَرْتَ خَلَلاً — إِنَّمَا الإِخْلاَلُ فِي بَعْضِ النُّفُوسْ

نَظَرَتْ مِنْ جَهْلِهَا شَبَحَ الْوَرَى ... لاَهِيَةً عَمَّا فِيهِ مِنْ غُرُوسْ

وَهْوَ وَاللَّهِ سِفْرٌ قَدْ أُنْزِلَ ... لِمَنْ لاَحَتْ لَهُ فِي الْعِلْمِ شُمُوسْ

يَا أَيُّهَا اللاَّهِي عَنْهُ عَجَباً ... كَيْفَ يُغْنِي عَنِ الْقِيَامِ الْجُلُوسْ

فَتَدَبَّرْ مِمَّنْ أَنتَ وَإِلَى ... أَيْنَ تَمْشِي بَعْدَ مَوْتٍ وَرُمُوسْ

فَهَلْ أَنتَ حَظُّ كَفَنٍ وَتُرَابْ ... وَهَلْ أَنتَ حَظُّ فَوْزٍ بِالْفِرْدَوْسْ

وَهَلْ أَنتَ نُورُ أُفْقٍ قَدْ بَدَا ... بَيْنَ أَهْلِ الْحَقِّ حَقًّا كَالْعَرُوسْ

أَمْ أَتَاكَ الْعِلْمُ قِدْماً فِي الْحَشَا ... وَنَسِيتَ مَا أُتِيتَ مِنْ دُرُوسْ

فَلَوْلاَكَ مَا حُجِبْتَ عَمَّا فِي ... الْكَائِنَاتِ مِنْ مَعَانٍ وَمَحْسُوسْ

كُلُّ شَيْءٍ لَوْ سَابَرْتَ غَوْرَهُ ... أَلْفَيْتَهُ فِيهِ مَعَانِ الْكُؤُوسْ

مِنْ رَحِيقٍ مُلِئَتْ لاَمِعَةً ... كَأَنَّهَا الدُّرُّ وَالنَّاسُ نُعُوسْ

وله أيضاً رضي الله عنه:

اَلْعَلاَوِي يَتَكَلَّمْ ... لِمَنْ هُوَ يَنْدَهْ بِهْ

الْحَاضِرِينْ سَلِّمْ ... رُدُّوا السَّلاَمْ عَلِيهْ

اَلْعَلاَوِي يَا رَاوِي ... طَبِيبٌ مُدَاوِي

طُبُّهُ مَغْنَاوِي ... مَا لَهُ تَشْبِيهِ

اَلْعَلاَوِي ذُو الْمَقَامْ ... مِنْ حُمَاةِ الإِسْلاَمْ

كَمْ سَقَى مِنْ هُمَامْ ... خَمْرَةَ التَّنْزِيهِ

رَغْبَةً فِي الْوُصُولْ ... صَحِبَتْهُ الْفُحُولْ

نَالُوا مِنْهُ الْمَأْمُولْ ... فِيمَا يَدْعِيهِ

اَلْعَلاَوِي ذُو الْكَأْسَيْنْ ... إِمَامُ السَّالِكِينْ

طَارَ فِي الْمَشْرِقَيْنْ ... صِيتُهُ تَرْوِيهِ

اَلْعَلاَوِي ذُو الإِحْسَانْ ... وَمَقَامُ الإِيقَانْ

بِالشُّهُودِ وَالْعَيَانْ ... مَنْ حَبَّهُ يُغْنِيهِ

كَمْ كَفَى مِنْ فَقِيرْ ... مِنْ عَنَاءِ التَّدْبِيرْ

صَارَ مِثْلَ الأَمِيرْ ... يَكْفِي مَنْ يَأْتِيهِ

اَلْعَلاَوِي ذُو الْمَدَدْ — مِنْ دُعَاةِ السَّدَدْ
وَاجِدٌ فِي الْعَدَدْ — فِيمَا يَسْعَى فِيهِ

حَتَّى لَقِيَ الرَّحْمَانْ — فِي رِضَا وَرِضْوَانْ
أَوْرَثَهُ الْجِنَانْ — وَمَا يَشْتَهِيهِ

اَلْعَلاَوِي يَا لَبِيبْ — لَهُ سِرٌّ عَجِيبْ
لَيْتَ لَكَ نَصِيبْ — مِنْهُ لِتَذْرِيهِ

تَاتِي لَكَ الْعُلُومْ — مِنَ الْحَيِّ الْقَيُّومْ
تُغْنِي عَنِ الرُّسُومْ — بِالَّذِي يُوحِيهِ

اَلْعَلاَوِي ذُو الْحَضْرَه — فِي الدُّنْيَا وَالْأُخْرَه
يُغْنِيكَ فِي نَظْرَه — فِيمَا تَبْتَغِيهِ

رَوْضَةُ الْمُهْتَدِينْ — قُدْوَةُ الْعَارِفِينْ
حُجَّةُ الْوَاصِلِينْ — لاَ مَنْ يُضَاهِيهِ

كَمْ لَهُ فِي الْوَرَى — مَآثِرَ كُبْرَى
تَرَكَهَا تُرَى — فِي النَّاسِ تَغْنِيهِ

وَالْآنَ يَا لَبِيبْ — غَابَ ذَاكَ الطَّبِيبْ
وَلَيْسَ بِغَرِيبْ — يَاتِي مَنْ يَحْكِيهِ

مَنْبَعٌ لِلْأَسْرَارْ — مَظْهَرٌ لِلْأَنْوَارْ
رَؤُوفٌ بِالْأَبْرَارْ — لاَ مَنْ يُدَانِيهِ

عَلَّمَهُ الرَّحْمَانْ — بِأَسْرَارِ الْقُرْآنْ
تَاهَ عَنِ الْأَكْوَانْ — مَوْلاَهُ يَكْفِيهِ

يَا رَبِّ يَا رَبِّ — صَلِّ عَلَى النَّبِي
شَفِيعِ الْعَرَبِي — بِمَا يَرْتَضِيهِ

وَالْآلِ الطَّاهِرِينْ — الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنْ
وَخَيْرِ الرَّاشِدِينْ — مِنْ أَهْلِ التَّنْوِيهِ

ثُمَّ أَهْلِ التَّصْدِيقْ — أَسَانِدِ الطَّرِيقْ
مِنْ رِجَالِ التَّحْقِيقْ — وَكُلِّ مَنْ يَحْوِيهِ

رِضَاكَ سَائِلِينْ يَا رَبَّ الْعَالَمِينْ
سَادَتِي الذَّاكِرِينْ ذِكْرُهُمْ تُبْقِيهِ
فِي عِزٍّ وَاحْتِرَامْ فِيمَا بَيْنَ الأَنَامْ
مَا دَامَتِ الأَيَّامْ لاَ شَيْءٌ يُؤْذِيهِ
وَنَاظِمُ الأَبْيَاتْ كَثِيرُ الْعَثَرَاتْ
صُنْهُ مِنَ الآفَاتْ يَا رَبِّ تَقِيهِ
عُدَّهُ عَبْدَكْ يُرَاعِي عَهْدَكْ
ذُخْرُهُ وَعْدَكْ يَرْجُوكَ تَحْمِيهِ

وله أيضاً رضي الله عنه:

طِبْتُ نَفْساً بِالطَّرَبِ وَالْغِنَى وَحَلاَ شُكْرِي
بَيْنَ عُودٍ وَأَلْحَانٍ تُجْتَنَى لِذَوِي الذِّكْرِ
يَا لَهَا مِنْ سَلْوَةٍ فِي حَضْرَتِي وَالْكَأْسُ مَالِي
وَحَبِيبٍ مِنْ بَيْنِ أَحِبَّتِي كَالْبَدْرِ الْعَالِي
مَنْ رَآنِي رَآهُ فِي حُلَّتِي إِنَّهُ الْوَالِي
مَنْ لاَ يَدْرِي مَا فِيهِ أَهْلُ الْفَنَى فَهُوَ فِي نُكْرِ
فِي شُكُوكٍ وَظُنُونٍ وضَنَى مُدَّةَ الْعُمْرِ
يَا آيِسٌ فِي الْوَرَى مِنْ رَوْحِ اللَّهْ دَعْ عَنْكَ الأَيَاسْ
عَسَى يَوْماً تَحْظَى بِالَّذِي تَهْوَاهْ مِنْ قَوْمٍ أَكْيَاسْ
ذَا خُلُقٍ وَاتِّصَالٍ بِمَوْلاَهْ طَيِّبُ الأَنْفَاسْ
ذَا شُؤُونٍ وَفُنُونٍ فِي الْمَغْنَى طَبِيبٌ يَدْرِي
ذَا أَشْوَاقٍ وَبُرَاقٍ وَمُنَى يَعْلُو وَيَسْرِي
يُعَلِّمُ الْخَلْقَ مِنْ حُبِّ الْحَبِيبْ مَا بِهِ تَرْقَى
لِلْمَعَالِي وَلِلْمَقَامِ الْغَرِيبْ عَسَاهَا تَشْقَى
مِنْ رَحِيقِ الْوَصْلِ يَا نِعْمَ النَّصِيبْ لِقَوْمٍ سَبْقَى
عَرَفُوا الْحَقَّ بِظِلِّ الْمُنْحَنَى سَاعَةَ الظُّهْرِ
حَيْثُ لاَ ظِلَّ وَقَدْ زَالَ الْعَنَى وَزَالَ سِتْرِي

عَجِيبٌ وَاللَّهِ لِمَنْ قَدْ يَرَى صُورَ الأَكْوَانْ
وَلاَ يَدْرِي مَا يُبْدِيهَا فِي الْوَرَى مِنْ نُورِ الرَّحْمَانْ
وَلَوْلاَهُ مَا فَتِئْتُ فِي السُّرَى فِي طَيِّ الإِمْكَانْ
أَوْ فِي جَهْلٍ لَيْسَ فِيهِ مُقْتَنَى لِأَيِّ خَبَرِ
لِغُمُوضٍ وَعَمَاءٍ وَوَنَى شَدِيدِ الْعُسْرِ
فَوَا فَوْزَ مَنْ صَحَّ لَهُ الشُّعُورْ بِقُرْبِ الْقَرِيبْ
وَنَادَاهُ مِنْ أَعْلَى جَبَلِ الطُّورْ بِصَوْتٍ مُجِيبْ
إِقْرَإِ اللَّوْحَ وَتَأَمَّلِ السُّطُورْ بِقَلْبٍ مُنِيبْ
تَرَى أَنْتَ وَلاَ أَنْتَ وَالْحُسْنَى نُورُكَ نُورِي
حُرُوفُ الْمَعْنَى مِنْ حُرُوفِ الْمَبْنَى كُلُّهَا جِبْرِي
أَيْنَ أَنْتَ مِنْ جَمَالٍ قَدْ حَوَاكْ بِنُورِ الأَنْوَارْ
أَيْنَمَا كُنْتَ فَأَنْتَ بِمَوْلاَكْ فِي كُلِّ الأَطْوَارْ
وَلَوْلاَهُ مَا كُنْتَ وَمَنْ وَالاَكْ مِنْ بِرِّ الأَبْرَارْ
فَسُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى فِي الْهَنَى بِأَهْلِ الشُّكْرِ
سَادَةٌ مِنْ فَضْلِهِمْ نِلْتُ الْغِنَى عَنْ كُلِّ مُقْرِ
صَلِّ يَا رَبُّ عَلَى غَوْثِ الْوَرَى سَيِّدِ الأَبْرَارْ
وَالآلِ وَصَحْبِهِ ذَوِي الشُّورَى صَفْوَةِ الأَخْيَارْ
مَا طَلَعَ الْبَدْرُ وَزَالَ السُّرَى عَنْ ذَوِي الأَبْصَارْ
صَلاَةً تُرْضِي الْحَبِيبَ مَنْ عَنَى لِرُوحِ السِّرّْ
فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى مِنْ عَيْنِ الأَمْرِ

وله أيضاً رضي الله عنه:

مَحْبُوبِي مَنْ زَارُو لاَ شَكْ يَدْرِيهِ
مَنْ جَانِي بَاخْبَارُو بِرُوحِي نَفْدِيهِ
فِي قَلْبِي شَعْلَتْ نَارُو جَرْحِي مَنْ يُبْرِيهِ
وَاجْنُودُو وَانْصَارُو قَامَتْ لِتَحْمِيهِ

حَيَّرْنِي بَافْكَارُو مَنْ يَقْدَرْ يَحْصِيهِ
وَانْجُومُو وَاقْمَارُو كُلُّهَا تُبْدِيهِ
شَرَّفْنِي بَاسْرَارُو سَيَّرْنِي نَحْكِيهِ
وَاغْمَرْنِي بَانْوَارُو مَنْ حَبُّو يَضْوِيهِ
تَيَّهْنِي بَاطْوَارُو حَالِي مَنْ يَدْرِيهِ
رَكَّبْنِي فِي ابْحَارُو رَانِي هَايَمْ فِيهِ
قَدْ رَنَّتْ أَوْتَارُو نَادَى مُنَادِيهِ
وَغَرَّدْ مَزْمَارُو تَاهُوا بَيْنَ ايْدِيهِ
شَرْبُوا مِنْ عَقَّارُو نَالُوا مَا يَهْدِيهِ
مِنْ فَضْلُو وَاذْكَارُو فَازُوا بِهَدْيِهِ
هَذَّبْنِي بَانْظَارُو عَلَّمْنِي نَرْضِيهِ
كَلَّمْنِي بَاشْفَارُو نَعْرَفْ مَا يَبْغِيهِ
عَرَّفْنِي مِقْدَارُو وَصْلِي مَنْ يَشْرِيهِ
وَامْقَامُو وَاوْكَارُو مَنْ جَاهَا تَطْوِيهِ
كَفَانِي فِي اشْهَارُو مَوْلاَنَا يَعْلِيهِ
لاَقْوَامُو وَاخْبَارُو صَلَّى اللَّهْ عَلِيهِ

وله أيضاً رضي الله عنه:

مَالْ الْحَبِيبْ رَاهْ اجْفَانِي
تَاجْ الاَقْطَابْ سِيدِي احْمَدْ يَا الاخْوَانْ
مِنْ حُبُّو اسْكَنْ اكْنَانِي
ظَنِّيتْ فِيهْ مَوْلاَيَ غَالِي الشَّانْ
عَنْدُو عَزِيزْ مَا يَنْسَانِي

لِلَّهْ يَا إِمَامْ أَهْلَ اللَّهْ بَرْكَاكْ مَنَ الْجَفَا يَا سِيدِي
إِذَا ذَنَبْتْ يَا غَوْثْ اللَّهْ أَنَا ضَعِيفْ خُذْ بِيَدِي
أَجِينِي انْشُوفَكْ لِلَّهْ رَانِي غَرِيبْ بَاقِي وَحْدِي
حُبَّكْ فِي الصّغْرْ امْلَكْنِي

مَشْغُوفْ بِكْ قَلْبِي دَايَمْ نَشْوَانْ
بَيْنَ الْعُبَّادْ بِكُمْ غَانِي

نَارُ الْفِرَاقْ حَمَلْتْ مُرَّهْ   قَلْبِي اكْوَاتْ كَمْ مَنْ كِيَّهْ
تَحْكِي غَلِيهْ وَلِيّ جَمْرَه   مَنْ نَارْ حُبْكُمْ اقْوِيَّهْ
رَانِي غَلِيلْ بَغِي نَظْرَهْ   تَضْحَى جْوَارِحِي مَرْقِيَّه

نَبْغِيكْ فِي الْمَنَامْ اجِينِي
نَشْفِي غَلِيلْ قَلْبِي تَذْهَبْ الأَحْزَانْ
وَانْحَدْثَكْ وَاتْحَدْثْنِي

رَانِي بْغِيتْ نَعْطِي نَعْتَكْ   مَا ذَا نْقُولْ مَا ذَا نَكْتَبْ
كَالشَّمْسْ جِيتْ شَارَقْ نُورَكْ   النَّاسْ كُلْهَا تَسْتَغْرَبْ
مُلُوكْ فِي السَّمَا تَزَّدْكْ   مِنَّكْ خَايْفَة تَتْأَدَّبْ

أَمْرْ عْجِيبْ شِي رَبَّانِي
وَرَاهْ خَالْقِي عَلاَّمْ الْبَيَانْ
مِنْ عِلْمْ بَاطِنْ لَدُنِّي

رَبِّي اعْطَاكْ وَارْفَعْ ذِكْرَكْ   جَعْلَكْ لِلْقُلُوبْ مْدَاوِي
اجْمِيعْ مَنْ ارْضَاكْ اوْ نَصْرَكْ   مِصْبَاحْ مَنَ الْكَوَاكَبْ ضَاوِي
وَاللِّي بْلاَهْ رَبْ بَبْغَضَكْ   مَطْرُودْ مَنْ اتْبَاعْ الْغَاوِي

نَسْأَلْ رَبْنَا يَحْفَظْنِي
نَبْقَى مَنْ اتْبَاعَكْ ذُوِي الإِحْسَانْ
حَتَّى نْمُوتْ نَدْخُلْ كَفْنِي

اَللَّهْ وَالْخْلاَيَقْ تَشْهَدْ   مَا فِيهْ مَا يَقُولْ الْقَايَلْ
اَصْفَى مَنَ الذَّهَبْ سِيدِي احْمَدْ   ابْهَى مَنَ الْقْمَرْ الْكَامَلْ
يَدُّه كَالْحْجَرْ الأَسْعَدْ   اَلنَّاسْ عَنْدَهَا تَدَّاوَلْ

اَرْطَبْ مَنَ الْحْرِيرْ الْفَانِي
وِإِذَا نْظَرْتْ وَجْهُه كَالشَّمْسْ ابْيَانْ
لَحْيَة مْهَذْبَه تَعْجَبْنِي

عَالِي مَا قْدَرْتْ انْعَبَّرْ قَوْلِي ضْعِيفْ جَانِي وَاهِي
لاَ شَكْ النّبِي يَفْتَخَرْ يَوْمَ الْحْسَابْ بِهِ ايْبَاهِي
عَلاَوِي عْزِيزْ امْخَيَّرْ فَوْقَ الأَقْطَابْ نَجْمُه زَاهِي

قْدَرْ عْظِيمْ وَاشْ انْثَنِّي
إِذَا عْجَزْتْ نَمْدَحْ كَوْكَبْ فَتَّانْ
اَجْمِيعْ مَنْ عْقَلْ يَعْذَرْنِي

أَلْعِلْمْ وَالنّْصَايَحْ شُغْلُه لِلنَّاسْ كَافَّة بِالْجُمْلَة
مَا رَيْتْ فِي الْمْشَايَخْ مِثْلُه فِي الدِّينْ وَالْعْمَلْ وَالْخَصْلَة
هَذِه كْرَايْمُه مَلْنَا لُهُ كَالشَّمْسْ وَالْقْمَرْ وَالْقِبْلَة

وَالْيَوْمَ رَاحْ يَا سَايَلْنِي
وَاتْرُكْ مَنْ اتْبَاعَه شْيُوخْ وْشُبَّانْ
فُرْسَانْ فِي الْجْهَادْ تْعَانِي

يَا دَارْ وِينْ رَاهْ سُلْطَانَكْ مَنْ عَادْتُه مْتَوَّجْ قَايَمْ
شَوَّرْ لاَ ابْغَى يَرْجَعْ لَكْ رَوَّحْ لِلْهْنَا فِي نْعَايَمْ
رِيَّاضْ فِي الْجْنَايَنْ تَمْلُكْ قْصُورْ عَالْيَة يَا فَاهَمْ

اقْضَى حَاجْتُه مَتْهَنِّي
سُبْحَانْ خَالْقِي مَوْلاَيَ سُبْحَانْ
مَا لُه شْرِيكْ مَا لُه ثَانِي

فَرْغَتْ الْمْنَازَلْ مِنَّكْ وَلاَتْ دَارْنَا مَزْهُوبَة
اَمْ الأَخْوَانْ تَبْكِي عَنْدَكْ كَثْرُو هْمُومْهَا مَكْرُوبَة
فِي كُلْ يَوْمْ تَنْظُرْ قَبْرَكْ بِالْقَلْبْ حَازْنَة مَغْلُوبَة

إِذَا ابْصَرْتْهَا تَحْزَنِّي
اَلْعَقْلْ صَارْ مَايَجْ وَاللُّونْ اَشْيَانْ
مَا ذَا يْزِيدْ يَذْكُرْ لَسْنِي

لَوْ صُبْتْ نَمْدَحْكْ وَانْعَاوَدْ فِي كُلْ يَوْمْ زَايَدْ رَغْبَة
بِانْشَادْ رَاشْقَة وَاقْصَايَدْ تَقْدِيرْ لِلْفْضَلْ وَالنّْسْبَة

هَكْذَا بِغِيتْ رَبْ شَاهَدْ وَارْغَبْتْ فَوْقْ هَذَا الرُّتْبَة
سَعْدِي اغْنَمْتْ بِكْ ازْمَانِي
مَنْ حِينْ مَا عْرَفْتَكْ ذْهَبْتْ الأَغْبَانْ
فِي الْمَوْتْ وَالْحْيَاةْ امْهَنِّي
أَنَا الْخْيَالْ وَانْتَ شَمْسِي مَوْجُودْ بِكْ مَانِي جَاحَدْ
إِذَا تْغِيبْ غَابَتْ نَفْسِي بَعْدْ الْحْيَاةْ نَبْقَى جَامَدْ
عَارِي عْلِيكْ يَحْطَمْ غَرْسِي وَانْتَ ارْوَاهْ بِكْ تْصَاعَدْ
لِلَّهْ رُوفْ لِي وَارْضَانِي
رَانِي عْلِيكْ رَاشَقْ سَاس الْبُنْيَانْ
طُولْ الزْمَانْ بِكْ مَوْنِّي
رَبْ الْعْبَادْ عُدُه عَبْدَكْ مَنْسُوبْ لِكْ وَانْتَ الْعَالَمْ
رَبِّي اوْقَفْتْنِي بِبَابَكْ وَأَنَا ضْعِيفْ مَانِي نَاجَمْ
فَاجْعَلْ قُوتِي مِنْ فَضْلَكْ أَنَا انْقُومْ وَانْتَ الْقَايَمْ
وَارْفَعْ رَايْتِي وَاحْفَظْنِي
مِنْ كَيْدْ كُلْ وَاحَدْ طَبْعُه شَيْطَانْ
فَنُّه بْعِيدْ مَاشِي فَنِّي
صَلِّ يَا كْرِيمْ وَجَدَّدْ عَلَى النَّبِي شْفِيعِ الأُمَّة
خَيْرِ الأَنَامْ طَهَ الأَمْجَدْ شَامِخْ الْقَدْرْ وَالْهَمَّة
يَا سَعْدْ مَنْ غْشَقْ مُحَمَّدْ يَغْنَمْ مَنَ الأَسْرَارْ غْنِيمَة
فَايَزْ مَنْ اسْمَعْ وَاتْبَعْنِي
وَابْدَا عْلَى النَّبِي بَصْلاَةْ الرَّحْمَانْ
فِي كُلْ يَوْمْ زَايَدْ يَبْنِي

وله أيضاً رضي الله عنه:

سِيدِي احْمَدْ يَا مَا احْلاَهْ
غَوْثْ اللَّهْ يَا الأَحْبَابْ طُبْ قَلْبِي سِيدِي الْعَلاَوِي
يَا مَا اسْعَدْنَا بَلْقَاهْ

سِيدِي مَنَ اهْلَ النُّوبَاتْ   جَاذْ بِهِ الْقَيُّومْ الدَّايَمْ
اغْتَنَمْتْ امْعَاهْ اوْقَاتْ   حَقْهَا تَتْسَطَّرْ فِي الزَّمَايَمْ
خُصُوصاً سَيَّاحَاتْ   طَافْحَه بِالْفَتْحْ الْمُتْلاَطَمْ
حَبُّه رَبّْ وَاعْطَاهْ

نُورْ شَارَقْ مِصْبَاحْ كَالْقْمَرْ فِي اسْمَاهْ الضَّاوِي
عَالِي فَايَقْ بَبْهَاهْ

سِيدِي مَنَ اهْلَ التَّذْكِيرْ   كَانْ قَايَمْ مَا مِثْلُه وَالِي
إِمَامْ اعْظِيمْ اكْبِيرْ   فِي الْمَعَالِي قَدْرُه مَتْوَالِي
رَئِيسْ مَنَ اهْلَ التَّذْبِيرْ   فَازْ فَضْلُه بَيْنَ الْمَوَالِسي
قَاوِي لاَ مَنْ يَقْسْوَاهْ

كَانْ اطْبِيبْ الْقْلُوبْ فِي الخْلاَيَقْ سِرُّه مَغْنَاوِي
شَافِي طُبّْ وَادْوَاهْ

سِيدِي مَن اهْلِ الْخَلْوَة   الحْكِيم عَارِف بِاللّهِ فَايَزْ
وَاصَلْ مَوْلَى سَطْوَه   عِنْدْ مَوْلاَهْ بْجَاهْ جَايَزْ
وَالِي مَنَ اهْلِ الْخَطْوَة   اقْرِيبْ حَاضَرَ مَا هُو شِي عَاجَزْ
عَلَيْهْ رِضْوَانْ اللّهْ

عَرْفْنِي بِالْمَعْنَى اصْحِيتْ شَاعِرْ مَنْ اتْبَاعُه سَارِي
سَايَرْ عَلَى مَبْدَاهْ

مَجْدَكْ بَايَنْ مَعْلُومْ   بَالْكْرَايَمْ وَالسّْرْ الظَّاهَرْ
مِثْلَ الْبَدْرِ الْمَتْمُومْ   فِي ابْرُوجْه سَارِي مَتْوَاتَرْ
سُبْحَانَ الْحَيّْ الْقَيُّومْ   مَنْ اعْطَاهْ السّْرّْ الْبَاهَرْ
عَزُّه رَبّْ مَوْلاَهْ

خَدْمُوهْ أَهْلَ النّيّة الرّاغْبِينْ فِي الْمْقَامْ الأُخْرَاوِي
لِلّهِ وَفِي اللّهْ

أَنَا عَبْدَكْ مَمْلُوكْ   مَنْ اعْبِيدَكْ مَعْتُوقْ امْحَرَّرْ
صَافِي مَا فِيهْ اشْكُوكْ   فِي امْدِيحَكْ يَتْسَخْ وَيْعَبَّرْ

سَاقِي مَنَ اهْلِ السُّلُوكْ فِي امْقَامَكْ يَذْكُرْ وَيَعْمُرْ
مُعْتَمَدْ عَلَى اللَّهْ
مَنْ يَنْكُرْ مَا قُلْنَاهْ ذَاكْ شَاقِي مَطْرُودْ اهْوَاوِي
ضَيَّعْ رَبّْ وَانْسَاهْ
شَايَقْ نَوْصَلْ مَبْنَاهْ انْشَرْفْ الْحَجْرَه وَالأَسْتَارْ
وَانْشَرْفْ مَنْ خَذَاهْ سَعْدُهُمْ بِحُسْنْ الْجِوَارْ
سَادَاتِي أَهْلَ اللَّهْ كُلُّهُمْ أَتْقِيَّا أَخْيَارْ
مِئَةٌ مِنَ اللَّهْ
فَازُوا حَقًّا تَحْقِيقْ بِالْغَنَايِمْ وَالْكَاسْ الرَّاوِي
بِمُقْتَضَى رِضَاهْ
يَا رَبّْ وَفْقْنِي انْفُوزْ بِالرِّضَا مِثْلَ اللِّي فَازُوا
وَاهْدِنِي وَاحْفَظْنِي انْجُوزْ بِالْهِمَّة مِثْلَ اللِّي جَازُوا
وَاخْمَنِي وَابْعَثْنِي انْحُوزْ مِنْ فَضْلَكْ مِثْلَ اللِّي حَازُوا
عُدَّه عَبْدَكْ مَنْ اهْوَاهْ
يَهْوَى دُعَا مَقْبُولْ لِلْمُعَوَّقْ يَهْدِي وَيْدَاوِي
كُلّْ وَاحَدْ مِنْ بَلْوَاهْ
نَخْتَمْ نَظْمِي بِالصَّلاَةْ كَالْقَرُنْفَلْ وَالطِّيبْ الْفَايَقْ
عَلَى مَظْهَرِ الذَّاتْ سِيدْنَا مُحَمَّدْ الصَّادَقْ
صَاحِبِ الْمُعْجِزَاتْ صَاحِبِ الشَّفَاعَة يَا وَاثَقْ
عَلَيْهْ صَلاَةُ اللَّهْ
وَعْلَى أَهْلُه الأَبْرَارْ وَالصَّحَابَة الْجُنْدْ الْمُشْخَاوِي
اوْلَيْكْ حِزْبُ اللَّهْ

وله أيضاً رضي الله عنه:

أَعْلاَشْ شَوَّزْ سِيدِي وَارْتَاحْ نُوزْ الأَلْمَاحْ اعْلاَشْ خَلَى بَصْرِي طَمَّاحْ
مَا اصْفَا لِي
أَعْلاَشْ يَجْفَانِي رُوحْ الرَّاحْ زَهْوْ الأَفْرَاحْ طُبّْ قَلْبِي عُزّْ الصُّلاَّحْ
وَالأَبْدَالِي

ضَاقْ صَدْرِي مِنْ غَيْرْ امْزَاحْ صِرْتْ نَوَّاحْ رُوفْ لِي يَا سِيدِي وَارْوَاحْ
شُوفْ حَالِي
هَاجْ بَحْرِي كَثْرَتْ الاَرْيَاحْ مَوْجْ نَطَّاحْ مَرْكَبِي مَتْخَلْخَلْ الاَلْوَاحْ
مِنْ اهْوَالِي
عَارِي عْلِيكْ نَبْقَى مُلْتَاحْ سَهْمْ الاَقْرَاحْ كَالْهَدَفْ مَتْرَشَّقْ بِارْمَاحْ
وَالنْبَالِ
يَا الْعَلاَوِي مَسْكَكْ فَاحْ طُبْ الاَجْرَاحْ غِثْنِي: يَا سِيدِي نَرْتَاحْ
مِنْ اغْلاَلِي

موال

رَانِي مَهْمُومْ يَا الْعَلاَوِي سِيدِ الْقَوْمْ قَلْبِي مَكْلُومْ حَارْ عَقْلِي فِي اغْلاَجِي
جَسْدِي مَحْمُومْ وَالْعَقَلْ مَايَحْ مَقْسُومْ وَاغْبِيتْ انْعُومْ مَا انْفَعْ عُومِي فِي امْوَاجِي
غِثْ الْمَظْلُومْ مَا ابْقَى لِي جَهْدْ الْيَوْمْ رَانِي مَغْمُومْ فِي إغْقَالِي كَالْوَاجِي
بْجَاهْ الْمَعْصُومْ لاَ تَخْلِنِيشِ مَضْيُومْ حَالِي مَحْطُومْ اتْخَبَّلْ غَزْلِي وَانْسَاجِي
جَاهَكْ مَعْلُومْ نَصْرَكْ الْحَيّ الْقَيُّومْ نُورَكْ مَتْمُومْ بِهْ تَذْهَبْ اديَاجِي

مطلع

يَا طْبِيبْ الرُّوحْ وَالاَشْبَاحْ يَا النْصَّاحْ انْتَ اذْلِيلِي وَانْتَ الْمِفْتَاحْ
حُلْ اقْفَالِي
كَمْ زَايَرْ بَاكِي الاَلْمَاحْ جَاكْ نَوَّاحْ نَالْ قَصْدُه ذَهْبَتْ الاَتْرَاحْ
سَارْ سَالِي
فَازْ بُسْتَانُه بِالأَلْقَاحْ فَلْ فَوَّاحْ وَالنْوَارْ مْوَالِي طَفَّاحْ
بِالْغْوَالِي
بَانْ فَضْلَكْ مِثْلَ الْمِصْبَاحْ نُورْ وَضَّاحْ شَمْسْ شَرْقَتْ عْلَى الاَبْطَاحْ
وَالاطْلاَلِ
كْرَايْمَكْ مَعْلُومَة صِحَاحْ عَنْدْ الاَقْحَاحْ كَالْقَمَرْ مْضَوِّي الاَسْطَاحْ
نُورْ جَالِي

يَا الْعَلاَوِي مَسْكَكْ فَاحْ طُبّْ الأَجْرَاحْ غِثْنِي يَا سِيدِي نَرْتَاحْ
مَنْ اغْلاَلِي

موال

يَا نُورَ الدَّاجْ مَنْ افْرَاقَكْ عَقْلِي مَاجْ دَمْعِي تْجَاجْ طَابْ جَفْنِي مَنْ انْوَاحُه
مَا لَكْ تَغْنَاجْ يَا الْعَلاَوِي زَيْنْ التَّاجْ قَلْبِي مُحْتَاجْ وَانْتَ اطْبِيبُه وَارْبَاحُه
جُودَكْ مِعْرَاجْ بِهْ تَتْبَاهَى الأَنْتَاجْ كَوْكَبْ وَهَّاجْ فَالسَّمَا زَاهِي مِصْبَاحُه
لَسْنِي نَسَّاجْ بِالْقَصَايَدْ كَالدِّيبَاجْ مَدْحَكْ عْلاَجْ لاَ جْوَارْحِي إِذَا جَاحُوا
لَوْ صَبْتْ امْشَاجْ تَامُّه مْنَ الْعَفْصَةْ وَالزَّاجْ تَدْفَقْ بَامْوَاجْ نَفْنِيهَا فِي امْدَاحُه

مطلع

لَوْ اجْبَرْتْ يَا غَوْثْ الْمِلاَحْ نُورْ الأَصْبَاحْ نَمْدَحَكْ بَامْتُونْ وَشْرَاحْ
عَلَى التَّوَالِي
مَنْ اتْمَكَّنْ مَنْ حُبَّكْ بَاحْ صَارْ مِصْبَاحْ فَالْخَلاَيَقْ دَايَرْ وِشَاحْ
بِهْ عَالِي
مَنْ اغْرَامَكْ رَانِي مَدَّاحْ قُلْتْ الأَفْصَاحْ كَالشُّهْدْ مْطَوَّقْ بَاجْبَاحْ
حَرْجْ غَالِي
مَا اقْدَرْتْ انْعَالَجْ الأَكْدَاحْ حَمْلْ فْضَّاحْ وَالزْمَانْ اتْكَدَّرْ وَاقْبَاحْ
عْلَى امْثَالِي
وِينْتَ يَسْمَحْ لِي بَاسْلاَحْ فَوْقْ شِلْوَاحْ كَالنَّسْرْ يَرْفَرَفْ بَاجْنَاحْ
فِي الْمْشَالِي
يَا الْعَلاَوِي مَسْكَكْ فَاحْ طُبّْ الأَجْرَاحْ غِثْنِي يَا سِيدِي نَرْتَاحْ
مِنْ اغْلاَلِي

موال

يَا غَوْثْ اللَّهْ نُورْ وَجْهَكْ مَا نَنْسَاهْ قَلْبِي يَهْوَاهْ بِهْ غَانِي مَتْأَنَّسْ
كَالشَّمْسْ ابْهَاهْ فِي السَّمَا شَارَقْ بَاضْيَاهْ عْظِيمْ الْجَاهْ فِي الْخَلاَيَقْ مَتْقَدَّسْ
نَصْرُه مَوْلاَهْ كَمْ مَنْ جَانِي نَجَّاهْ قَبْلُه وَارْضَاهْ بَعْدْ مَا كَانْ امْدَنَّسْ

مَا احْلَى مَلْقَاهْ كَالشُّهْدْ فَايَقْ مَعْنَاهْ طُبُّه وَادْوَاهْ عْلَى الْحَقِيقَة مَتْأَسَّسْ
اللَّهْ اعْطَاهْ تُوجْهْ مَوْلاَيَ عْلاَهْ حَبُّه وَاهْدَاهْ مَا رَيْتْ مِثْلُه مَتْرَيَّسْ

مطلع

مَنْ جَعْلَكْ فَالُه مِفْتَاحْ حَازْ الأَرْبَاحْ مَاتْ خَالِي مَنْ نَكْرَكْ شَاقِي مَكْسَاحْ
عْشَتْ سَاقِي تَمْلاَ الأَقْدَاحْ خَمْرْ مُبَاحْ وَالْمْوَالِي مَنْ النَّبِي مَأْذُونْ بْتَصْرَاحْ
صَاحِبْ الْخَاتَمْ وَالتَّذْوَاحْ اشْفِيعْ مَنْ طَاحْ عَاشْ تَالِي بِالذُّنُوبْ تْلَطَّخْ وَاسْفَاحْ
انصَلِّي عْلِيهْ بْشَوْقْ وَالْحَاحْ غَيْرْ مَجْمَاحْ فِي اللّيَالِي اعْلَى اعْدَادْ الْمَطَرْ السَّحَّاحْ
عْلَى أَهْلُه وَاصْحَابُه السُّوَّاحْ اكْنُوزْ الأَفْلاَحْ عْلَى الْمَعَالِي مَنْ اعْطَاوْ الْمَالْ وَالأَرْوَاحْ
يَا الْعَلاَوِي مَسْكَكْ فَاحْ طُبّْ الأَجْرَاحْ مِنْ اعْلاَلِي غِثْنِي يَا سِيدِي نَرْتَاحْ

وله أيضاً رضي الله عنه:

كَمْ لِي فِي الَّذِي يَهْوَانِي مِنْ آيَاتٍ بَيِّنَاتْ
نُورُهَا عَلَى الأَكْوَانِ كَشُمُوسٍ مُشْرِقَاتْ
يُدْرِكُهَا مَنْ يَرَانِي مِنْ وَرَاءِ الْكَائِنَاتْ
يَعْرِفُ رُوحَ الْمَعَانِي دُونَ نُورِ الْبَيِّنَاتْ
فَانْهَضْ لِحَوْضِ التَّدَانِي خَوْضِ الْقُرْبِ بِالصِّفَاتْ
حَتَّى تَغْنَى بِالأَيْقَانِ وَبِالذَّاتِ فِي الذَّوَاتِ
تَجَلَّى نُورُ الْفُرْقَانِ فِي الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتْ
فَعَلِّمَ بِالْبَيَانِ قُلُوباً بِالْحَقِيقَاتْ

فَكَانُوا أَهْلَ عِرْفَانِ بِأَنْوَاعِ الْحَاجِيَّاتْ
هَذَا قَوْلِي لِلْوَلْهَانِ وَكَذَا لِلْوَالِهَاتْ
صِرْتُ مِنْ حُسْنِ الْبَيَانِ مِعْرَاجاً لِلْعَلِيَّاتْ
يَرْقَاهُ ذَوُو الأَيْقَانِ مَنْ فَازُوا بِالرَّبِطَاتْ

وله أيضاً رضي الله عنه:

يَا فَرَحِي بِقُدُومِ الْمِلاَحِ سَادَةٌ مِنْ فَضْلِهِمْ طَابَ رَاحِي
سَادَةٌ مِنْ نُورِهِمْ قَدْ أَضْوَأَتْ أَنْجُمُ السَّمَاءِ عَلَى الْبِطَاحِ
عَامِلُ الْحُبِّ دَعَانِي نَغْتَنِمْ مَعَهُمْ سُوَيْعَةً فِي اصْطِبَاحِ
يَا أُهَيْلَ الْوُدِّ أَهْلاً فَاقْبَلُوا بِسُرُورٍ وَبِكُلِّ انْشِرَاحِ
هَذِهِ الْكَأْسُ تَدُورُ جَهْرَةً عَلَى أَهْلِ الْوَصْلِ رَاحاً بِرَاحِ
كَمْ تَطُوفُ بِالْمَوَالِي عَذْرَةً وَجْهُهَا كَالشَّمْسِ عِنْدَ الصَّبَاحِ
تَرَانِي كُلَّمَا لاَحَتْ فِي الْجَوَى كُنْتُ قِبْلَةً لِذَوِي الصَّلاَحِ
لَيْتَ شِعْرِي لَوْ رَآهَا مُسْعِدٌ لَمَا هَوَى سِوَاهَا فِي الْمِلاَحِ
خَمْرُنَا خَمْرٌ حَلاَلٌ يَا فَتَى وَلَكِنَّهُ لَيْسَ بِالْمُبَاحِ
لاَ يَذُوقُهُ إِلاَّ مَنْ قَدْ فَنَى عَنِ الْكَوْنِ وَعَنْ كُلِّ الأَشْبَاحِ
حَتَّى لاَ يَرَى حَيْثُمَا بَصَرَ إِلاَّ وِجْهَةَ الرَّحْمَنِ يَا صَاحِ
كُلُّ شَيْءٍ فِي الْوَرَى مِنْ حُسْنِهَا طَلْعَةُ الْبَدْرِ كَرَوْحِ الرِّيَاحِ
هِيَ عَيْنُ الْكُلِّ وَالْكُلُّ لَهَا إِمَّا مَتْنٌ أَوْ شَرْحٌ لِلشُّرَّاحِ
اَلْحَمْدُ لِلَّهِ قَدْ نِلْتُ الْمُنَى وَقَدْ نِلْتُ الْغِنَى بَعْدَ الْكِفَاحِ
يَا سَائِراً فِي الْهَوَى مُبْتَغِياً وَصْلَ حِبِّ عَلَيْكَ بِالسِّلاَحِ
سِلاَحُ الْقَوْمِ عَفَافٌ وَرِضَا وَوَفَاءٌ بِعُهُودِ الْفَلاَحِ
وَصَلاَةُ اللَّهِ تَنْمُو أَبَداً عَلَى خَيْرِ الرُّسْلِ دُونَ جِمَاحِ
وَأَهْلِ الْبَيْتِ وَسَادَاتِ الْهُدَى يَنَابِيعِ السِّرِّ أَهْلِ السَّمَاحِ

وله أيضاً رضي الله عنه:

جَلَسْتُ مَعَ نَفْسِي لَعَلِّي أَرَاهَا فَكَانَتْ وَمَا كُنْتُ وَعَزَّ لِقَاهَا
وَكُنْتُ كَأَنِّي أُحَاوِلُ عَبَثاً إِذَا أَنَا أَرَدْتُ إِدْرَاكَ مَعْنَاهَا

سَأَلْتُ عَنْهَا عَقْلِي وَقَلْبِي وَمُهْجَتِي ... فَقَالُوا لَقَدْ كُنَّا فِي الأَصْلِ إِيَّاهَا
تَجَلَّتْ ثُمَّ جَالَتْ وَغَابَتْ فِي غَيْبِهَا ... فَحَارَتْ أَهْلُ الوَصْلِ فِي كُنْهِ بَهَاهَا
لَطِيفَةٌ لَوْ أَنَّ اللَّطَائِفَ كُلَّهَا ... تَنَادَتْ لَمَا كَانَتْ فِي الحَقِّ سِوَاهَا
هِيَ السَّمْعُ إِنْ شِئْتَ وَالبَصَرُ الَّذِي ... تَجَلَّى فِي نَفْسِكَ لِتَدْرِي عَمَاهَا
وَهِيَ القُدْرَةُ الَّتِي بِوَفْقِ إِرَادَةٍ ... تَهِيمُ بِفِعْلِهَا فِي كُلِّ مَرْمَاهَا
وَهِيَ العِلْمُ وَالكَلامُ فِي الفُؤَادِ الَّذِي ... يَعِيشُ بِحَيَاةٍ فِي ظِلِّ حِمَاهَا
فَهَا هِيَ صِفَاتُ المَعَانِي تُجِيبُكَ ... فَهَلْ أَنْتَ مُدْرِكٌ بِالذَّوْقِ مُنَاهَا
لَقَدْ تَمَّ مَا ثَمَّ مِنْ سِرِّ حَقِيقَةٍ ... قَدْ قَامَتْ بِكَ قِدَماً وَأَنْتَ تَنْسَاهَا
فَلَوْ رُزِقْتَ عَفْواً بِأَقَلِّ يَقْظَةٍ ... لَكُنْتَ وَمَا كَانَتْ وَأَنْتَ تَرَاهَا
أَيْنَ أَنْتَ لَوْ كُنْتَ فَقُلْ لِي بِرَبِّكَ ... وَأَيْنَ هِيَ مِنْكَ فِي نَفْسٍ مَأْوَاهَا
تَأَمَّلْ رَعَاكَ اللَّهُ إِنَّكَ وَاحِدٌ ... وَمَا ثَمَّ غَيْرُكَ إِنْ صَحَّ هَوَاهَا
فَأَنْتَ هِيَ وَهِيَ أَنْتَ أَنْتَ ... وَمَا سِوَاكَ يَبْدُو فِي ظِلِّ سَنَاهَا

وله أيضاً رضي الله عنه:

يَا سَائِلاً عَنْ حَقِّ الحَقِيقَةِ فِي الهَوَى ... فَالحَقُّ مِنْكَ فِيكَ عَلَيْكَ قَدِ اسْتَوَى
أَنْتَ العَرْشُ وَالفَرْشُ وَأَنْتَ كُرْسِيُّهُ ... وَلَيْسَ يَسَعُهُ سِوَاكَ إِذَا انْطَوَى
تَأَمَّلْ رَعَاكَ اللَّهُ فِي آيَةِ أَيْنَمَا ... تُوَلُّوا فَهَلْ تَرَى سِوَاهُ بِكَ احْتَوَى

وله أيضاً رضي الله عنه:

بِهَدْيِكَ فَلْتَهْدَ الهُدَاةُ وَتَقْتَدِ ... لأَنَّكَ إِمَامٌ فِي البِرِّ وَالسُّؤْدَدِ
أَذِنْتَ بَيْنَ الوَرَى بِخَيْرِ طَرِيقَةٍ ... فَكُنْتَ بِهَا فَرْداً بِاللَّهِ المُؤَيَّدِ
وَسَارَ بِذِكْرِهَا الرُّكْبَانُ فَانْتَشَرَتْ ... فِي أَسْنَى العَوَاصِمِ وَفِي كُلِّ فَدْفَدِ
وَحَيْثُمَا ارْتَحَلَتْ فَالنَّصْرُ حَلِيفُهَا ... وَحَيْثُمَا حَلَّتْ كَانَتْ خَيْرَ مَشْهَدِ
أَتَيْتَ بِأَخْلاَقٍ تَسُوقُ إِلَى العُلاَ ... أَتَيْتَ بِأَسْرَارٍ مِنْ أَعْذَبِ مَوْرِدِ
فَكَمْ بِهَا احْيَيْتَ مِنَ النَّاسِ مَيْتاً ... وَأَيْقَظْتَهُ بِهَا مِنْ أَعْمَقِ مَرْقَدِ
فَصَارَ بَيْنَ الوَرَى يَسِيرُ وَنُورُهُ ... بَيْنَ يَدَيْهِ يَعْلُو عَلَى كُلِّ فَرْقَدِ
لأَنْتَ إِمَامُ العَصْرِ حَقّاً وَلاَ مِرَا ... وَأَنْتَ العَلاَوِيُّ الوَارِثُ المُحَمَّدِي
أَتَاكَ إِلَهُ العَرْشِ فَضْلاً وَحِكْمَةً ... وَأَوْرَثَكَ عِزّاً فِي الدَّهْرِ المُجَدَّدِ

تَسَمَّتْ فَضَائِلُكَ عَلَى كُلِّ فَاضِلٍ ... فَأَنْتَ عَيْنُ الْهُدَى وَالْمَجْدِ الْمُؤَيَّدِ
لَئِنْ عَجَزَتْ نَفْسِي عَنْ تِعْدَادِ فَضْلِكَ ... فَالْبَحْرُ لاَ يُسْبَرُ بِآلَةٍ بِمَوْرِدِ
فَالنَّاسُ وَإِنْ شَادُوا بِبَعْضِ الْمَآثِرِ ... فَلَمْ يُدْرِكُوا شَأْوَ الْعَظِيمِ الْمُسَدَّدِ
نَسِيبٌ وَلاَ مِرَا حَسِيبٌ بَيْنَ الْوَرَى ... حَكِيمٌ وَلاَ فَخْرَ وَحِيدٌ فِي الْعَدَدِ
«مَوَادُكَ» تَشْهَدُ بِأَنَّكَ غَوْثُنَا ... كَشَمْسٍ لَكِنَّهَا لاَ تُرَى لِلأَرْمَدِ
أَتَيْتَ بِهَا هَدْياً كَرِيماً مُؤَيَّداً ... بِأَوْضَحِ حُجَّةٍ إِلَى كُلِّ مُهْتَدِ
رِيَاضٌ مِنَ الْعِلْمِ الْمُفِيدِ الْمُنَوِّرِ ... يَعِزُّ نَظِيرُهُ فِي أَسْمَى مُجَلَّدِ
وَلاَ شَاهِدَ أَقْوَى عَلَى حُسْنِ نَشْرِهَا ... مِمَّا فِيهَا قَدْ بَدَا مِنْ فَيْضٍ مُمَدَّدِ
لَكَ الْحَمْدُ يَا رَبِّي عَلَى مَا أَوْلَيْتَنَا ... فَكُنْتُ بِهِ خِلاً بِهَدْيِهِ مُقْتَدِ
وَلِي رَجَاءٌ يَنْمُو فِي فَضْلِ جَنَابِهِ ... لِيَأْخُذَ بِيَدِي عِنْدَ كُلِّ مَوْرِدِ
وَفِي الْخِتَامِ نَبْدِي الصَّلاَةَ عَلَى النَّبِي ... مَا لاَحَتْ كَوَاكِبٌ عَلَى كُلِّ مَصْعَدِ
وَآلِهِ وَالأَصْحَابِ مَا حَنَّ ذَاكِرٌ ... إِلَى طَلْعَةِ النَّبِيِّ الْهَادِي مُحَمَّدِ

http://albordj.blogspot.com

فهرس المحتويات

AL-ᵓĀDĀB AL-MARḌIYAH LI-SĀLIK ṬARĪQ AL-ṢŪFIYAH

(The mannerliness of Sufis)

by

Sīdi Muḥammad Ben Aḥmad Al-Būzaydi

Followed by

DĪWĀN AL-ᶜĀRIF BIL-LĀH TAᶜĀLĀ SĪDI MUḤAMMAD AL-BŪZAYDI AL-MUSTAĠĀNMI

(Sidi Muhammad Al-Buzaydi's poetical works)

Followed by

DĪWĀN ĀYĀT AL-MUḤIBBĪN FĪ MAQĀMĀT AL-ᶜĀRIFĪN

(ᶜIdah Ben Tunis's poetical works)

All Edited by

Dr. ᶜĀṣim Ibrāhīm Al-kayāli

DAR AL-KOTOB AL-ILMIYAH
Beirut-Lebanon

http://albordj.blogspot.com